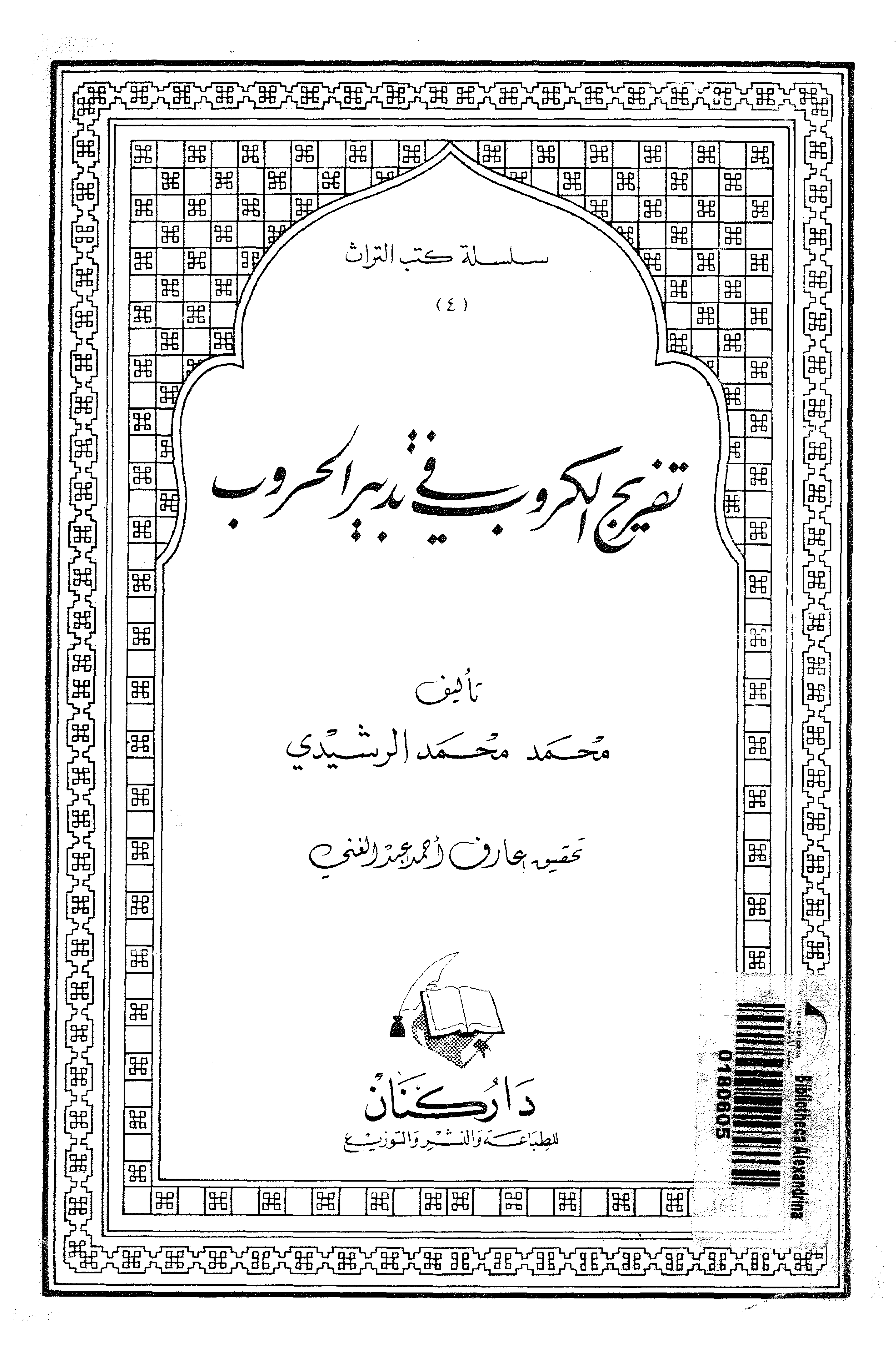

سلسلة كتب التراث
(٤)
تفريج الكروب في تدبير الحروب
تأليف
محمد محمد الرشيدي
تحقيق عارف أحمد عبد الغني
دار كنان
للطباعة والنشر والتوزيع

من آثار المؤلف والمحقق

- نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين ط مؤسسة الرسالة بيروت، ط دار الهدى في عين مليلة بالجزائر .
- نظم التعليم عند المسلمين ، ط دار كنان بدمشق .
- تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ط دار البشائر بدمشق .
- تاريخ الحيرة في الجاهلية والإسلام ، ط دار كنان بدمشق .
- تاريخ أمراء المدينة المنورة ، ط دار كنان بدمشق .
- مختصر في سياسة الحروب ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- تفريج الكروب بتدبير الحروب ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- الفروسية برسم الجهاد ، وما أعد الله للمجاهدين من العباد ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- عون أهل الجهاد من الأمراء والأجناد ، كتاب في الخيل ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- الخيل والفروسية ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- الخيل والفروسية والبيطرة ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- سير الملوك للأصمعي ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- تاريخ أمراء الكوفة ، تأليف ، ط دار كنان بدمشق .
- بغية الرامي وغاية المرامي ، كتاب في القوس ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- القوانين السلطانية في الصيد ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- السماح في أخبار الرماح ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .
- فوائد النيل بفضائل الخيل ، تحقيق ، ط دار كنان بدمشق .

تفريج الكروب

في

تدبير الحروب

دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ شارع بغداد مقابل نقابة الفنانين
☎ : ٢٣١٢١٠٤ - ٦٣٢٤٧٤٢
✉ : ١٠٦٩٧

تنضيد وإخراج
مركز الروضة للكمبيوتر
دمشق ـ جرمانا
☎ : ٥٦١٥١٤٩ - ٥٦١٥٨٠٨
✉ : ٣٩١ جرمانا

موافقة وزارة الإعلام في الجمهورية العربية السورية
رقم ٢٦١٧٧ تاريخ ١٩٩٥/١١/٦

سلسلة كتب التراث

(٤)

تفريج الكروب في تدبير الحروب

تأليف
محمد محمد الرشيدي

تحقيق عارف أحمد عبد الغني



دار كنان
للطباعة والنشر والتوزيع

الإهــــــداء

إلى الرئيس المقدام حافظ الأسد، سليل وحفيد أبطال ذي قار، بدر، اليرموك، القادسية، عمورية، عين جالوت، وحطين .

إلى الذي تحدى بجنوده وشعبه وأمته في تشرين النار والدم والحياة والخطر، مصدراً أوامره للدفاع عن نسمة الريح، وذرة التراب، وقطرة الماء، في الجو والبر والبحر، دفاعاً عن شرف الأمة العربية وكرامتها .

إلى قائد معركة الجولان، وجنوب لبنان، إلى الذي أجبر قوات المارينز على الاندحار من لبنان، وأعطى المقاومة الوطنية العربية التحررية كل سند وعون، من لبنانيين وفلسطينيين .

إلى القائد صاحب القرار الشجاع والحكيم والمتأني، إلى الذي يقف وحيداً شامخاً في ظل الانحطاط العربي البغيض، رغم العواصف والمحن، والنظام العالمي الجديد، يقود دفة القيادة كملاح ماهر بارع، مستلهماً تاريخ أمته العربية الطويل، بمفرداته الناصعة وغير الناصعة، بيقين كيقين الأنبياء، بأن بعث هذه الأمة ليس مستحيلاً، كيف لا وهي خير أمة أخرجت للناس .

فامض محفوظاً محروساً، جاعلاً من الجولان وفلسطين وجنوب لبنان حطيناً جديدةً، فالحياة وقفة عز وشرف وكرامة، ووراءك شعبك، وأمتك صفاً واحداً داعين لك بالنصر وطول العمر، متيمنين بقول سيف الله المسلول خالد بن الوليد :

﴿لا نامت أعين الجبناء﴾.



مقدمة

نقدم لقراء العربية كتاب (تفريج الكروب في تدبير الحروب) عن مخطوط ينشر لأول مرة باللغة العربية ، وقد سبق لهذا المخطوط أن تُرجم وحقق باللغة الإنكليزية من قبل د. جورج سكانلون في الجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة ١٩٦١ م .

والكتاب يتناول جانباً مهماً من تاريخ الحروب عند العرب والمسلمين ، ويتألف من العديد من الأبواب والفصول ، ويمثل صورة مشرقة عن تاريخ العرب العسكري ، وهو من الموضوعات النادرة في هذا السياق ، والتي تؤرخ جانباً من هذا الفن العسكري .

❁ مؤلف الكتاب :

لم يُذكر في المخطوط اسم المؤلف ، إلا أنه ورد في مصادر التراث العسكري عند العرب[1] : أن مؤلفه أبو عبدالله محمد بن محمد الرشيدي ، وقد حاولنا العثور للمذكور على ترجمة في كتب التراجم بغير جدوى ، ولكنه من أعيان القرن التاسع ، حيث ذكر أنه ألفه للسلطان فرج بن الظاهر برقوق المقتول سنة ٨١٥ هـ و لم تصلنا أية معلومات أخرى ، ونسبة الرشيدي إلى بلد رشيد في مصر .

وذكر كوركيس عواد أيضاً عنه : أنه من تأليف عمر بن ابراهيم الأوسي الأنصاري من أهل القرن التاسع أيضاً ، وألفه للملك الناصر فرج بن برقوق ، و لم نعثر للمذكور أيضاً على أي ترجمة من خلال المصادر المتاحة أيضاً .

---

١ - مصادر التراث العسكري عند العرب ج ١ ص ١٧٤ .

ـ انظر أيضاً مقال د . إحسان الهندي في مجلة الفكر العسكري الصادرة عن الادارة السياسية في الجيش العربي السوري السنة ٥ العدد الثاني ١٩٧٧ ومابعدها : التآليف العسكرية والحربية عند العرب.

كما ذكر كوركيس عواد أن المخطوط المشار إليه أعلاه [1] من تأليف أبي الفضل ابن عبد الوهاب السنباطي ، وقد ترجم له صاحب الضوء اللامع فقال [2] :
أبو الفضل عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السنباطي القاهري الشافعي ، الكاتب الأعرج ، ويسمى محمداً ، نشأ فقرأ القرآن ، وجوَّد الخط . وبرع وتكسَّب بالنساخة مع التصدي للتكتيب في أيام .

والذي أعتقده أنَّ هذا الكتاب من تأليف محمد بن محمد الرشيدي ، لأنه حسب ماورد في الضوء اللامع أن أسرة الرشيدي برز فيها عددٌ من الأشخاص في مجال التآليف العلمية ولم يُذكر ذلك عن عائلة السنباطي أو الأوسي الأنصاري ، مما يجعلنا نرجح نسبة هذا الكتاب له .

❁ وصف المخطوط :

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة واحدة ، من مصورات معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة رقم ٩٠٣ ، وأصلها في مكتبة فاتح باستنبول تحت رقم ١٧٠٢وقد ذكرت المصادر أن لهذا الكتاب العديد من النسخ في مكتبات العالم :

- نسخة خطية في مكتبة فاتح باستانبول رقم ٣٤٨٣ .
- مكتبة جامعة برنستن رقم ٣٩٥٤ ELS
- خط المخطوط جميل جدًّا ، ورد في آخر المخطوط أنه من كتابة أبي الفضل عبدالوهاب السنباطي دون ذكر أي تاريخ لنسخه أو كتابته .

تتألف المخطوطة من ٣١٣ صفحة ، وكل صفحة تتألف من ٩ أسطر ، وكل سطر يتألف من سبع كلمات بمعدل وسطي ، كتب بخطٍّ نسخيٍّ جميل مضبوط .

---

١ – مصادر التراث العسكري ج ١ ص ١٧٥ .

٢ – الضوء اللامع ج ١١ ص ٤١٦ .

ويقسم المخطوط إلى مقدمة يشرح فيها المؤلف سبب تأليفه للكتاب ، ثم يسرد فيما بعد أبواب الكتاب التي تتألف من عشرين باباً ، أولها في التحرز في حال الأمن عند إقامة الملك ، وفي دار ملكه ، والباب الأخير ، في بيان كيفية المدافعة عن الحصون ، وحفظها ، ويتخلل كل باب من هذه الأبواب عدد من الفصول .

والمخطوط منسوخ بخط جميل دون أخطاء ، ومعظم كلماته مضبوطة بالشكل الكامل ، ويسود هذا الضبط بعض الاخطاء .

وكان عملنا في المخطوط نسخه ، وتصحيح بعض الكلمات والعبارات لاتساق المعنى ، والتعريف ببعض الأسماء الواردة في المخطوط من الاعلام والأمكنة، أو بعض الكلمات الغامضة ، وقد ذيلناه بالفهارس الفنية المناسبة . وكان سبب اعتمادنا على نسخة واحدة هو عدم تيسر الحصول على نسخ أخرى، وشفع لنا في ذلك أن المخطوطة التي اعتمدناها كاملة دون نقص .

ولم نثقل الكتاب بتحليلات تجعله ينوء بها ، وإنما اكتفينا بايراد النص كاملاً مشفوعاً ببعض الملاحظات التي لابدّ منها .

وفي الختام أعطر الشكر والثناء للأخ والصديق المحقق الثَّبت السيد ابراهيم صالح لمراجعته هذا الكتاب أثناء التحضير للطباعة ، وكذلك للأخ محمد لطفي الخطيب الملقب بالحجي خبير المخطوطات العالمي الذي راجع الكتاب أيضاً وأبدى ملاحظات قيمة .

راجياً أن يحظى هذا العمل برضى الله والقارئ ، فإن أصبنا فهذا ما نرجوه ، وإن أخطأنا فهذا وسعنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق الشام في :

٢ رمضان ١٤١٥ هـ - ٢ شباط ١٩٩٥ م　　　**عارف أحمد عبد الغني**

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤيد الإسلام من سلطانه
الناصر بعزيز نصره ومرغم أنف
الخارج عن طاعته بتعجيل هلاكه
ورد كيده في نحره ومريه من
مصارع أعدائه ما يتعظ به الباطل ويعده
المتأمل من عجائب دهره ومسعد جده
القائل بإبادة عداه الطغاة المارقين
والله نائب على أمره على أن

أخرج الأمة من ضيق إلى فرج وارفع عن
الرعية بأزرق سلطان كل مشقة وحرج
وأطاب قلوب البرية بأسعد مليك
يستنشق من طيب أيامه الزاهرة أطيب
شذا وأعبق أرج وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يتوارثها عظماء
الملوك كابرا عن كابر ويوصي بها
على الدوام أبدا الأول منهم الآخر
ويقوم بنصرها الابن بعد الأب فيرويها

الصفحة الأولى من المخطوط

لذلك، والله أعلم وبه التوفيق،

وعليه التكلان ولا حول ولا قوة

، إلا بالله العلي العظيم،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من كتابة الفقير إلى الله تعالى أبي الفضل بن عبد الوهاب

السنباطي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله[1] مُؤَيِّد الإسلام مِن سُلطَانه النَّاصر بعَزيز نصرَه ، ومُرغم أنـفِ الخَارج عَنْ طَاعَته بتَعْجيل هَلاَكِهِ وَرَدِّ كَيْدِهِ في نَحْره ، ومُريهِ مِن مَصـارع أعدائـه مَايَتعِظُ بِهِ العَاقِلُ وَيَعُدُّهُ المتَأَمِّلُ مِنْ عَجائِبِ دَهْره ، وَمُسْعِدِ جَدِّهِ العَالِي بإبَادَةِ عِدَاهُ الطُّغَاةِ المَارِقِينَ وا لله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهْ .

(والحمدُ لله) [2] عَلَى أَنْ أَخْرجَ الأُمَّـةَ مِـنْ ضيـقٍ إلى فَـرَجٍ [3] وَرَفَـعَ عَـن الرَّعِيَّةِ بأَرْفَقِ سُلطَان كُـلَّ مَشَـقَّةٍ وَحَـرَج ، وَأَطَـابَ قُلـوبَ البَرِيَّـةِ بِأَسْعَدِ مَلِيْـكٍ يُسْتَنْشَقُ مِنْ طِيْبِ أَيَّامِهِ الزَّاهِرَةِ أَطْيَبُ شَذاً وَ أَعْبَقُ أَرَج .

وَأَشْهَدُ أن لاَّ إلـهَ إلاَّ الله وَحْـدَهُ لاَشَـرِيكَ لَـهُ شَـهَادَةً يَتوارثُهَـا عُظَمَـاءُ المُلوُكِ كَابراً عَن كَابرْ ويوُصـي بهَـا عَلـىَ الـدَّوَام أَبَـداً الأَوَّلُ مِنْهُـمُ الآخـر وَيَقُـومُ بنصْرَتِها الابْنُ بَعْدَ الأبِ ، فيَرْويها بالسَّنَدِ النَّاصِر عَن الظَّاهِر .[4]

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَخْصُوصُ بِالتَّأْييدِ عَنْ تَتَابُع الدَّهر وَ المَنْصُوُر بِالرُّعْبِ المُؤَثِّر في قُلوبِ أَهْلِ الكُفْر عَلَى مَسِيْرَةِ شَهْر ، صَلَّـى الله عَلَيْـهِ وَعَلَى آلِهِ الذينَ أَنْجزَتْ وَ قَائعُهُم للأَعْدَاء مَوَاعِدَ الأَجَل وَكَرَعَتْ فِي دِمَـاء الكُفْـر سُيُوفهُمْ فَعَـادَتْ بخَلـوق[5] النَّصْـر ، لاَبحُمْـرَةِ الخَجَـل ، صَـلاةً يَطْلُعُ في مَطَـالِع النجوم نُجُومُهَا ، وَ لاَ يَتَغَيَّرُ عَلَـى مَمَـرِّ الزَّمَـان ـ إنْ شَـاء الله تعَـالى ـ رَسْمُهَا ، وَسَلَّمْ تَسْليماً كَثِيراً.

---

١ - ما بين حاصرتين بياض في الأصل ، ولعل الناسخ أراد أن يكتبها بخط أكبر منها .

٢ - ما بين حاصرتين بياض في الأصل .

٣ - فيه تورية باسم السلطان فرج بن برقوق ووالده الملك الظاهر برقوق .

٤ - فيه تورية باسم السلطان الناصر فرج بن برقوق .

٥ - الخلوق : الطيب .

❁ وَبَعْدُ

فَلما كَان السُّلطَان الأَعْظَمُ ، المَلِكُ النَّاصِرُ ، العَـالِمُ العَـادِلُ ، المُجَـاهِدُ المُرَابِطُ المُثَاغِرُ [1] ، المؤَيّدُ المُظفَّرُ المَنْصُورُ ، زَيْنُ الدُّنْيَا وَالدِّيـن ، سُـلطَان الإِسْـلاَمِ وَالمسْلِمِينَ [2] مُحْيِـي العَـدْلِ فِي العَـالِمِينَ ، وَارِثُ مُلْـكِ مُلُوكِ العَرَبِ وَ العَجَـم وَالتُّرْكِ ، ظِلُّ الله فـى أَرْضِـه ، القَـائِمُ بِسُنَّتِهِ وَفَرْضِـه ، إِسْكَنْدَرُ الزَّمَـان ، مُمَلِّكُ أَصْحَابِ الأَسـرَّةِ وَالتِّيجَـان ، وَاهِـبُ الأَقَـالِيم وَالأَمْصَـار ، مُبِيـدُ الطُّغَـاةِ وَالبُغَاةِ وَالكُفَّارِ ، حَامي الحَرَمَيْن ، حَائزُ القِبْلَتَيْن جَامِعُ كَلِمَةِ الإِيمَان ، حـائز لِوَاءِ العَدْلِ وَالاحْسَان ، سَيِّدُ مُلُوكِ الزَّمَان إِمَامُ المُتَّقِين ، قَسِـيمُ أَمِـير المُؤمِنـين ، أَبُـوالسَّعَادَاتِ فَرَج [3] ابْن السلطان الشَّهِيدِ المَلِكِ الظَّاهِرِ أَبِي سَعِيدٍ بَرْقُوق ، خَلَّدَ

---

١ - الثغر : الحدود مع العدو ، والثغور مصطلح اسلامي ، وفي الأصل : المتاعر .

٢ - قال الإمام ابن حجر في إنباء الغمر ٧ / ٥٨ وعنه السخاوي الذيل التام ٤٧٧/١ : ولقد كان الناصر هـذا أعظم الناس خذلاناً لدين الإسلام ، وأشأمهم على المسلمين ، والعجب أنه ولد لمّا أقبل يلبغا الناصري ومنطـاش فبشر به أبوه فسماه بلغاق ـ يعني فتنة ـ فلما خلص أبوه من الكرك سماه فرجاً ، فكان اسمه الأول هو الحقيقي .

٣ - الناصر فرج بن برقوق : هو زين الدين أبو السعادات بن برقوق، ولي الملك سنة ٨٠١ هـ ، بعد وفاة أبيه بعهد منه ـ فبايعه القضاة والخليفة وشيخ الإسلام عمر البلقيني والأمراء ، وكانت سنه حينئذٍ اثنتي عشرة سنة ، فدبر له الملك الأتابكي (ايتمش البجاسي) وفي عهد فرج هذا زحف تيمورلنك على مدينـة حلـب ، إستولى عليها وفتك بأهلها فجمع السلطان فرج عسكراً كثيفاً وخرج للقائه، فتلاقى العسـكران ، ثـم تصالحـا ، إلاّ أن تيمورلنك انتهز فرصة عودة السلطان الى مصر ، وطرق دمشق وأجبر سكانها على دفع أموال طائلـة ... ومـن أهم ماشغل بال السلطان فرج الفتن والثورات الداخلية ورأى أن يهجر القلعة مقر حكمـه ، ويختفـي ، بعـد أن حكم ست سنوات ونصف فاتفقت كلمة الأمراء على تولية أخيه عبدالعزيز بن برقوق، وذلك في سنة ٨٠٨ هـ ثم حكم أخوه شهرين ثم أعيد فرج في جمادى الأخرى ، وأمسك أخاه فحبسـه ثـم قتلـه، واستمر في الحكـم حتى قتل ليلة السبت سادس عشر صفر من سنة ٨١٥ هـ بالبرج من قلعة دمشق بعدما حوصر أياماً . (النجـوم الزاهرة ١٤٧/١٣، إنباء الغمر ٥٨/٧ و٨٩، الضوء اللامع ١٦٨/٦، الذيل التام ٤٧٧/١).

الله تعَالى عَلَى مَدَى الأيَّامِ سُلطَانهُ ، وَنَصرَ عَلَى تَوالي الدُّهُور جُنُودَهُ وَجُيُوشَهُ وَأَعْوَانَهُ ، هُوَ الذِي قَهرَ مُلُوكَ الأَرْضِ بَأْسُهُ وَشِدَّتُهُ ، وَأَعْجزَ الحَصْرَ وَالوَصْفَ عَدَدُهُ وَعُدَّتُهُ ، وَشَاعَ فِي الآفاقِ النَّائيَةِ صِيتُهُ وَذِكْرُهُ وَسُمْعَتُهُ ، وَحَفَّهُ النَّصْرُ مِنْ كُلِّ جَانبٍ فتَوالى بتَوَالي الوَقَائع ظَفَرُهُ وَنُصْرَتُهُ ، مَاقَصَدَهُ قَاصِدٌ بِسُوء إلا رُدَّ خائباً ، وَلاَرَمَاهُ أَحَدٌ بمَكْرٍ الاَّ رَجَعَ سَهْمُ مَكْرِهِ عَلَيْهِ صَائباً ، وَلاَرَامَ تَذليلَ صَعْبٍ إلاَّ أَتَى مِنْ تَسْهيلِهِ بالعَجَبِ العَجيبِ ، وَلاَحَاوَلَ مُعَالجَةَ فَتْحٍ إلاَّ تَلا عَلَيْهِ لِسَانُ الظّفَر﴿ نَصْرٌ مِنَ الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [1] فَسُعُودُهُ أَبَداً بِالنَّصْرِ تَسْعِدُ ، وَسَهْمُ سعَادَتِهِ فِي كُلِّ زَمَان ينشد :

عَساكِرُ البَغْي قَدْ أَعْيَتْ مُقَارَعَةً لِنَاصِرٍ أَعْوزَتْ فِي كَسْرِهِ الحِيَلُ
كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ [2]

وَكُنْتُ مِمَّنْ نَظَرَ فِي كُتُبِ التّاريخِ عَلَى اخْتِلاَفِهَا ، وَتدَبَّر وَقَائِعَ الحُرُوبِ مِنْهَا عَلَى تَبَايُنِ أَصْنَافِهَا وَمَا رَتَّبَهُ فِي ذَلِكَ أَهْلُ التَّدْبير مِنْ رُؤَسَائِها ، وَمَا اقتضَاهُ رَأْيُ كُلٍّ مِنْ مَشَايخِ الحَرْبِ وَعُلَمائِهَا ، وَمَا أَوْرَدَهُ أَفَاضِلُ الكُتَّابِ فِي وَصَايَا المُقَدَّمِينَ عَلَى العَسَاكِرِ ، وَمَا وَقَعَ لدُهَاةِ الحُرُوبِ مِنْ حِيْلَةِ مُحْتَالٍ وَمَكْرِ مَاكِرٍ ، دَعَاني ذَلِكَ إلَى أَنْ أَخْدمَ خزانتَهُ الشَّرِيفَةَ - عَمَّرَهَا الله تعَالى بدَوَامِ مُلكِه ، وَطُولِ بَقَائه ، وَعلُوِّ نَجْمِهِ الزَّاهِرِ ، وَسُطُوعِ ضِيَائِهِ - بكِتَابٍ أَضَعُهُ فِي تَدْبيرِ الحُرُوبِ وَتَرْتِيبِها وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِ القِتَالِ وتَقْدِيْرِهَا ، لِيَهْتَدِي بذَلِكَ مَنْ يَقِف عَلَيْهِ مِن أُمَرَائِهِ الأَنْجابِ وَقُوَّادِ عَسَاكِرِهِ ، وَيَقْتَدِي مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَخْبُرْ طَرِيْقَ الحَرْبِ لحدَاثَةِ سِنِّهِ بَخابِرِهِ ، وَإلاَّ فَهُوَ - ثَبَّتَ الله قَواعِدَ دَوْلَتِهِ وَجَعَلَ مَصِيْرَ أَعْدَائِهِ المَارِقِينَ إلَى

---

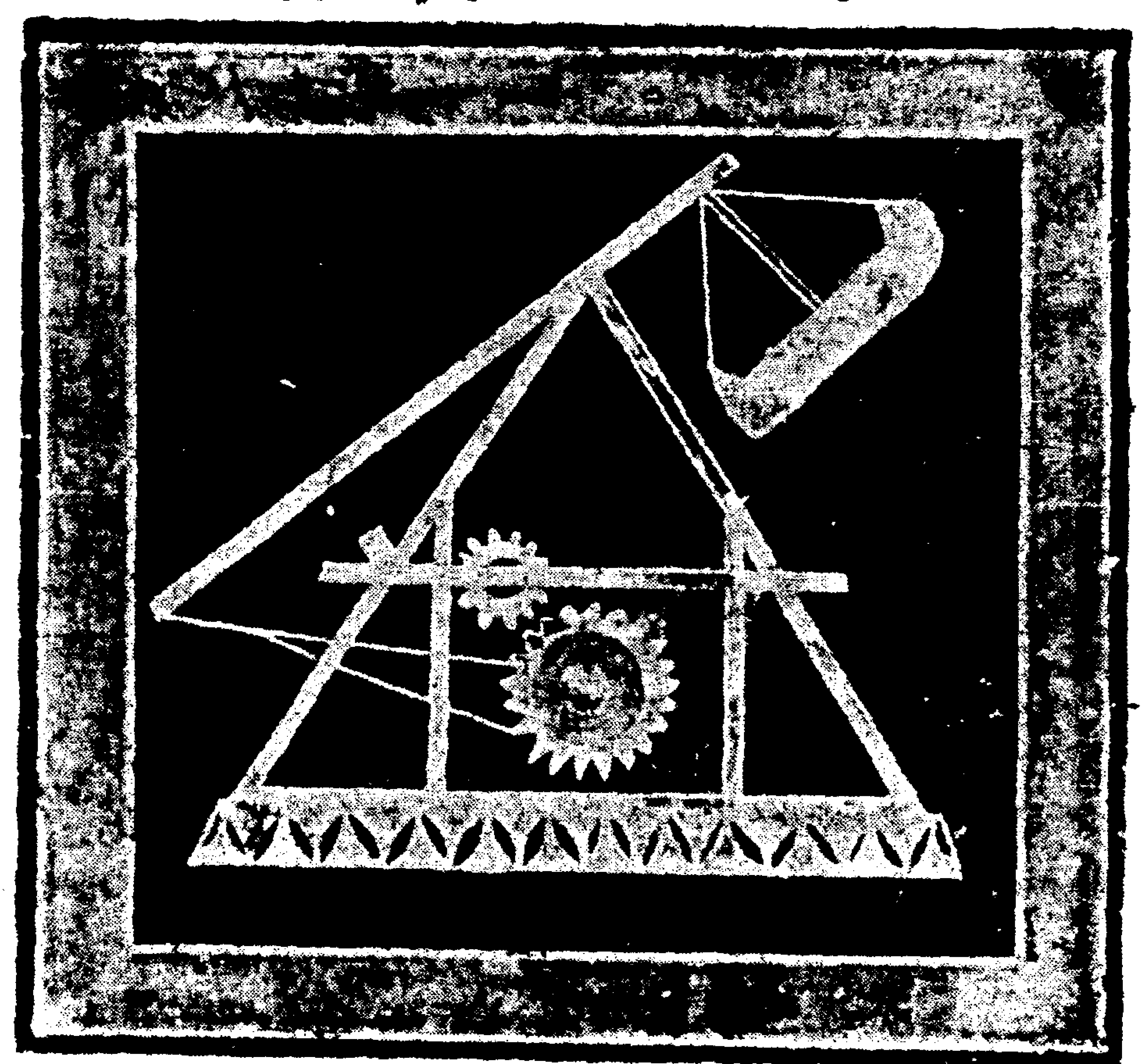
١ - سورة الصف الآية : ١٣

٢ - للأعشى في ديوانه ص ١١١.

قبضَتِهِ ـ قَدْ عَرَكَ الحُرُوبَ وَخَبَرَهَا ، وَعَرَفَ بِالتَّجَارُبِ وَالوَقَائِعِ حَالَهَا ، وَخَبَرهَا، وَخَدَمَتْهُ السُّعُودُ فَأَعْقَبَتْهُ بِكُلِّ وَاقِعَةٍ ظَفَراً ، وَصَحِبَتْهُ الحُظُوظُ فَلَم يُفَارِقْهُ النَّصْرُ سَفَرًا وَلاحَضَرًا (وَمَا النصْرُ إلاَّ مِنْ عِندِ الله العزيز الحكيم)[1] وقد سميته

تفريج الكروب في تدبير الحروب

وجعلتُ مقاصده منحصرة في عشرين باباً



الشكل ب : آلية المنجنيق نقلاً عن مخطوط « الفروسية ... » لحسن نجم الدين الرماح

١ - سورة آل عمران : آية : ١٢٦ .

الباب الأول

في التّحَرُّز في حال الأمن عند إقَامَة المَلِك في دار مُلْكِهِ وَفيْهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ

الفَصلُ الأَوّلُ

فِي أَخْذِ الحَذَرِ فِي الجُملَةِ .

الفصلُ الثّاني

فِي التّحَرُّز باتّخاذِ الأسوار والخَنَادِقِ عَلَى المُدِن وَالحُصُون وَنَصْبِ المرَايَا بالأَمْكنَةِ العَاليَةِ للنّظَرِ

الفصْلُ الثّالث

فِي إستِطْلاَعِ أَخْبَارِ العَدُو وَاستِعْلامِهَا لِيَقَعَ التّأَهُّبُ لَهُ

البَابُ الثّاني

في العُيُون وَالجواسيسِ وَمَا يَتعَلّقُ بذَلِك وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ

الفَصْلُ الأَوّلُ

فِي الصفَةِ التِي يَنْبَغِي أَنْ تكونَ العُيونُ وَالجَواسِيْسُ عَلَيْهَا

الفَصْلُ الثّاني

فِيمَا يَجبُ مِنْ إِكْرامِ العيَونِ وَالجَوَاسِيِس وَالأَخْذِ بِقُلوبِهِمْ

الفَصْلُ الثّالِثُ

فِيمَا يَجبُ عَلَيْهِ مِن تَدْبِيرِ عُيُونِهِ وَجَوَاسِيْسِهِ

البَابُ الثّالِثُ

فِي الرُّسلِ وَمَا يَتَعَّين أَنْ يَكونُوا مِـنَ الصفَـاتِ ، وَمَـا يَسْـتَحِقُّ مَـنْ خَـرَجَ مِنْهُمْ عَنْ جَادَّةِ الطَّرِيْقِ وَفِيْهِ فَصْلاَنِ

الفَصْلُ الأَوّلُ

في صِفَاتِ الرُسُلِ

الفَصْلُ الثّاني

فِي تدْبِير أَمْرِ الرُّسُلِ وَمَا يَنْبَغي أَنْ يَعْتَمِدَ فِي ذَلِكَ

يأخُذُهُم به

البَابُ السَّابعُ

فِي بَيَانِ مَتَى يَجبُ مُلاقاةُ العدوِّ وَقتاله وفِيْه فصْلاَن

الفصلَ الأول

فِيما إذا كان الجيشُ قوياً والعدُوُّ ضَعِيْفاً

الفصْل الثَّانِي

فيمَا إذا كَانَ الجيشُ ضعفياً والعَدوُّ قَوِيّاً

الباب الثامن

في الطلائع وتدبير أُمورها وما يعتمد في ذلك وفيه فصلان

الفصل الأول

في حقيقية الطليعة وصِفة رجالها وخيلها

الفصل الثاني

في أحكام الطليعة وما ينبغي أنْ يعتمد فيها

الباب التاسع

في بيان ما يجب من التحرز عند الرحِيل وبيان ما يجب فعله في حالة المسير وفيه فصلان

الفصل الأوّل

في التحرز عند الرحيل

الفصل الثّاني

في بيان ما يجب فعله حال المسير

الباب العاشِر

في بيان ما يجب من التحرز عند النزول والاقامة في المنزلة وفيه فصلان

الفصل الأوّلُ

في اختيار موضع النزول

البَابُ الأَوَلُ
فِي التَّحرُزِ فِي حَالِ الأَمْنِ عِنْدَ إِقَامَةِ المَلِكِ فِي دَارِ مُلكِهِ وَفِيْهِ ثَلاثَةُ فُصُولٍ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
فِي أَخْذِ الحَذَرِ فِي الجُمْلَةِ

قَال العُلَمَّاءُ بِأمُورِ الحُرُوبِ وتَدْبِيْرِهَا: يَنبَغِي أَنْ يَكُونَ المَلِكُ فِي حَالِ الأَمْنِ وَهْوَ مُقِيمٌ بِدَارِ مَمْلَكَتِهِ فِي غَايَةٍ مِنَ الحَذَرِ وَالتَّحذُّرِ مِنَ العَدوِّ فَإِنَّهُ إِنْ تَحـرَّكَ عَلَيْـهِ عَدُوٌّ كان عَلَى أُهبَةِ الكِفَايَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَتَحرَّكْ عَلَيْهِ عَدُوٌّ لَمْ يَضُرَّهُ الإحتِرَازُ ، فَـإِنَّ الخَلَلَ قَلَّ أَنْ يَقَعَ مَعَ التَّحرُّزِ، وَإِنَّمَـا يَقَـع مَـعَ التَّفْرِيـطِ وَالإِهْمـال وَالإتِّكَـال عَلـى الفَوْتِ ، وَقَـدْ أَمَـرَ تَعَـالى بـالحَذَرِ فَقـال تَعَـالى **﴿ ياأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا خُـذُوا حِذْرَكُـمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيْعاً ﴾** [1] وَقَال جَلَّتْ قُدْرَتُـهُ : **﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ ﴾** [2].

(ويُروى) [3] أَنَّ النَّبِي ﷺ قَـال : الحَـزْمُ سُـوءُ الظَـنِّ [4] (ويـروى)[5] عَـنْ عَنْتَرَةَ الفَوارِس أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ كَثْرَةِ ظَفَرِهِ فِي حُرُوبِهِ وَعَدَمِ نَيلِ عَدُوِّهِ مِنْـهُ فَقـال: مَـا كَذَّبْتُ عَلَى عَدُوِّي خَبَراً ، وَلابِتُّ مِنْهُ إِلا عَلَى حَذَرٍ .

---

١ - سورة النساء آية ٧١.

٢ - سورة الأنفال آية ٦٠

٣ - ما بين حاصرتين بياض في الأصل

٤ - ورد الحديث في كنز العمال ج ٣ رقم ٧١٥٤ .

٥ - ما بين حاصرتين بياض في الأصل .

وَبالجُمْلَةِ فإنَّهُ يَجبُ أَنْ يَكُونَ سيِّىء [1] الظّنِ بعَدُوّهِ بكُلِّ حَالٍ آخِذاً حَذَرَهُ مِنْهُ ، مُعَظماً لأَمْرِهِ فِي نَفْسِهِ ، مُسْتَعِدّاً لَهُ بمَا فَوْقَ قَدْرِهِ ، فإِنَّهُ إِذَا أَعدَّ لَهُ مَا هُوَ أَكْثَرَ مِنْهُ ثُمَّ وَجدَ أَمْرَهُ حَقِيراً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ ، وَإِنْ وَجَدَهُ كَبيراً كان قَدْ أَعَدَّ لَهُ مَا يُكَافيهِ ، أَو يَزِيدَ عَلىَ مكافاته فَيَكُونَ قَدِ اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ فِي التأَهبِ ، والنَّصرُ مِنْ (عِنْدِ الله)[2] تَعَالى وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَأْمَنَ عَدُوَّهُ وإنْ بَعُدَ عَنْهُ ، وَلايَأْخُذَ فِي لِقَائِهِ بالهُوَيْنَى[3] إذا قَرُبَ مِنْهُ ، وَلايَتْرُكَ مُعَاجَلَةَ لِقَائِهِ حَيْثُ تَحَقَّقَ قَصدُهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَتَى تَرَكَ ذَلِكَ فِي وَقْتِهِ حَتَّى فَاتَهُ كان قَدْ ضَيَّعَ الحَزْمَ ، وَإِذا دَخَلَ عَلى نَفْسِهِ الخَوْفُ ، وَعَرَّضَ أَمْرَهُ لِلنَّدَم فَإِنَّ الفُرْصَةَ مَا لاتَعُودُ[4] إِذَا ضُيِّعَتْ ، وَالحَزْمُ أَنْ يَسْتَعِدَّ للأَمرِ قَبْلَ وَقْتِهِ لِيَجِدَ ذَلِكَ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ .

---

١ - في المخطوط (على الظن) والصواب ماأثبتناه لاتساق المعنى

٢ - مابين حاصرتين زيادة عن الأصل .

٣ - في المخطوط الهوينى .

٤ - في الأصل ما تعود .

الفَصْلُ الثّاني[1]
في التّحرُّز باتّخاذِ الأَسْوَار وَالخَنَادِقَ عَلى المدن وَالحُصُون وَنصْبِ المرايَا بَالأمْكِنهِ العَالِيَةِ لِلنّظَرِ (عَلى)[2] الأَسْوَارِ وَالخَنَادِق

فَإِنّهُ لَـمْ تَـزَلِ المُلُوكُ فِـي كُـلِّ زَمَـنٍ يُحَصِّنُـونَ المُـدْنَ وَالحُصُـونَ وَالقِـلاعَ بالأَسْوَارِ العَالِيَةِ وَالخَنَادِقِ الدَّائِرَةِ المُمْتَلِئَةِ بالمَـاء ، وَلايَخْفَـى(مـافي)[3] ذَلِـكَ مِـنْ عَظِيمِ النَّفْعِ فِي المُدَافَعَةِ عِنْدَ الحِصَارِ ، إِذَا هَجَمَ العَدُوُّ عَلىَ المَدِينَةِ أَوْ الحصن بَغْتَةً.

ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّـى ا لله عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ احْتَفَـرَ خَنْدَقـاً عَلـىَ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَومَ الأَحْزَابِ ، وَأَنّهُ صَلَّى ا لله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَعْمَلُ فِيهِ بنَفْسِه ، وَلَوْلا مَا فِي ذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ الكَامل لَما فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى ا لله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَـدْ شُوْهِدَتْ مُدُنٌ وَقِلاعٌ كَثِـيرَةٌ نَزَلَـتْ عَلَيْهَـا الجيـوْشُ العَظِيمَـةُ وَحَاصَرَتْهَـا الحِصَـار الشَّدِيْد فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهَا بِطَائِلٍ .

وَلَمْ تَزَلْ مُلُوكُ الجَاهِلِيَّةِ تَهْتَمُّ بذَلِكَ وَتَحْفَلُ بِهِ غَايَةَ الإحْتِفال حَتىَ يُقَال : إِنَّ سُورَ أَنْطَاكِيَةَ مِن بلادِ الشَّامِ مُحِيطٌ بهَا وَبَقَلْعَتِهَا ، وَدَاخِلـهُ خَمْسَـة أَجْبُـلٍ ، حَتَّى لاتكُون مُشْرِفَةً عَلَيْهَا مِن خَارِجهَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا العَدُوُّ مِنْهَا.

بَنَت دَلُوكَةُ[4] المَعْرُوفَةُ الَّتِي مَلَكَتْ مِصْرَ بَعْدَ فِرعَوْنَ ــ لَعَنَـهُ ا لله ــ عَلَـى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ سُوراً مِن الطُوبِ اللَّبِن مُمْتَدّاً عَلى جَمِيعِها مِـن العَرِيـشِ إِلى أُسْوَان

---

١ – الزيادة لازمة من ثبت الأبواب فيما مضى .

٢ – الزيادة لازمة، ومكانها بياض .

٣ – زيادة عن الأصل .

٤ – دلوكة بنت الزبّاء، كانت صاحبة عقل وكمال، وتجارب ومعرفة، وكانت في زمن موسى عليه السّلام، يقال إنها ملكت مصر بعد غرق فرعون وجنوده، فحصّنت مصر بسور أحاط بجميع أراضي مصر. (حسن المحاضرة ٤٦/١ ـ ٤٧ الرّوضة الفيحاء في تواريخ النساء، للعمري ص٤١٥ وما بعد) .

مِنَ الجَانب الشَّرْقِي وَالجَانبِ الغَرْبِيّ فِي سَفْحِ الجَبَلِ ، وَجَعَلَتْ فِيهِ أَبْرَاجاً وَمَحارسَ [1] علىَ كُلِّ ثَلاثَةِ أمْيَال ، وَأقَامَتْ عَلَيْهِ حُرَّاساً يَسْمَعُ بَعْضَهُمْ بَعْضاً حَتّى إذَا طَرَقَ جهَةَ أحَدٍ مِنْهُمْ طَارِقٌ تَسامَعُوا بِهِ حَتّىَ يَنْتَهِي الخَبَرُ إلَى قَصْرِ المَلَكَةِ فَتَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ ، وَأقْرَبِهِ ، وَأثَرُ هذَا السُّور بَاقٍ إلَى الآن فِي الجَبَلِ الشَّرقِي وَالجَبلِ الغَرْبِيّ ، وَقَدْ كان سُورُ القَاهِرَة فِي أوَّل بنائِهَا مِنَ الطُّوبِ اللِّبْنِ وَكان قَصْرُ الخِلافةِ بوَسَطِهَا مَكان المَدْرَسَةِ الصَّالِحيَّةِ وَمَا حوْلَهَا وَلَمْ يَكُنْ السُّورُ المَذْكُورُ حَصِيْناً لِكَوْنِهِ فِي وَطَاةٍ مِنَ الأرْضِ ، فَلَمَّا مَلَكَ السلطان صَلاح الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أيُّوبَ - رَحِمَهُ (الله) [2] تَعَالى ــ الدِيَار المَصْرِيَّة بَنَى قَلعَة الجَبَل عَلىَ مَكان مُرْتَفِعٍ وَأدَارَ سُوراً مِنَ الحَجَرِ عَلَيْهَا ، وَعَلىَ القَاهِرَةِ وَمِصْرَ جَمِيعاً ، وَأكثَرُهُ بَاقٍ إلى الآن .

وَأمَّا نَصْبُ المَرَايَا على الأمْكِنَةِ العَالِيَةِ لِلنَظَرِ ، فَقَدْ كان لِلمُلُوكِ اهْتِمَامٌ بِهِ فِي بلادِ الثغور ، حَتّى أنَّ الاسْكَنْدَر لَماَ بَنَى الاسْكَنْدرِيَّةَ جَعَلَ فِيْهَا مَناراً [3] طُولُهُ مئة ذِراعٍ ، وَنَصَبَ فِي أعلاه مِرآةً مِنَ أخْلاطٍ إذَا نَظَرَ فِيهَا الإنسَان رَأى البِلادَ التي يُقَابِلُهَا مِن جَزائرِ البَحْرِ وَمَايُصْنَع فِيهَا مِنْ عَمَارَةِ مَرَاكِبٍ وَغيرِهَا ، فَيَقَعُ التَأهُّبُ لَهُمْ ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ المُلُوكِ المَاضِيَةِ التِي يَقَعُ بِهَا الاحتِرَاسُ ، وَ(الله) [4] تَعَالى أعْلَمُ .

---

١ - في الأصل : ومحارساً .

٢ - زيادة عن الأصل .

٣ - انظر ما قيل عن منارة الاسكندرية : ثمار القلوب ٢/٧٥٤ ومجموعة المصادر في هامشه .

٤ - زيادة في الأصل .

الفَصْلُ الثَّالِثُ
فِي اسْتِطلاعِ أَخْبَارِ العَدُوِّ وَاسْتِعْلامِهَا لِيَقَعَ التَأَهُّبُ لَهُ

لاشَكَّ فِي أَنَّ اسْتِطْلاعِ أَخْبَارِ العَدُوِّ وَاسْتِعْلام أَمْرِهِ مِنْ أَهَمِّ الأُمورِ وَأَعْوَدِهَا نفعاً ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَعْلَم حَال عَدُوِّهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ قَصْدِهِ إِلَيْهِ أَو كَفِّهِ عَنْهُ ، فَيَكُون عَلىَ عِلم مِن أَمْرِهِ .

ثُمَّ لاسْتِطْلاعِ الأَخْبَارِ واسْتِعْلامِهَا عِنْدَ طَلَبِ سُرْعَةِ وُصُولِ الخَبَرِ أَسْبَابٌ: أَسْرَعُهَا ايقَادُ النِيرَان عَلىَ رُؤُسِ الجبَال ، وَهْوَ إِنَّهُ إِذَا حَدَثَ حَادِثٌ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ المَمْلَكَةِ مِن عَدُوٍّ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَكان هُنَاكَ جبَالٌ عَالِيةٌ ، فَإِنْ كان فِي اللَّيْلِ أُوْقِدَتِ النّار عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ عَال، وَإِنْ كان فِي النَّهار أُثيرَ الدُخَان فَيَراهُمْ مَنْ عَلى رَأْسِ الجبَل الذِي يَلِيْهِ ، فَيَقِدُ[1] كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِي إِلى المكان الذي يَقْصد الخَبر .

وَقَد كان فِي أَوَّل الدَّوْلَةِ التُرْكِيَّةِ عِنْدَ وُقُوعِ الحَرْبِ بَيْنَ مُلوُكِ الدِيَّارِ المِصْرِيَّةِ وَبَيْنَ التَتَرَ أُنَاسٌ مُرتبُّونَ عَلىَ رُؤُسِ الجبَال ، مُرْصَدُوْنَ لِذَلِكَ بمُرَتَّبَاتٍ عَلىَ السلطان مِن الفُرَاتِ إلى غَزَّةَ ، فَإِذَا حَدَثَ حَادِثٌ مِنْ جهَةِ التتر أَوْقَدُوا نَاراً وَدَخنُوا ، فَيَتَّصِلُ ذَلِكَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ مِنَ الفُرَاتِ إِلَى غَزَّةَ ، فَيَعْلَم أَنَهُ حَادِثٌ حَدَثَ فِيْ الجُمْلَةِ ، ثُمَّ يُرْسِلُ الحَمَامَ مِنْ غَزَّةٍ إِلَى مِصْرَ فيعلمَ خبرُ ذَلِكَ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ ، ثُمَّ بَطَلَ ذَلِكَ بوُقُوعِ الصُّلح بَيْنَ التَّتَرِ وَمُلُوكِ الدِّيَارِ المَصْرِيَّةِ . وَزَالَتْ مَعَالِمُهُ ، وَدونَ ذَلِكَ فِي سُرْعَةِ وُصُولِ الخَبَرِ الحَمام مِن كُل بَلَدٍ إِلَى البَلَدِ الآَخَر ، فَإِذَا حَدَثَ فِي أَحَدِ البَلَدَيْنِ التِي فِيْهَا الحَمَام حَادث كُتِبَتْ البَطَاقَات وَعُلقت

---

١ - يقدُ : يوقد النار .

بِأَجْنِحَةِ الحَمَامِ[1] وَأَرسلَتْ فَيَطلبُ بُرجه الـذى فِي بَلَـدِهِ ، فَيَحْضُـرُ فِـي أَسْـرَعِ وَقْتٍ ، وَلَكِنْ لاَيَشْبَعُ مَعَـهُ اسْتِيعَابُ الخَبَرِ عَلَى الطُول ، وَإِنَّمَـا يُلَـوَّحُ فِيـهِ بالضَّرُوريّ مِنَ الأَمْرِ لِيَقَع إحَاطَة العِلمِ بِهِ .

وَلاَيَخْفَى أَنَّ الحَمَام مِن أَسْرَع المواصلات ، فَإِنَّ الحَمَـامَ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ عِشْرِينَ يَوْماً فِي بَعْضِ يَوْمٍ ، فَقَدْ حَكَىَ ابْنُ سَعِيدٍ[2] فِي كِتَابه حَيا المَحْـلِ وَجنـى النحْل : أنَّ الوَزير أبـا[3] الفَرَجِ يَعْقُوبُ بنُ كِلِّسٍ [4] وَزِير العَزِيـزِ[5] أَحَـد خُلَفَـاء الفَاطِمِيّينَ قَال لَهُ العزيز: إنّي لَمْ أَرَ القَرَاصَيه[6] البَعلبكيَّـة قَـطُّ ، وَإِنـي أُحـبُّ أَنْ أَرَاهَا . وكان عِند الوَزير حَمَامٌ مِـن دِمَشْـقَ ، وَفِي دِمَشْـقَ حَمَـام مِـن مِصْـرَ ، فَكَتَبَ الوَزيرُ بطَاقَةً وَأَرْسَلَهَا فِي الحَمَامِ الذى كان عِنْـدُهُ إلىَ دِمَشْـقَ ، فَـأَمَرَهُمْ فِيْهَا بأَنْ يُعَلِّقُوا فِي كُلِّ طَائِرٍ مِن الحَمَام المِصْري الذي بدِمَشْق حَبَّاتٍ مِنَ القَرَاصِيَـة البَعلبكيَة ، فَوَصَلَ الحَمَامُ إِليهم بِذَلِكَ فَعَلقُوا القَراصِيَة في الوَقتِ بأَجْنِحَة الحَمَـام

---

١ – انظر تفصيلات مُسهبة حول الحمام الزاجل في كتابنا نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين ، ط مؤسسة الرسالة ١٩٩٠ م .

٢ – هو علي بن موسى بن سعيد الاندلسي صاحب كتاب «المُغرب في حُلى المَغرب»توفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ . انظر ترجمته في نفح الطيب ، وغيره من المصادر الأخرى .

٣ – في الأصل : أبو ، والصواب ماأثبتناه.

٤ – يعقوب بن كلس : وزير العزيز بـا لله الفـاطمي ، كـان يهودياً فأسلم ، لـه دور في أحداث مصر أيام الفاطميين ، انظر ترجمته المفصلة في سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٤٤٢ ت ٣٢٧ .

٥ – العزيز با لله، أبو المنصور، نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور إسماعيل، ولد سنة ٣٤٤هـ وبويع سنة ٣٦٥هـ ، وتوفي سنة ٣٨٦هـ (اتعاظ الحنفا ١/٢٣٦) .

٦ – القراصية: نبات يزرع في بلاد الشام، ويؤكل مطبوخا، ويسمى بالعامية (البراصية) ، ويقال : هو أشبه بالخوخ من الفواكه وهو الأرجح .

كَمَا أَمَرَهُمْ ، وَوَجَهُوا بهَا إلى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، فَطَلَعَ بِهَا الوَزِيرُ مِـنْ يَوْمِـهِ إلَى الخَلِيفَةِ فَأُعْجِبَ بذَلِكَ غَايَةَ الإعْجَابِ .

بَل رُبَّمَا زَادَ الحَمَام فِي قَطْعِ المَسَـافَةِ عَلـىَ هَـذَا القَـدْرِ ، فَـقَدْ حَـكَى صَاحِبُ[1] "الرَّوْض المِعْطَار فِي خَـبَرِ الأَقْطَـار " [2] : أَنَّ الحَمَـام كَـان يُرْسَـلُ مِـن مِصْر إلى البَصْرة[3] ، وَهيَ فَوق بَغْدَادَ فِي الشَّرْق بمَا يَزِيدُ عَلَىَ عِشْرِينَ يَوْماً .

وَحَكَى ابنُ سَعِيدٍ أَيْضاً فِي كِتَابـهِ : « المُغْرِب فِي أَخْبَـار المغـرب »[4] أَنَّ الوَزِيرَ اليَازُوْرِي[5] المغربي وَزِير المُسْتَنصِرِ الفَاطِمِي خَلِيفَة مِصْـرَ[6] ، وَجَّـهَ الحَمَـامَ

---

١ - صاحب الكتاب هو أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، ويعرف بابن عبد المنعـم، مـن أهل سبتة، كان من صدور الحفاظ. (الإحاطة ١٢٤/٣) ، والكتاب مطبوع بتحقيق د. إحسان عباس .

٢ - كتاب الروض المعطار، على غرار معجم البلـدان ليـاقوت الحمـوي، لكنـه انفـرد بوصـف بـلاد الأندلـس بشكل أخص.

٣ - البصرة: مدينة مشهورة على شاطىء الخليج العربي في العراق .

٤ - المغـرب في أخبار المغرب كتاب ألّفه بالموارثة ستة من الأندلسيّين، آخرهم علي بن موسى ، ابـن سـعيد، الذي ولد في سنة ٦١٠هـ وتوفي سنة ٦٨٥هـ وملأ صفحـات عمـره الطويـل بزيـارة خزائـن الكتـب في العـالم الاسلامي، وطوّف في العالم الاسلامي، وخلف ثروة ضخمة من الكتب: المغرب في حُلي المغرب ، الغصـون اليانعة ، المرقص والمطرب... انظر الدراسة عن المذكور بقلم دكتور شوقي ضيـف في كتـاب المغـرب في حُلـي المغرب، سلسلة ذخائر العرب رقم ١٠ طبع دار المعارف في القاهرة .

٥ - اليازوري: هو أحد وزراء الفاطميين في مصر، واسمه الحسن بن علي بن عبد الرحمـن اليـازوري، نسـبة إلى قرية في فلسطين تسمى يازور من قرى الرملة، انظر ترجمته المفصلة في اتعاظ الحنفا في أخبـار الأئمـة الفـاطميين الحنفـا ج٢ ص١٩٧ ـ ٣٣٢، ج٣ ص٣٢، ٨٤، ١٥٣، الاشـارة إلى مـن نـال الـوزارة ص٤، الأعـلام ج٢ ص٢٠٢ .

٦ - المستنصر با لله، أبو تميم، معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، ولد سنة ٤٢٧هـ وتوفي سنة ٤٨٧هـ (اتعـاظ الحنفا ١٨٤/٢ ومابعد).

مِنَ مَدينَةِ تُونُسَ مِن إِفْرِيقيَةَ مِن بلادِ المَغرِبِ فَجَاء إلَى مِصْرَ ، والعُهْدَةَ عَلَيْهِم فِي جَميع ذلكَ .

وَقَدْ كانتْ أَبْرَاجُ الحَمَام بِمَمْلَكَةِ الدِّيَار المِصْرِيَّةِ فِي الزَّمَنِ المُتَقَدِّمِ مُتَّصِلَةً مِنْ قَلعَةِ الجَبَل إلى قُوص[1] ثُمَّ إلى أَسْوَان وعَيْذاب[2] وَإلى الاسْكَنْدرِيَّة وَدِمْيَاطَ وَالسُّوَيس مِنْ طَرِيق الحَاج ، وَكَذلِكَ إلى دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَسَائِر النِّيَابَاتِ ، وَكَانَ لِذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ فِي سُرعَةِ اتصَال الخَبَر مالاخفاء فِيهِ عَلَى مُتَأَمِّلٍ.

وَدُونَ ذَلِكَ فِي سُرْعَةِ وُصُول الخَبر :البَرِيد ، وَهُوَ الذِي يَجِئُ بالكُتُبِ مُطَوَّلَةً وَبالأخبَار مُفَصَّلَةً ، فَإِنَّ البَريدَ يَقْطَع غَالِباً مَسِيرَةَ عِشْرِينَ يَوْماً فِي ثلاثة أيَّام، كَمَا يَقْطَعُ مِنْ دِمَشْقَ إلى مِصْرَ في هَذَا المِقْدَار ، وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدْ قَطَعَ بَعْضُ البَرِيدِيَّة مِنْ حَلَبَ إلى مِصْرَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام .

وَقَدْ كان البَرِيدُ مَوْجُوداً فِي زَمَنِ الأَكَاسِرَةِ مُلُوكِ الفُرْس ، والقَيَاصِرَةَ مُلُوكِ الرُوم اعتنَاءً منهم لشَأنهِ ، ثُمَّ قَرَّرَهُ فِي الاسْلامِ مُعَاوية ابنُ أَبي سُفْيَان أَحَدُ أَصْحَابِ النَّبي ﷺ فِي أَيَّام خِلافَتِه ، وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامَ خُلَفَاء بَنِي العَبَّاسِ ، وَخُلَفَاء بَنِي أُمَيَّةَ[3] ، يَسْتَمِرُّ تَارَةً وَيَنْقَطِعُ أُخْرَى ، بِحَسَب مَا يَقْتَضِيْهِ الحَال .

وكَان المقرَّر لَهُ بغَالاً مَقْصُوصَة الأَذْنَاب ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلامَةً لَهَا تَعْرِفهَا أَنَّهَا مِنْ بغَال البَرِيْد . وَتعَانَاهُ مُلُوكُ الإسْلام فِي أَكْثَر الأَقْطَار ، إلاَّ بنوُ زنكي مُلُوك الشَّام وَبَنُو أَيُّوبَ مُلُوكُ مِصْرَ ، فَإِنهُم أَعَدُّوا لِذَلِكَ الهُجن[4] المُتَنَخَّبَةَ السَابِقَة ،

---

١ – قوص: (مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً وهي محط التجار القادمين من عدن) معجم البلدان: قوص .

٢ – عيذاب : بليدة على ضفة البحر القلزم "الأحمر". هي مرسى المراكب القادمة من عدن إلى الصعيد. (معجم البلدان : عيذاب) .

٣ – كذا في الأصل، والصواب تقديم بني أمية على بني العباس في الترتيب .

٤ – الهُجن: هي نوع من الجمال السريعة العدو .

وَبَقِيَ الأَمْرُ عَلىَ ذَلِكَ إِلى أَنِ انقَرَضَت دَوْلَتُهُمْ وَجَاءَتْ الدَّوْلَةُ التُّرْكِيَّة وَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا وُلي المَلِكُ الظاهر بِيْبَرس[1] البُنْدُقْداري - رَحِمَهُ (الله)[2] السَّلطَنَةَ وَاجْتَمَعَ لَهُ مُلكُ مِصْرَ وَالشَّام وَحَلَب إِلَى الفُرَاتِ ، فَأَرَاد تَوَاصُل أَخْبَار المَمْلَكَة إِلَيهِ ، قَرَّرَ البَرِيدَ بالدِّيَار المِصْرِيَّةِ وَالبلادِ الشَّامِيةِ ، وَقَدْ كانتِ المَرَاكِز[3] البريدِيَّة مُتَّصِلةً مِنَ القَلعَةِ المَحْرُوْسَةِ إِلَى الإسْكَندرية ، وَإِلى دمْيَاط وَإِلَى قُوْص ، ثم مِن قوصَ يرْكَب الهجن إلى أَسْوَان وَعيذَاب ، وَكانتِ المرَاكِز مُتَّصلة مِنَ القَلعَة أيْضاً إِلى سَائر المَمَالِكِ الشَّامِيَة حَتَى تَتَّصل بالفُرَاتِ عَلىَ مَاهُوَ مقرَّر مَعْرُوفٌ ممَّا لاحَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهِ هُنا.

وَدُونَ ذلكَ فِي السُّرْعَةِ السُّعَاةُ ، وَهُمُ الذِينَ يَعْدُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ وَيُسَافِرُونَ بالمَلطفاتِ عِنْدَ تَعَذُّر وُصُولِ البريدِ إلى نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي ، وَهُوَ أَعْظَمُ مهمات السَّلطَنَة وَآكدها.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْن الأثير[4] فِي تَارِيخِهِ: أنَّ أَوَّل مَن اتَّخَذَ السُّعَاةَ مِنَ المُلُوكِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بن بُوَيْهِ ، أَوَّل مُلُوك الدَّيْلم بِبَغْدَادَ بَعْدَ الثلاثين وَالثلاثمئة مِنَ الهَجْرة ، وَكان سَبَبُ ذَلِكَ أَنهُ كان بِبَغْدَادَ ، وَأَخوهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ[5]

---

١ - بيبرس البندقداري: وردت ترجمته في ثنايا الكتاب .

٢ - زيادة عن الأصل .

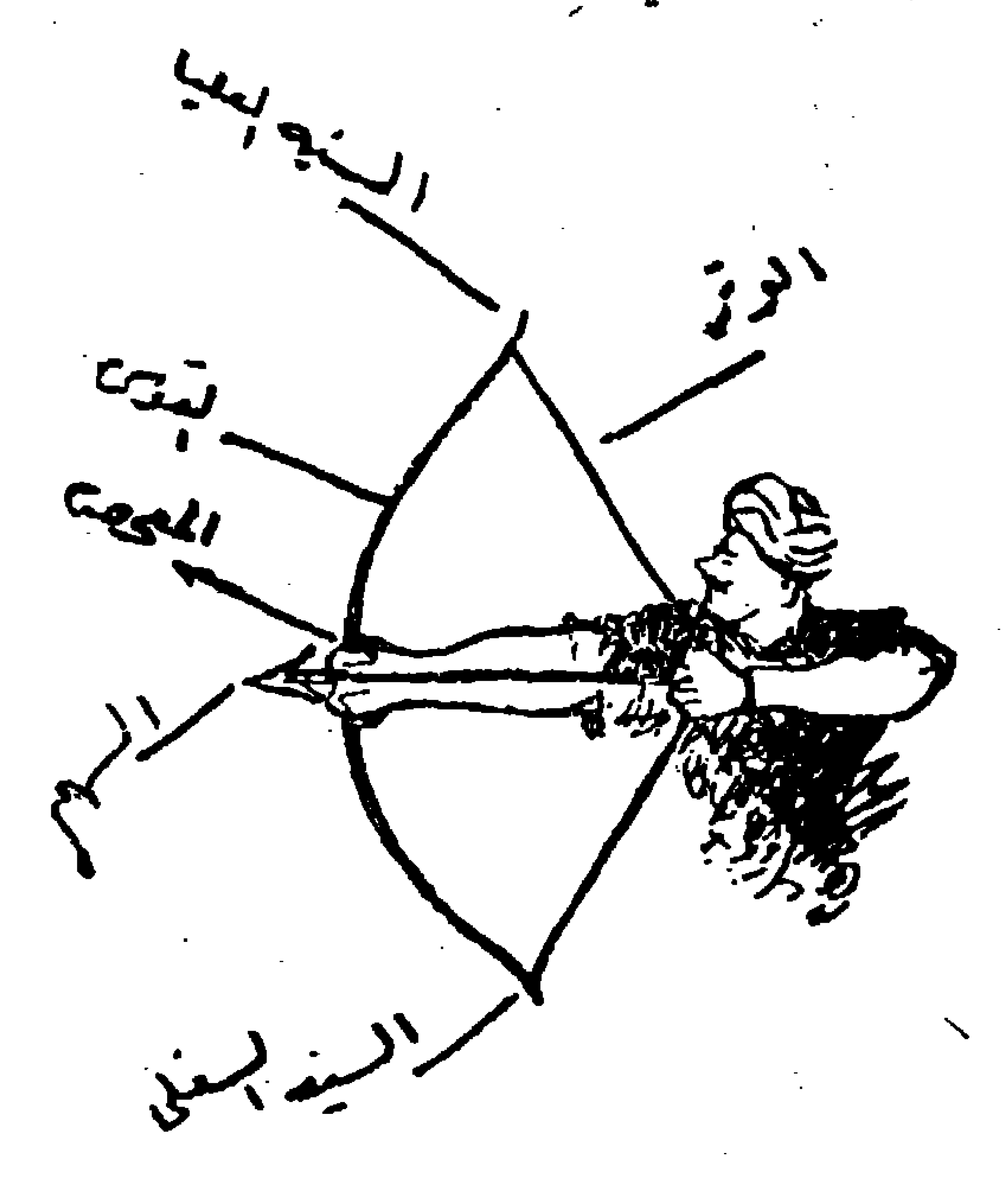
٣ - في الأصل: مراكز .

٤ - ابن الأثير: هو علي بن محمد الشيباني، الملقب عز الدين، ويعرف بابن الأثير، ولد سنة ٥٥٥هـ وتوفي في سنة ٦٣٠هـ أولف العديد من الكتب أبرزها الكامل في التاريخ ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة .

٥ - ركن الدولة البويهي (الحسن بن بويه): كان صاحب أصبهان والري وهمذان، توفي في سنة ٣٦٦هـ بالري، وكان مولده في سنة ٢٨٤هـ وملك أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام، (وفيات الأعيان ج٢ ص١١٨ ت١٧٦) .

بـــأصْبَهَان[1] ، فَأَرَادَ مُعِـزُّ الدَّوْلَـةِ سُرْعَةَ إِعْـلام أخيـهِ رُكـن الدَّوْلَـةِ بتجَـدُّداتِ الأَخْبَار ، فَاتَّخَذَ السُّعَاة وَانـتَشأَ فِي أَيَّامِهِ سَاعِيَان وَبَلَغَ مِنْ شَأْنِهِمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ منهمَا يَسِيْر فِي كُلِّ يَوْمٍ نيفاً وَأَرْبَعِينَ فَرْسَخاً[2] .

ودون ذلك في السُّرعة العُيُونُ وَالجَوَاسِيسُ ، وَهـيَ أَشـدّ الجَمِيـعِ إِبطَـاءً بالخَبر لِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِن اسْتِطْلاعِ الأَخْبَار وَاستِعْلامِهَا وَتَتبُّع آثَارِهَا ، وَسَيَأْتِي ذَلِكَ مُسْتَوْفىً فِي البَابِ الثَّاني - إِن شَاءَ الله تَعَالى .



الشكل رقم ـ ١٨ ـ

القوس العربي وكيفية شده (عن كتـاب « النفحـات المسكية في صناعة الفروسية »)

١ - أصبهان: مدينة عظيمة من مدن ايران اليوم، وكذلك يطلق على الاقليم كله أيضاً أصبهان (انظر أخبارهما في معجم البلدان ج١ ص٢٤٤ ترجمة ٧٢٩) .

٢ - الخبر في: الكامل في التاريخ ٥٧٥/٨ - ٥٧٦، والسّاعيان هما: فضـل ومرعـوش، وكـان أحدهمـا ساعي السُّنة والآخر ساعي الشّيعة .

البَابُ الثّاني
فِي العُيُون وَالجَوَاسِيسِ وَمَايَتعَلّقُ بذَلِكَ
وَفِيه ثلاثة فصُول

الفَصْلُ الأَوَّلُ
في الصَّفَةِ التي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ العُيُونُ وَالجَواسِيسُ عَلَيْهَا

قَدْ شَرَطوُا فِي الجَاسُوسِ شُرُوطاً يَتَعَيَّن الحِرصُ عَلَيْهَا .

– مِنْهَا : أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُوثَقُ بنَصِيحَتِهِ وَصِدْقِهِ ، فَإِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى العَدُو ، وَإِذَا كان مُتَّهَماً لاَيُنْتَفع بخَبَرِهِ وَإِنْ كان صَادِقاً ، لأنهُ رُبَّمَا أَخْبَر بالصِدْق فَاتُّهِمَ فِيهِ ، فَلا يُعْمَلُ بقَوْلِهِ فتَفُوتُ فِيهِ المَصْلَحَة بسَبَبِ ذَلِكَ ، بَل إن كان غَيْر نَاصِحٍ فَإِنَّهُ يَعُودُ بالضَّرَر عَلَى مُرْسِلِهِ لأنهُ يكُونُ عَيْناً عَلَيْهِ لا لهُ .

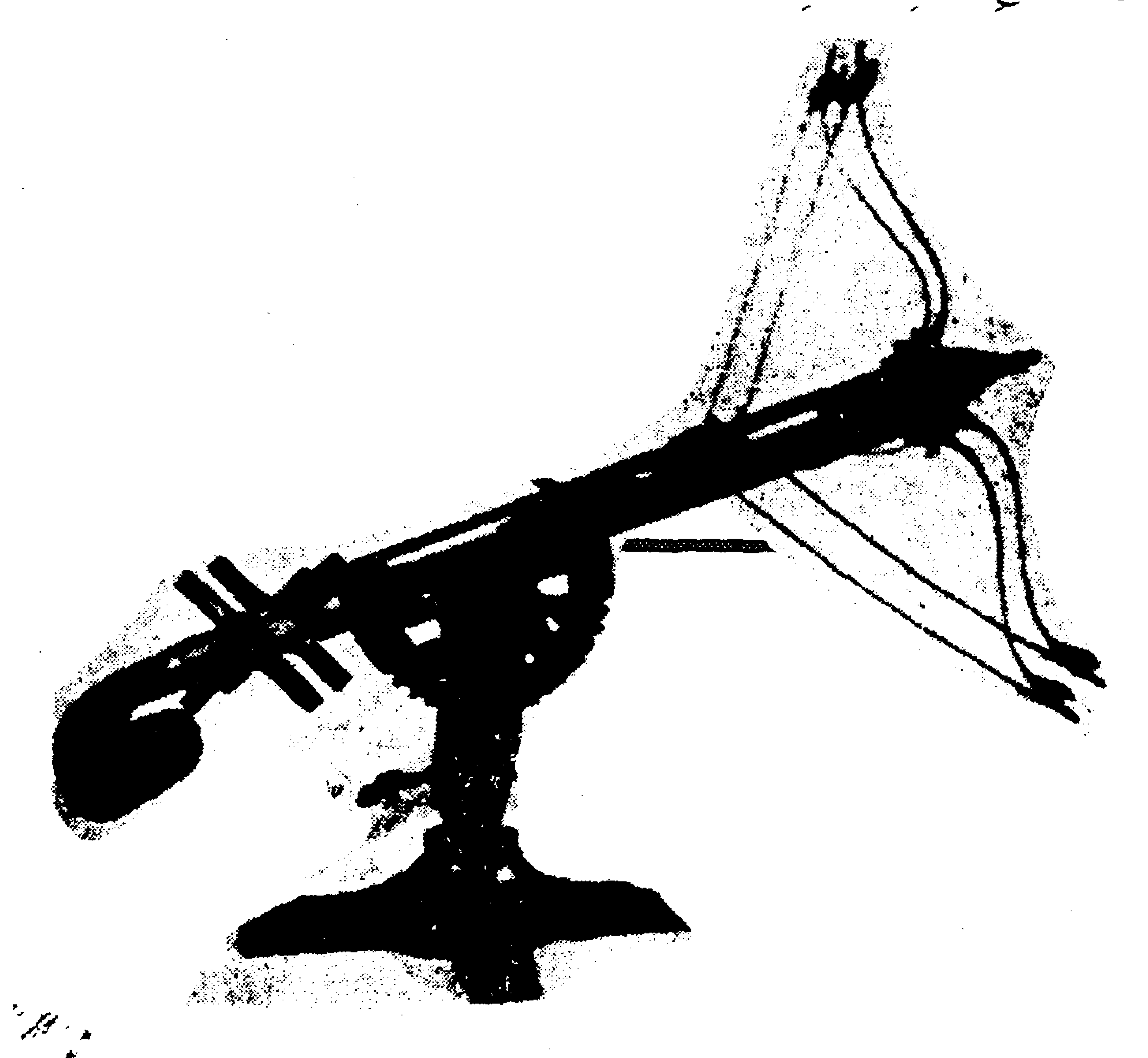
وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ ذَا حَدْسٍ صَائب وَفِرَاسَةٍ تَامَّةٍ ، لِيُدْرِكَ بوُفُور عَقْلِهِ وَصَائبِ حَدْسِهِ مِنْ أَحْوَال العَدُوّ بالمُشَاهَدَةِ مَا كَتَمَهُ العَدُوُّ عَن النُّطْق به ، وَيَسْتَدِلُ ببَعْضِ الأُمُور عَلىَ بَعْضٍ ، فَإِذَا أَخَذَ بالفرَاسَة فِي أَمْرٍ ثُمَّ لاحَ لَهُ أَمْرٌ آخَر قَوِيَ عِنْدَهُ وَاعْتَضَدَ بانضِمَامِ بَعْضِ القَرَائن إِلَى بَعْضٍ .

– وَمِنْهَا أنْ يَكُونَ كَثِيرَ الدَّهَاءِ وَالحِيَلِ وَالخَدِيعَةِ ، لِيَتَوَصَّلَ بدَهَائِهِ إِلَى مَوْصِلٍ، وَيَدْخُلَ بحِيلَتِهِ فِي كُلِّ مَدْخَلٍ ، وَيُدْرِكَ مَقْصَدَهُ مِنْ أَي طَرِيق أَمْكَنَهُ ، فَإِنَّهُ مَتَى كَان قَاصِراً فِي هَذَا البَابِ رُبَّمَا ظَفِرَ العَدوُّ بِهِ أَوْ عَادَ بغَيْرِ مَقْصُوده وَطِلبَته

وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ دُرْبَة بالأَسْفَار ، وَمَعْرِفَةٌ بالبلادِ التِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ، لِيَكُونَ غَنِيّاً عَن السُّؤَال عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا سَأَلَ رُبَّمَا تَنَبَّهَ لَهُ العَدُوُّ وَفَطِنَ بِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَباً لِهَلاكِهِ ، بَل رُبَّمَا عُوقِبَ ، فَدَلَّ عَلَى حَال مُرْسِلِهِ فَيَكُون عَيْناً عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كان عَيْناً لَهُ .

- ومِنْهَا أنْ يَكُونَ عَارِفاً بِلِسَان أَهْلِ البلادِ التي يَتوجَّه إِلَيْهَا لِيلتقِطَ مَا يَقَع مِنَ الكَلام الذي يَسْمَعُهُ مِمَّنْ يُخَالِطُهُ مِنَ العَدُوِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ لايَكُونُ مِن جِنْس العَدُوِّ ، فإن الجنْسَ يَمِيلُ إلى الجنْسِ بالطَّبْع ، فيَفْسد الأَمْر عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ .

- وَمِنْهَا أنْ يَكُونَ صَبُوراً عَلَى مَالعَلَّهُ يَصِيرُ إِلَيْه مِنَ العُقُوبَةِ إِذَا ظَفِرَ بِهِ العَدُوُّ ، حَتَّى لا يُخْبِرَ بأَحْوَال مُرْسِلِهِ وَلا يَطَّلِع عَلَى وَهنٍ فِيهِ وَفِي عَسْكَرِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ لا يُخَلصُهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَلايَدْفَع عَنْهُ سَطْوَتَهُ ، فَإذَا وَجَد مِنَ العُيُون وَالجَوَاسِيس مَنْ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى هَذِه الشُّرُوطِ كَان حَقِيقاً بالإرْسَالِ فِي المَهَمَّاتِ وَاسْتِطْلاعِ أَخْبَارِ الأعْدَاءِ .



الشكل رقم - ٣٠ -
هيكل مصغر لقوس الزيار العربي (عن متحف القاهرة الحربي)

الفَصْلُ الثّاني
فِيمَا يَجبُ مِن إكْرَامِ العُيُون وَالجَوَاسِيسِ وَالأَخْذ بِقُلُوبِهِم

يَنْبَغي لِلمَلِكِ وَصَاحِبِ الجَيْشِ إذَا اخْتَارَ عَيْناً أَوْ جَاسُوساً أَنْ يُظْهِرَ لَهُ الوُدَّ وَالمُصَافَاةَ وَيُتْحِفَهُ بِالإحْسان ، وَيَعدهُ بِالمَزِيدِ ، وَيَتَعَاهَده بِالصِّلاتِ[1] فِي كُلِّ وَقْتٍ قَبْلَ احْتِيَاجِهِ إلَيْهِ ، وَيَزِيد فِي الإحْسَان إلَيهِ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ فِي المَهَمَّاتِ ، وَيَتَعَهَّدُ أَهْلَهُ بالبرِّ فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ ، لِيَملك بِذَلِكَ قَلبَه وَيُصفيَ خَاطِرَهُ ، وَلا يَنْظُرَ إلى إنحِطَاطِ رُتبَتِهِ وَصِغَرِ قَدْرِهِ إذَا كان صَغِير المِقدَار ، فَإنَّ الأَمْر الذي هُوَ فِيهِ كَبِيْرٌ .

إنْ قُضِيَ عَلىَ مَنْ وَجَّهَهُ مِنْهُمْ إلَى العَدُو بمَوْت أَو قَبَضَ العَدُوُ عَلَيْهِ ، أَحْسَنَ إلى مَنْ خَلَّفَهُ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجعَلَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ بالإحْسَان مَا كان يَجْعَلُهُ لَهُ إذَا عَادَ ، لِيَكُونَ دَاعِياً لِغَيْرِهِ عَلَى النَّصِيحَةِ ، وإنْ قدَّرَ أَنَّ أحَداً منْهُمْ عَادَ غَير ظَافِرٍ بِقَصْدِهِ ، وَهُوَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِقَوْلِهِ فَلاَ يُظْهِر لَهُ وَحْشَةً ، وَلايَلُومُهُ[2] عَلىَ ذَلِكَ ، وَلا يُوَبِّخهُ عَلَيْهِ ، بَل يُوْلِيهِ الجَمِيلَ وَيُعَامِلُهُ بِالإحْسَان ، فَإنهُ إذَا لَمْ يَصْعَد لَهُ شَيءٌ فِي هَذِهِ المَرَّةِ صَعَدَ لَهُ فِي المَرَّةِ الأُخْرَى .

---

١ - في المخطوط بالصلاة .

٢ - كذا في الأصل، والوجه: ولايَلمهُ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ
فِيمَا يَجبُ عَلَيْهِ مِنْ تدْبير عُيُونِهِ وَجوَاسِيسِهِ

عَلىَ صَاحِبِ الجَيش أنْ لايُعرِّفَ أحداً مِنْ عَسْكَرِهِ بأَحَدٍ مِنْ جوَاسِيْسِهِ ، فَإنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى انتِشَارِ الخَبَر وَظُهُورِهِ ، بَل إن اسْتَطَاعَ أنْ لايَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ جوَاسِيْسِهِ وَاسِطَةً فَعَلَ ، وَإنْ لَمْ يُمْكِنهُ ذَلِكَ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَاحِداً مِنْ خَوَاصِّهِ يُوصِلُهُ إِلَيْهِ بمُفْرَدِهِ .

وَعَلَيْهِ أَيْضاً : أنْ يَحْتَرِزَ أنْ لاَيَعْرِفَ جَواسِيْسُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً رُبَّمَا اتَّفقُوا عَلىَ أَمْرٍ فَرَتَّبُوهُ وَأَخبَرُوا بِهِ إِذَا رَجَعُوا ، وَتَوَافَقُوا عَلىَ مُمَالأَةِ(١) العَدُوِّ وَالمَيْلِ إِليه ، بخِلافِ مَا إِذَا لَمْ يَعْرِف بَعْضُهُم بَعْضاً ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْهُم يَأْتِي بخَبَرٍ عَلىَ حِدتِهِ ، وَيَظْهرُ الصَّحِيحَ مِنْهَا وَالسَّقِيمَ بقَرَائِنِ الأَحْوَالِ ، وَلَيْسَ مُمَالأَةُ البَعْضِ لِلعَدُوِّ كَمُمَالأَةِ الكُلِّ .

وَعَلَيْهِ أنْ يُصْغِيَ إِلَى مَايُلقِيهِ كُلٌّ مِنْ جَوَاسِيسِهِ وَعُيُونِهِ ، وَإن اخْتَلَفَتْ أَخْبَارُهُمْ ، وَيَأْخذَ بالأَحْوَطِ فِيمَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلايَجْعَلُ اخْتِلافهُم ذَنْباً لأَحَدٍ مِنْهُمْ ، فقَدْ تَخْتَلِفُ أخْبَارُهُم ، وَكُلٌّ مِنْهُم صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُهُ ، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُم قَدْ يَرَى خِلافَ مَايَرَاهُ الآخَر ، وَيَسْمَع غَيْرَمَا يَسْمَعُهُ ، وَإِذَا عَثَرَ عَلىَ أَحَدٍ مِنْ جَوَاسِيسِهِ الثقاةِ(٢) النصَحَاء بزَلةٍ سَتَرَهَا عَلَيْهِ ، فَلا يُعَاقِبُهُ عَلَيْهَا ولا يُوَبِّخُهُ(٣) إِلاَّ أَنْ يَرَىَ فِي التَّوْبِيخِ مَصْلَحَةً ، فَإِنَّهُ يُوَبِّخُهُ بخَلوَةٍ ، وَيُعَاتِبُهُ عَلىَ ذَلِكَ عَتَباً لَطِيفاً ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْعَى لاسْتِصْلاحِهِ .

---

١ - ممالأة: مداهنة، وموافقة للعدو، وفي الأصل وردت ممالأت في كلا الموضعين .

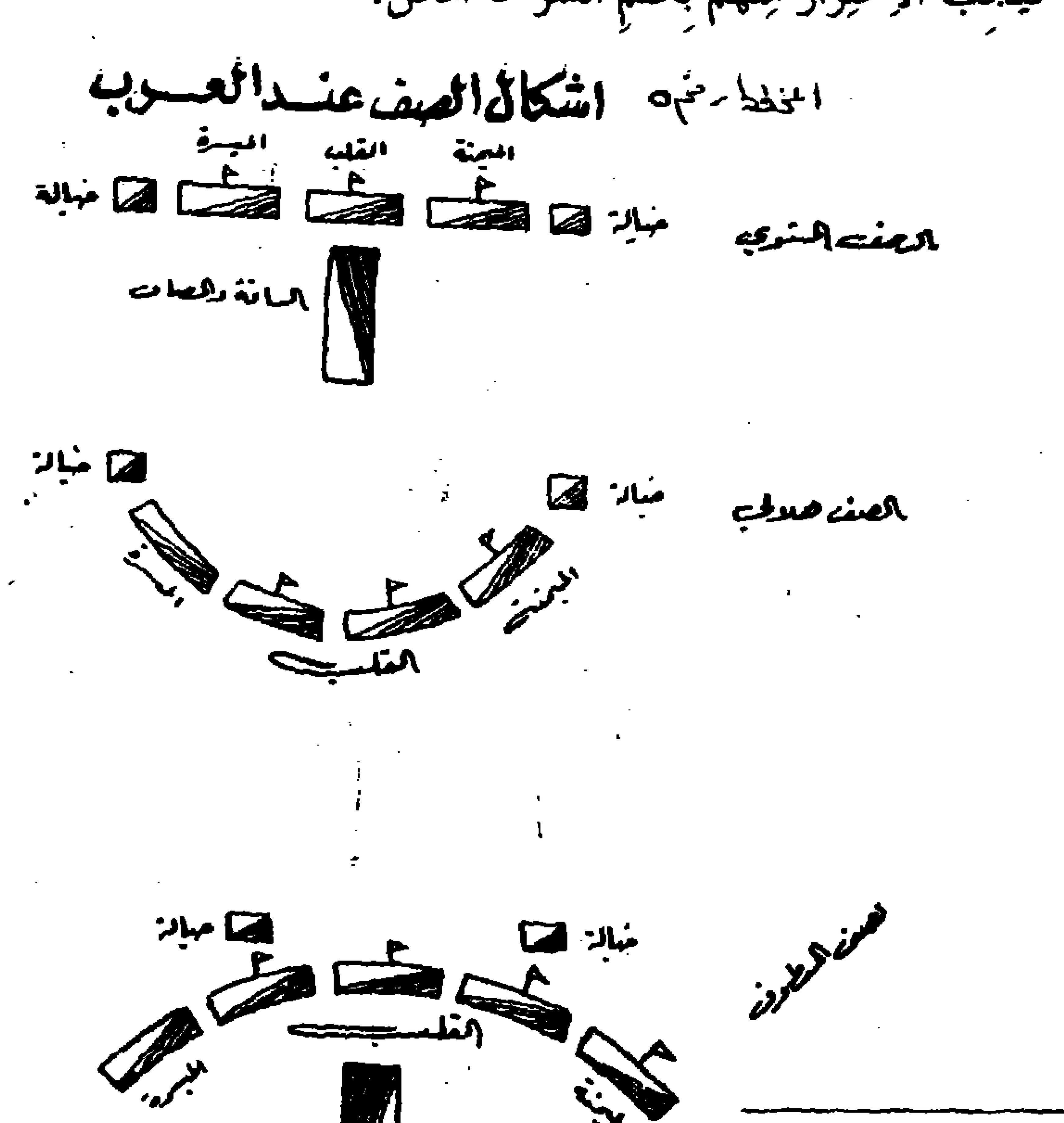
٢ - في الأصل الثقات .

٣ - في الأصل : ولم يعاقبه عليها ولم يوبخه .

وَإِذَا حَضَرَ إِلَيه جَاسُوسُه يُخْبِرُ عَنْ عَدُوِّهِ ، اسْتَعْمَل فِيهِ التَّثَبُّتَ وَدَوَامَ البِشْرِ ، مِنْ غَيرِ أَن يُظهِرَ لمن أتاهُ بالخَبرِ سُرُوراً بِمَا قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ خَبَرِ عَدُوِّهِ وَلا فرحَةً بِه ، بحَيْثُ (لا)[1] يُظْهِرُ مَعَهُ الخِفَّة ، وَلاَ إعْرَاضاً يُفوِّتُ قَدْرَ المُنَاصَحَة، وَلاَ يُظْهِر لِجَاسُوسِه كَرَاهَةَ مَا يَأْتِيهِ بِهِ مِنَ الأَخْبَارِ المَكْرُوهَةِ ، فَإِن ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَدْعِي كتمَان السِّرِّ عَنْهُ فِي الأُمُورِ المَكْرُوهَةِ ، فَيُؤَدِّي إِلَى الإضْرَارِ .

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ المُلُوكِ أَنَّهُ كان يُعْطِي مَنْ يَأْتِيهِ بالأَخْبَارِ المَكْروهَةِ أَكْثَرَ مِنَ الذِىْ يَأْتِيهِ بالأَخْبَارِ السَّارَّةِ . وَيَقُولُ : إِنَّ الذيْ يَأْتِينى بِالأُمُور المَكْرُوهة قَدْ نَبَّهَنِي عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَتِي .

وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ الجَيْشِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ عَسْكَرَهُ مِنْ حَوَاسِيسِ عَدُوِّهِ ، فَيَجبُ الاحْتِرَازُ مِنْهُمْ بِكَتْمِ السِّرِّ مَا أَمْكَنَ.



---

١ – زيادة عن الأصل لإستقامة المعنى .

البَابُ الثَّالِث
فِي الرسُلِ وَمَا يَتعيَّنُ أنْ يَكُونوا عَلَيْهِ مَن الصِّفَاتِ وَمَا يَستحِقُّ مَنْ خرَجَ مِنهُم عَنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ
وفِيهِ فصْلان

الفَصْلُ الأوَّلُ
في صِفاتِهِم

قَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ المُتَكَلِّمُون فِي آدَابِ المُلُوكِ أنَّهُ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ رَسُولُ المَلِكِ ذَكِيَّ الفِطْنَةِ ، صَحِيحَ المِزَاجِ ، بَصِيراً بِالأُمُورِ ، عَارِفاً بِالأحْوَال ، عَالِماً بِمَوَاقِعَ الكَلاَم .

كان أزْدَشِيرُ بنُ بَابكَ[1] أحَدُ مُلُوك الفُرْسِ يَقُولُ :

كَمْ مِنْ دَمٍ سَفَكَهُ الرَّسُولُ بِغَيرِ حِلِّهِ ، وَكَمْ جُيُوشٍ هُزِمَتْ بِذَلِكَ وَقُتِلَ أكْثَرُهَا ، وَكَمْ حُرْمَةٍ إنتُهِكَتْ[2] ، وَمَالٍ قَدْ نُهِبَ ، وَعَهْدٍ قَدْ نُقِضَ ، بِخِيانةِ الرُّسُلِ ، وَأكَاذِيبَ مَا يَأتُونَ بِهِ[3] .

وَقَد شَرَطُوا فِي رَسُولِ المَلِكِ شُرُوطاً :

مِنْهَا أنْ يَكُونَ صَدُوقاً قَلِيلَ الطَّمَعِ .

---

١ - أزدشير بن بابك: أحد ملوك الطوائف ببلاد فارس، تغلّب أولاً على مدينة إصطخر، ثم استولى بحكمته على جميع بلاد فارس، ودام حكمه أربع عشرة سنة ونصفاً. تاريخ سني ملوك الأرض ص ٣٦ ، المعارف ص ٦٥٣ .

٢ - في الأصل : انتهكت .

٣ - القول في: عهد أزدشير ص٩١، والتاج المنسوب للجاحظ ٢١٦، والمحاسن والمساوىء ٢٥٥/١.

فَقَدْ حُكِيَ[1] أَنَّ الإسْكَنْدَر[2] وَجَّهَ رَسُولاً إلى بَعْضِ مُلُوكِ المَشْرِق ، فَجَاءَ برِسَالَةٍ شَكَّ الإسْكَنْدَرُ فِي حَرْفٍ مِنْهَا ، فَقَال لَهُ الإسْكَنْدَرُ : وَيْلَكَ ، إنَّ المُلُوكَ لاتَخْلُو مِنْ مُقَوِّمٍ وَمُسَدِّدٍ إذَا مَالتْ ، وَقَدْ جِئْتَنِي برِسَالةٍ صَحِيحَةِ الألفَاظِ بَيِّنَةِ المَعَاني ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِيهَا حَرْفاً يُنَاقِضُهَا ، فَعَلَى يَقِينٍ أَنْتَ مِنْ هَذا الحَرفِ ؟ أَمْ أَنْتَ شَاكٌّ فِيه ؟ فَقَال الرَّسُولُ: بَل أنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ أَنَّهُ قَالهُ . فَأَمَرَ الإسْكَنْدَر أَنْ تُكْتَبَ الألفَاظُ حَرْفاً حَرْفاً ، وَتُعَادَ إلَى المَلِكِ مَعَ رَسُولٍ آخَر ، فَتُقْرَأَ عَلَيْهِ ، وَتُتَرْجَمَ لَهُ ، فَلَمَّا قُرِئَ الكِتَاب عَلَى المَلِكِ مَرَّ بذَلِكَ الحَرْفِ ، فَأَنْكَرَهُ ، وَقَال لِلمُتَرْجِمِ : ضَعْ يَدي عَلَى هَذا الحَرْفِ ، فَوَضَعَهَا ، فَأَمَرَ بعَلامَةٍ فَوُضِعَتْ عَلَيْه ، وَكَتَبَ ذَلِكَ المَلك إلَى الإسْكَنْدَر كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ : إنَّ مِن أُسِّ المَمْلَكَةِ صِدْقُ لَهْجَةِ الرَّسُولِ ، إذْا كَانَ عَنْ لِسَانِهِ يَنْطِقُ وَإلَى أُذُنِهِ يُؤَدِّي. فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ إلى الإسْكَنْدر دَعَا رَسُولَهُ الأوَّل وَقَال : مَا حَمَلَكَ عَلى كَلِمَةٍ قَصَدْتَ بهَا فَسَادَ مَلِكَيْن ؟ فَذكَرَ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ مِنْهُ لِتَقْصِيرٍ مِنَ الملك فِي حَقِّه . فَقَال لَهُ الإسْكَندر : فَأَراكَ لِنَفْسِكَ قَدْ سَعَيْتَ لاَلَنَا ، فَلَمَّا فَاتَكَ مَاأَمَّلتَ مِمَّا لاتَسْتَحِقُّهُ على مَنْ أُرْسِلتَ إليهِ جَعَلتَ ذَلِكَ ثَأْراً تُوْقِعُهُ فِي الأنْفُسِ الخَطِيرَةِ الرَّفِيعَةِ؟ ثُمَّ أَمَرَ بلِسَانهِ فَنُزِعَ مِنْ قَفَاهُ .

– وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ حَسُوراً مِقْدَاماً ، فَإنَّهُ مَتىَ كان جَبَاناً امْتَنعَ عَلَيْهِ تَأدِيَة الأُمُورِ المَكْرُوهَةِ إلَى المَلِكِ الذى أُرْسِلَ إليه خَوْفاً مِنْهُ وَرَهْبَةً .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَى أَنَّ مُعَاويَةَ بْنَ أَبي سُفْيَان أَحَد أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ فِي خِلافَتِهِ أَرْسَلَ رَسُولاً إلَى مَلِكِ الرُّومِ وَأَعْطَاهُ دِيَةَ رَجُلَيْنِ عَلَى أَنَّهُ إذَا أَدَّى الرِّسَالةَ إلَى المَلِكِ وَفَرَغَ مِنْ كَلاَمِهِ مَعَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ بالأَذَان بَيْنَ يَدَيْهِ .

---

١ – النص في: التاج المنسوب للجاحظ ص٢١٧، والمحاسن والمساوىء ٢٥٧/١.

٢ – الإسكندر بن فيليبس المقدوني، الملقب بذي القرنين، مشهور معروف. انظر بعض أخباره في: مروج الذهب ٨/٢ ومابعد .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ، وَأَدَّى الرِّسَالةَ ، رَفَعَ صَوْتَهُ بالأذان بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَمَّ البَطَارِقَةُ بِقَتْلِهِ ، فَمَنَعَهُمُ المَلِكُ وَقَال : لَيْسَ هَذَا مِنْهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، فَإِنهُ أَرَادَ أَنْ أَقْتُلَ هَذَا الرَّسُولَ ، فَيَقْتُلَ كُلَّ مُسْتَأمِنٍ[1] فِي بِلادِ الإِسْلَامِ ، وَيَهْدِمَ كُلَّ كَنِيسَةٍ فِيهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ أَكْرَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلى مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا عَادَ وَرَآهُ مُعَاوِيَةُ ضَحِكَ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الخَبَرَ ، وَذَكَرَ لَهُ مَا قَالهُ مَلِكُ الرُّوْمِ ، فَقَال : وَ مَا أَرَدْتُ إلاَّ ما قال .

- وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِمَوَاقِعِ الخطابِ ، والجَوابِ ، أَمَّا الخِطَابُ : فَلأَنَّهُ إِذَا كان عَارِفاً بِمَوَاقِعِهِ أَوْرَدَ الكَلامَ فِي مَوْقِعِهِ ، وَقَامَ بالحُجَّةِ عَلىَ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ .

كَمَا رُوِيَ[2] أَنَّ النَّبيَ ﷺ لَمَّا وَجَّهَ دِحْيَةَ الكَلْبىَّ[3] ﷺ إِلى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّوْمِ بِالشَّامِ ، قَال لِهِرَقل : نَاشَدتكَ الله ، أَتَعْلَمُ أَنَّ المَسِيحَ كَانَ يُصَلِّي؟ قَال: نَعَمْ قَال : فَإِنِي أَدْعُوكَ إِلىَ مَنْ كان يُصَلِّي لَهُ المَسِيحُ !!

فَانظُر إِلىَ هَذَا الخِطَابِ المُلزِمِ بِتَحَتُّمِ الحُجَّةِ ، لأَنَّ النَّصَارَى يَعْتَقِدُونَ فِي المَسِيحِ أنهُ إِلهٌ ، وَالإِلَهُ لايُصَلِّي لِغَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا يُصَلِّي العَبْدُ ، فَلَمَّا قَرَّرَهُ بِصَلاةِ المَسِيحِ أَلزَمَهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ المَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدٌ لله تَعَالى .

وَأَمَّا الجَوابُ : فَإِنَّهُ إِذَا كان عَارِفاً بِمَوَاقِعِهِ فَوَرَدَ عَلَيْهِ سُؤَالٌ : أَجَابَ عَنْهُ بِمَا يَقْطَعُ الخَصْمَ وَيَدْفَعُهُ .

١- المستأمن: من أهل الذمّة .

٢- الخبر في الروض الأنف، للسهيلي ٣٥٥/٢ ونسب الى دحيه شعراً مصنوعاً بهذا المعنى في ٣٥٩/٢. (ط.الجمالية بمصر ١٩١٤م) .

٣ - دحية الكلبي : هو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ، صحابي جليل ، انظر أخباره المفصلة في سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٥٠ ت ١١٦ .

كَمَا رُوِي أنَّ حَاطِبَ بنَ أَبي بَلتَعَة[1] رَضِيَ الله عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ النَّبيُّ ﷺ إلَى المُقَوْقِس مَلِكِ مِصْرَ ، سَأَلَهُ المُقَوْقِسُ عَنْ حَال النَّبيِّ ﷺ فِي القِتَال ، وَأَنَّهُ هَل يَغْلِبُ قَوْمَهُ أَوْ يَغْلِبُونَهُ ؟ فقَال : الحَرْبُ بَينَهُ وَبَيْنَهُمْ سِجَالٌ ، تَارَةً لَهُ وَتَارَةً عَلَيْهِ ، فَقَال لَهُ المُقوقِسُ: النَّبيُّ يُغْلَبُ؟ فقَال لَهُ حاطِبُ : فَالإلَهُ يُصْلَبُ ؟ فَسكَتَ المُقَوقِسُ[2] .

وَذَلِكَ أَنَّ المُقَوقِسَ أَرَادَ أن يُقِيمَ الحُجَّةَ عَلَى حَاطِبٍ بأَنَّهُ رُبَّمَا غُلِبَ فِي الحَرْبِ ، وَالنَّبيُّ لايَلِيقُ بِهِ ذَلِكَ فِي زَعْمِهِ ، فَنَاقَضَهُ حَاطِبٌ رَضِي الله تَعَالى عَنْهُ بأَنَّ النَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّ المَسِيحَ إلَه ، وَيَقُولُونَ : إنَّ اليهودَ قَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ ، وَذَلِكَ مِمَّا لايَلِيقُ بالإلَهِ ، وَلَو كان إلَهاً كَمَا يَزْعُمُون لَمَّا تَسَلَّطَ عَلَيْهِ اليهود بالقَتْلِ وَالصَّلبِ بزَعْمِهِمْ .

فَإذَا حَصَلَ رَسُولُ المِلكِ عَلى هذهِ الشُّرُوط وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَانَ حَقيقاً بأَنْ يُرْسَلَ فِي المَهَمَّاتِ ، وَيَمْشِي بالرِّسَالةِ بَيْنَ المُلُوكِ ، وَمَتَى فَاتَ فِيهِ شَرْطٌ مِنْ ذَلِكَ ، لايَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَل فِي رِسالةٍ أَصْلاً.

---

١ - حاطب بن أبي بلتعة: عمرو بن عُمير بن سلمة اللخمي، أحد صحابة رسول الله ﷺ، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣ ت (٩) .

٢ - الخبر برواية أخرى في: أسد الغابة ٤٣٢/١ - ٤٣٣.

الفَصْلُ الثّاني
في تَدْبير أَمْر الرُسُل وَما يَنْبَغِي أَنْ يُعْتمدَ فِي أَمْرِهِمْ

قَال المُتَكَلِّمُونَ فِي آدَابِ المُلُوكِ : عَلىَ المَلِكِ أَنْ يَمْتَحِنَ رَسُولَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً قَبْلَ أَن يُوَجِّهَهُ فِي رِسَالَةٍ ، لِيَعْلَمَ حَقِيقَةَ حَالِهِ ، فَيَكُونَ عَلىَ يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ فَيَثِقَ بِهِ فِيمَا يُرْسِلهُ فِيهِ ، وَكَان مِنْ شَأن مُلُوك الفُرْس فِيمَا سَلَفَ إِذَا أَرَادُوا إِرْسَال شَخْصٍ قَدَّمُوا امْتِحَانهُ بإِرْسَالِه إِلَى بَعْض خَواصِّ المَلِك مِمَّنْ هُوَ فِي قَرَارِ دَارِهِ فِي بَعْضِ المُهَمَّاتِ ، ثُمَّ يَجْعَل عَلَيْهِ عَيناً فِيمَا يُرْسِلُهُ فِيهِ مِن حَيْثُ لاَيَشْعُرُ ، فَإِذَا أَدَّى الرَّسُولَ رِسَالتَهُ وَرَجعَ بجَوَابها ، سَأَلَ المَلِكُ الذِي أَرْسَلَهُ فِي أَثَرِهِ الكَشْفَ عَنْهُ ، فَإِنْ طَابَقَ مَا أَتى بِهِ كَلاَمَ الآخرِ صَارَ عِنْدَ المَلِكِ مُمَيَّزاً لأَنْ يَكُونَ رَسُولاً لَهُ إِلىَ المُلُوكِ .

وَكان أَرْدَشِيرُ بن بَابَك أَحَد مُلُوكِ الفُرْسِ يَقُولُ[1] : عَلىَ المَلِكِ الحازِمِ إِذَا وَجَّهَ رَسُولاً إِلَى مَلِكٍ أَن[2] يُرْدِفَهُ بآخَرَ ، وَإِنْ وَجَّهَ برَسُولَيْنِ وَجَّهَ بَعْدَهُمَا اثْنَين ، وَإِنْ أَمْكَنَهُ أَنْ لاَيَجْمَعَ بَيْنَ رُسُلِهِ فِي طَرِيقٍ فَعَلَ ، وَمِنَ الحَزْمِ أَنَّ الرَّسُولَ إِذَا أَتَاهُ برِسَالَةٍ أَوْكِتَابٍ فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَارْتَابَ بهِ أَنْ لاَيُحْدِثَ فِي ذَلِكَ شَيئاً حَتّىَ يُرْسِلَ مَعَ رَسُولٍ آخَر يَحْكِي لِلمُرْسِلِ إِلَيْه كِتَابَهُ أَوْ رِسَالتَهُ حَرْفاً حَرْفاً ، وَمَعْنىً مَعْنىً، فَإِنَّ الرَّسُولَ رُبَّمَا فَاتَهُ بَعْضُ مَا يُؤَمِّلُهُ فَافْتَعَلَ الكُتُب وَغَيَّرَ ماشُوفهَ بِهِ[3] ، فَحَرَّضَ بذَلِكَ المُرْسِلِ على المرسَل إليه ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلى فَسَادٍ شَدِيدٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حِكَايَة الإِسْكَنْدَر فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ مِنْ هَذَا البَابِ .

---

١ - عهد أزدشير ص٩٢، والتاج ٢١٦، والمحاسن والمساوىء ١/٢٥٥.

٢ - في الأصل: بأن.

٣ - شوفه به : حُدث به .

البَابُ الرَّابِعُ
فِي الخَدِيعَةِ وَالحِيَلِ المُغْنِيَةِ عَنِ الحَرْبِ
وَفِيهِ ثَلاثَةُ[1] فُصُولَ

الفَصْلُ الأَوَّل
في الحَثِّ عَلى الخَدِيعَةِ فِي الحَرْبِ وَالحِيَل فِيهِ

لانزَاعَ فِي أَنَّ الخَدِيعَةَ وَالحِيَـل فِـي الحَـربِ مَطْلُوبَـةٌ شَـرْعَاً وَعَقْـلاً ، أَمَّـا الشَّرْعُ فَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَين مِنْ حَدِيـثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِـر بن عَبْـدُ بـن عبـد الله الأنصَاري رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال : « الحَرْبُ خَدعَة »[2].

وَأَمَّا العَقْلُ فَلاَ خِلاَفَ بَيْنَ العُقَـلاَءِ أَنَّ مَـاحَصَلَ مِـن الظَّفَـر بحُسْـن الحِيْلَـةِ وَلُطـف المَكِيـدة مَـع سَـلاَمَة النَّفْـسِ وَحِفْـظِ الجُنـود وَالرَّاحَـةِ مِـنَ التَّعَـبِ وأَحْسَـنُ وَأَجْمَـلُ وأعلى فِي الفَضْـل ، وَأَرْفَـع فِي الرُّتْبَـةِ ، لأَنَّ الخَـارِجَ لِلِقَـاء العَـدُوِّ وَمُبَارَزَةِ الفُرْسَـان ـ وَإنْ سَـاعَدَهُ الظَّفَـرُ وَحَفَّـهُ النَّصرُ ـ فَفِـي مَخَـاطِرَه مَكْـرُوهِ المَصَـائب ، وَعِضَـاض السُّيُوفَ ، وَأَلَـمِ الجَـراح وَمَضَـاض الحُـرُوْب ، وَمُغَـاوَرَة الأَبْطَال غَايَةُ المَشَقةِ وَنهَايَةُ المَخَاطَرَة ، عَلَىَ أَنَّهُ لايَدْرِي أَيَكُونُ الظَّفَر بَعْـدَ مُلاَقَـاةِ المشَاق لَهُ أَوْ لِعَدُوِهِ ؟

---

١ - في الأصل: ثلاث.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤/٤ "كتاب الجهاد والسير" باب الحرب خدعة، من طريق أبي هريرة، ثـم من طريق جابر بن عبد الله، ومن طريقهما أخرجه الإمام مسلم في صحيحـه ١٤٣/٥ "كتـاب الجهـاد والسـير" باب جواز الخداع في الحرب. ويروى الحديث بفتح الخاء وضمّها.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَايُحكَى فِيْ ذَلِكَ أَنَّ المَلِكَ النَّـاصِر مُحمَّـد بـنْ قَـلاوُون[1] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي آخِرِ زَمَنِهِ بَعْـدَ الصُّلـحِ مَـعَ التَـتَر[2] ، كَـان يُحَاسِنُهُمْ وَيُرَاسِـلُهُمْ وَيُهادِيهِمْ مَابَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، حَتَّـى يُهَـادِيَ العَجَـائِزَ فِـي البيُـوتِ كَسْـراً لِلفِتْنَـةِ وَإِطْفَآءً لِنَارِ الحَرْبِ ، وَأَنـهُ سَـمِعَ ذَاتَ يَـوْمٍ بَعْـضَ خَاصِكِيَّتِـهِ يتَحَدَّثُـونَ وَيَقُـولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ السلطان يُهَادِي التَّـتَر خَوْفـاً مِنْهُـمْ فَنهَرَهُـمْ وَقَـال : إِنَ الـذِي أُهَادِي بِهِ التَّتَرَ جَمِيعَهُ مَايجئُ فِي نَظِـير كُلفَـةِ إِنْعَـالِ خُيُولِكُـمْ ، عِنْـدَ خُرُوجِـكُمْ لِقِتَالِهِم ، فَأَذْعَنُوا لِمَقالتِهِ ، وَاعْتَرفُوا بالحَقِّ فِي ذَلِكَ .

---

١ - الملك الناصر محمدبن قلاوون : (٦٨٤هـ - ٧٤١هـ) بويع بالسلطنة بعد مقتل أخيه الأشرف، سنة ٦٩٣هـ وكان في سن التاسعة، وهذه أول تولية له، لأنه خُلع من السلطنة وعاد إليها مرتين، حيث عاد في سنة ٦٩٨هـ إلى سنة ٧٠٨هـ ، وحارب التتار لكنه هُزم أمامهم، وفي سنة ٧١٢هـ حارب التتار في معركة مرج راهط فهزمهم هزيمة منكرة، وأفنى التتار فناءً تاماً، ثم خلع نفسه سنة ٧٠٨هـ ثم عاد للحكم في سنة ٧٠٩هـ - ٧٤١هـ وكانت مدة حكمه ٤٣سنة وثمانية أشهر "عصر سلاطين المماليك ج١ ص٣١ وما بعدها" وانظر (تذكرة النبيه ١/١٦٩ و٢١٣ و٢/٣٢٥).

٢ - وقع الصلح مع التتار سنة ٧٢١هـ . (تذكرة النبيه ٢/١١٥).

الفَصْل الثَّاني
فَي كَيْفيَّةِ التحيُّلِ وَالمخادعَة

وَهَذا ، وَإنْ كان بَاباً لايَدْخُلُ تَحْتَ الحصْر ، إلاَّ أنَّ الأصْلَ فيه السِّيَاسَة وَالأخْذ بالقُلُوبِ فِي الظَّاهِرِ وَإعْمَال الفكْر[1] فِيمَا فيهِ تَفْريق شَمَائِل العَدُوّ وَوقُوع الخُلفِ بَيْنَهُمْ ، وَوُثُوب بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ بِألطَف الحِيَل وَأحْسَن المَكَائِد ، وَالعَمَلِ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ بما يُنَاسِبُهَا عَلَى مَايَدُل عَلَيْه العَقْل .

وَمِنْ أحْسَن المَوَاقِع فِي ذَلِكَ أنْ يَدسَّ إلى عَدُوّه الدَّسَائس ، وَيَتَوقع لَهُ الغوائل[2] ، وَيُكاتِب رُؤسَاءهم بمَا فِيه اسْتجلاَبُ قُلُوبهم وَاسْتِمَالةُ خَوَاطِرِهم ، وَخرُوجهم عَنْ طَاعَةِ صَاحِبِهِمْ بأنْ يَعدَهم كُل جَمِيل وَيُطْمِعَ آمَالهم فِي بُلُوغ كُل مَقْصُودٍ ، وَالعَفو عَنْهم وَالصَّفْح عَنْ جَرائمهم ، إنْ مَالوا إلَيْهِ أوْ فَارَقوا صَاحِبَهُم ، وَقصَدُوه .

وَيبذل الأمَان لِكلِّ مَنْ سَألَهُ مِنْهُم وَيُرغبهَم مِن كُلِّ وَجْهٍ يقْتَضِيهِ التَّرْغِيبُ ، وَيعرفهم أنهُم إنْ أقَامُوا عَلَى المُخَالفَةِ حَتى يَظْفَرَ بهِمْ ، أوْقَعَ بهِمْ أشَدَّ النَّكَال وَالخِزْي وَالهوان ، وَيَدْعُوهُمْ إلَى الوُثُوبِ بصَاحِبهِم إنْ أمْكَنَهُمْ ، أو اعتزَاله وَالخُرُوج عَنْهُ إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُم بالوثوب عَلَيْهِ طَاقَه .

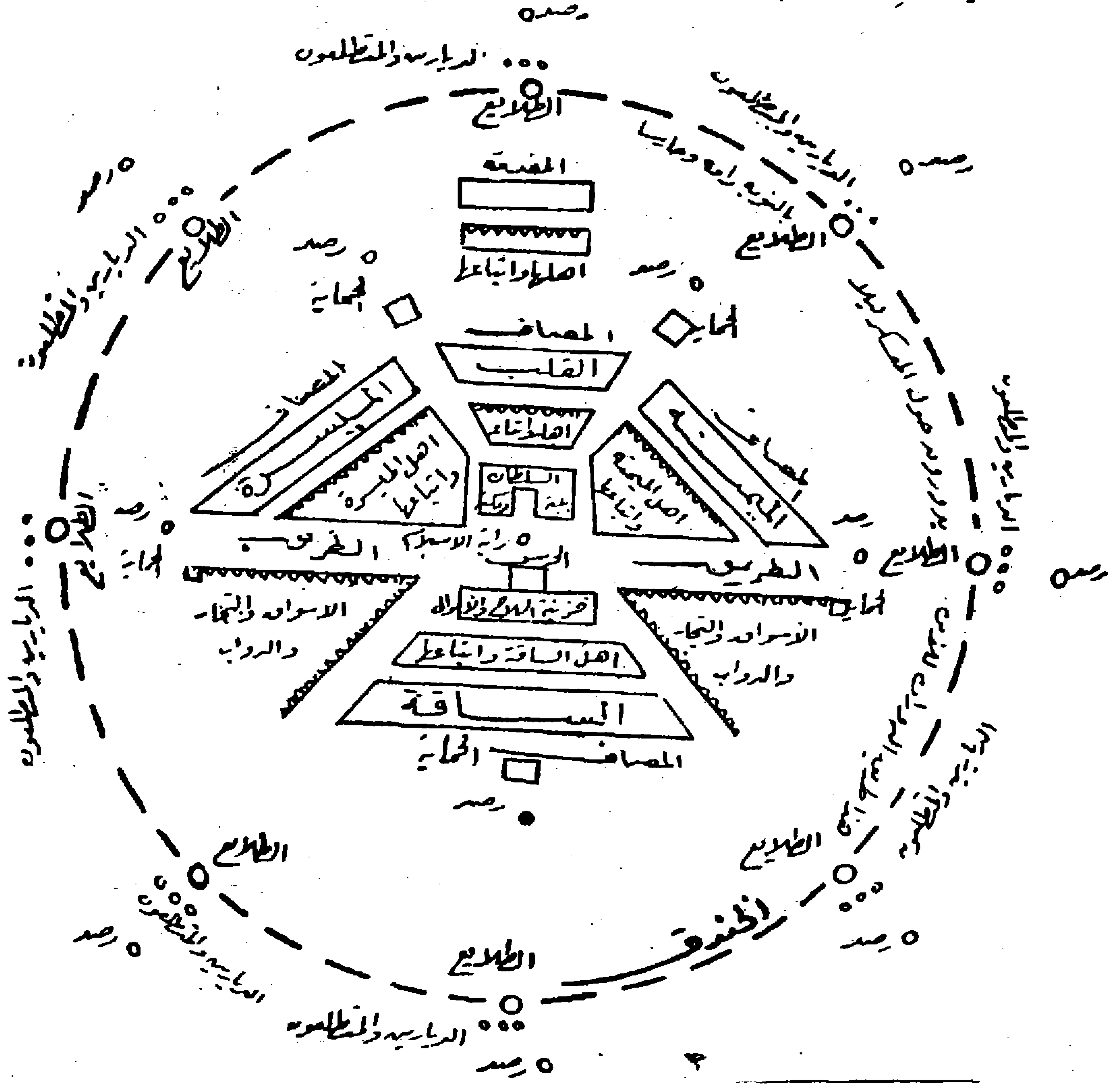
وَمِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ فِي ذَلِكَ أنْ يَكْتُبَ إلَى بَعْضِهِم كُتُباً كَأنَّهَا جَوَابٌ عَنْ كُتُبٍ وَصَلَتْ مِنْهُم إلَيْهِ ، وَيكْتُب كُتُباً عَلَى ألسِنَتِهِمْ إلَيْهِ ، وَيُلقِيهَا فِي المَوَاضِع التِي يَتَوَقع أنْ تَصِير إلَى رَئِيسِهِم ، فَإنَّهُ إذَا وَقَفَ رَئِيسُهُمْ عَلى شَيءٍ مِنْ هَذِهِ الكُتُب كَدَّرَتْ خَاطِرَهُ عَلَيْهِم ، وَأنْزَلَهُم عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ التهمَة .

---

١ - في الأصل: وأعمال الكفر. تحريف

٢ - الغوائل : ج غيلة وهي النيل من العدو بأخذه على حين غرة كالاغتيال وغيره .

فَيَكُون ذَلِكَ سَبَباً إِلَى افتِرَاقِ كَلِمَتِهِمْ ، وَتَشَتُّتِ جَمَاعَتِهِمْ ، وَتَغْيِير خَوَاطِرِهم عَلَى رَئِيسِهم أَوْ تَغْيِير خَاطِرِه عَلَيْهِم . فَإِنْ وَثَبَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُم ، أَوْ قَتَل أَوْ سَفَكَ دَمَه دَاخَلَهُمْ الخَوْفُ مِنْهُ وَشَمَلَهُمْ الرُّعْبُ ، وَدَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الهَرَبِ مِنْ رَئِيسِهِم إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ رَئِيسُهُمْ مُتَأَنِياً[1] مُحْتَمِلا فَلاَ بُدَّ أَنْ يَبْقَى فِي نَفْسِ كُلٍّ مِنْهُمْ وَحْشَة .



١ – من الأناة والحلم، وتأني تثبت في الأمر بروية .

الفصلُ الثَّالِثُ
فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنَ الخَدِيعَةِ وَالحِيَلِ التي وَقَعَتْ لأَهْلِ تَدْبِيرِ الحُروب

وَهَذَا البَابُ مِمَا لاَ يَنْتَهِي إلى حَدٍ ، وَفِي كُتُب التَّوارِيـخ وَسِيَر المُلُوكِ فِي الجَاهلِيةِ وَ الإسْلاَمِ مِنْهُ مَامَلأَ الدَّفَاتِر وَشحنَها.

مِـنْ أَحْسَـن ذَلـكَ موقعـاً ، وَأَلطفِـهِ مَـأخَذاً مَـارَوَاهُ ابْـنُ اسـحَاقَ[1] في مَغَازِيه[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ في يَوْم الأَحْزَاب قَصَدَتْهُ قُرَيشٌ وَبَنُو غَطَفان منْ مَكَّـةَ وَمَـا حَولَهَا وَصَارُوا إلى المَدِينَةِ الشَّرِيْفَةِ لقِتَاله ، وَوَافَقَهُم عَلَى قِتَالِـه بَنُـو قريظـةَ يَهُـودُ المَدِينَةِ ، وَكَان من مُضَايَقَتِهِمْ وَمُحَاصَرَتهم للمُسلمينَ مَا أَخْبَر ا لله تَعَالى بقَوْلِه :

﴿ **إذ جَاؤُوكُمْ مِـنْ فَوْقِكُـمْ وَمِـنْ أَسْفَلِ مِنْكُـمْ وَإِذْ زَاغَـتِ الأَبْصَـارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ** ﴾[3]

فَبَيْنَمَا النَّبيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ أَتَاهُ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ[4] أَحَد بَني غطفَان ، فَقَال : يَا رَسُولَ إِنِي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَإِنَّ قَومي لَمْ يَعْلَمُوا بِي ، فَقَـال لَـهُ رَسُولُ ا لله ﷺ :« إِذْهَبْ فَـخَذِّل عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الحَـربَ خُدْعَة»[5]، فَخَـرجَ

---

١ - ابن اسحاق : هو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيـار (أبـو عبـد ا لله) القرشي المدني صاحب كتاب السيرة النبوية وهو من أول كتب السيرة عند المسلمين، وله كتاب المغازي أيضاً ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٣ ت ١٥ .

٢ - سيرة ابن هشام ٢/٢٢٩.

٣ - سورة الأحزاب آية :١٠

٤ - نعيم بن مسعود: صحابي مشهور، أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين الأحزاب، قتل في وقعة الجمل، وقيل: مات في خلافة عثمان. (الإصابة ٦/٢٤٩ رقم ٨٧٨٠) .

٥ - ورد الحديث في كنز العمال ج ٤ رقم ١٠٨٩١ ، ١١٤٠٠ .

نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ يَهُود الْمَدِينَـةِ ، وَكَان نَدِيماً لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّـةِ فَقَال: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ؛ وَإِنَّ قُرَيْشـاً وَغَطَفَـان قَـدْ جَـاؤُوا مِـنْ بِلاَدِهِـمْ لِقِتَالِـهِ ، وَأَنْتُـمْ مُقِيمُـونَ بِهَـذَا الْبَلَـدِ ، وَفِيـهِ أَمْوَالُكُـمْ وَنِسَـاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُم بَعِيدَةٌ ، فَإِنْ وَجَدُوا خَيْراً أَصَابُوهُ وانصَرَفُوا إِلَـى بِلاَدِهِمْ وَخَلَّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّد وَأَصْحَابه ، وَلاَ طَاقَةَ لَكُمْ بِهِمْ ، فَـلاَ تُقَـاتِلُوا مَعَهُمْ حَتى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْناً مِـنْ أَشْـرَافِهِمْ يَكُونُـونَ عِنْدَكُـمْ . فَقَـالُوا : أَشَـرْتَ بِالـرَّأْيِ ؛ ثُمَ انصَرَفَ إِلَى قُرَيشٍ وَغَطفَان وَقَال:

قَـدْ عَلِمْتُـمْ مَودَّتِـي لَكُـم وَفِراقِـي مُحَمَّـداً ، وَقَـدْ أَتَيْتُكُـمْ بِنَصِيحَـةٍ ، فَاكْتُمُوهَا عَلَيَّ[1] ، إِنَّ بَنِي قرَيظَةَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى حَرْبِ مُحَمَّدٍ وَوَافَقُوهُ عَلَيْكُمْ ، وَوَعَدُوهُ أَنْ يَأْخُذُوا لَـهُ[2] رَهْناً مِنْ أَشْرَافِكُمْ ، وَيَدْفَعُوهُمْ إِلَيـهِ لِيَقْتُلَهُـمْ ، فَـلاَ تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْكُمْ وَاحِداً.

فَلَمَّا أَرْسَلَت[3] قُرَيْشٌ وَغَطفَان إِلَـى بَنِـي قُرَيْظَـةَ يَسْـأَلُونَهُمْ الْمُسَـاعَدَةَ ، طَلَبُوا مِنْهُمُ الرَّهْنَ مِنْ رِجالِهِمْ ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُـمْ ، قَـالُوا : صَـدَق نُعَيْـمُ بنُ مَسْعُودٍ فِيمَا قَال ؛ وَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُمُ الرَّهْنَ ، فَوَقَعَ الْخُلاَفُ بَينَهُمْ ، وَكَانَتِ الْهزِيمَةُ عَلَيهِم وَالنُّصْرَةُ لِرَسُول الله ﷺ وَأَصحَابه .

وَحَكَى الْجَاحِظُ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِه[4] :

أَنَّ بَهرام جُوْر[5] أَحَدَ مُلُوكِ الفُرْسِ .

---

١ - في الأصل : عني ، والصواب : ماأثبتناه .

٢ - في الأصل : منه، والصواب : ماأثبتناه.

٣ - في الأصل : أرسل ، والصواب : ماأثبتناه .

٤ - الخبر بطوله في: التاج المنسوب للجاحظ ص٢٩٠ (ط.دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٥م) .

٥ - بهرام جور بن يزدجرد ، ملك ثلاثاً وعشرين سنة، ونشأ عند ملوك الحيرة وبُني له الخورنق، قال المسعودي في التنبيه والإشراف ٨٨ : (وكان فصيحاً بالعربية، وله بها شعر صالح) .

لَمَّا مَلَكَ بَعْدَ أبيه[1] يَزْدَجرد ، غَلَبَ العَدُوُّ عَلَى بَعْضِ أطرَافِ بِلاَدِهِ ، فَأظْهَرَ الاستِهَانَةَ بِأمْرِ العَدُوِّ وَالاستخفاف بِهِ ، حَتَّى قَوَىَ أمْرُ العَدُوِّ وَاشتَدَّتْ شَوْكَتُهُ وَزَحَفَ نحوه فَاجتَمَعَ وُزَرَاؤهُ إلَيْهِ ، وكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فقَال: دَعُوهُ ، فَأنَا أعْلَمُ بِضعْفِهِ مِنْكُمْ .

فَلَمَّا دَنَا العَدُوُّ مِنْ دِيَارِهِ دَخلُوا عَلَيْهِ لِيُخبِرُوهُ الخَبَرَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أمْرُهُم عَمَدَ إلَى مِئَتَي جَارِيَةٍ مِنْ جواريه فَألبَسَهُنَّ التِّيجَان وَالثِّيَابَ المُصبَّغَات وأركَبَ[2] كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَصَبَةً ، وَلَبِسَ هُوَ أيْضاً ثَوْباً مَصْبُوغاً وَرَكِبَ قَصَبَة[3] وَخَرَجَ وَالجَواري يُغَنِّينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُغَنّي أيْضاً مَعَهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُ[4] الوُزَرَاء وَأكَابِر الدَّوْلَةِ يَئِسُوا مِنْهُ ، وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا ؛ فَدَخَل مِنْ سَاعَتِهِ إلَى بَيْتِهِ ، وَحَلَقَ رَأسَهُ ، وَلَبِسَ مِسْحاً[5] مِنْ صُوفٍ ، وَصَبَرَ إلَى اللَّيْلِ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ فَرَسُهُ وَنُشَّابُهُ ، حَتَّى إنتَهَى إلَى القُربِ مِنْ طَلائِعِ العَدُوِّ ، فَكَمَنَ فِي مَكان عَلَى ظَهْرِ الطَرِيقِ ، وكان مُجيداً فِي الرَّمْي ، فَجَعَلَ لايَمُرُّ بِهِ طَائِرٌ في السَّماء ، وَلاَ وَحْشٌ فِي البَرِّيَّةِ إلاَّ رَمَاهُ فَأصَابَهُ ، حَتَى اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الصَّيْدِ قَدْرٌ كَثِيرٌ ، فَبيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ مَرَّ بِهِ المُقَدَّم عَلَى طَلِيعَةِ العَدُوِّ ، فَنَظَرَ إلَى الصَّيْدِ فَبهتَ لِكَثْرَتِهِ، وَقَال لَهُ : مَا أنْتَ وَمَن أنتَ ؟ ومِن أين أنت ؟[6] قَال :

إنْ أعْطَيتَني الأمَان أخْبرْتُكَ . قَال: لَكَ الأمَان قَال : أنَا غُلامٌ سَائسُ خَيْلٍ ، غَضِبَ عَلَيَّ مَولاي ، فَنزَعَ ثِيَابِي ، وَحَلَقَ رَأْسِي وَألبَسَنِي هَذَا المِسْحَ ،

---

١ - في الأصل بعد ابنه، والصواب ماأثبتناه .

٢ - في الأصل: وألبس.

٣ - القصبة: نبات أ جوف ذو أنابيب ينمو طولاً.

٤ - في الأصل: رأوه.

٥ - المسح: ثوب من الشعر الغليظ (تاج العروس).

٦ - الزيادة من التاج.

وَأَجَاعَنِي بَعْدَ أَنْ كان مُحْسِناً لِي ، فَاسْتَغْفَلْتُهُ ، وَخَرَجْتُ لِطَلَبِ شَيءٍ أَصِيدُهُ فَآكُلُهُ ، فَاسْتَدَّ عَانِي ذَلِكَ إِلَى أن رَمَيْتُ هَذَا الصَّيْدَ بِجَمِيعِ مَا مَعِي مِنَ السِّهَامِ، فَأَخَذَهُ مُقَدَّمُ الطَّلِيْعَةِ وَحَمَلَهُ إِلَى مَلِكِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ القِصَّةَ ، فَقَالَ لَهُ: ارْمِ بَيْنَ يَدَيَّ ؛ فَرَمَى فَكَانت[1] سِهَامُهُ تقع في أيِّ مَكان أَحَبَّ المَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ ، فَبُهِتَ المَلِكُ لِذَلِكَ وَزَادَ تَعَجُّبُهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَفِي هَذِهِ المَمْلَكَةِ مَنْ يَرْمِي رِمَايَتَكَ ؟ فَضَحِكَ وَقَال: أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنِّي مِنْ أَضْعَفِهِمْ رِمَايَةً . فَقَال لَهُ المَلِكُ : إِنَّ مَلِكَكُمْ جَاهِلٌ ، أَمَا عَلِمَ أَنِّي قَدْ قَرُبت مِنْ دِيَاره فَضَحِك ، وَقَال :

إنْ أَعْطَانِيَ المَلِكُ الأَمَان نَصَحْتُهُ قَال : قَدْ أَعْطَيْتُكَ الأَمَان فَقَال : إِنَّ مَلِكَنَا إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتِهَانَةً بِكَ ، وَتَصْغِيراً لأَمْرِكَ ، وَلِتَتَورَّطَ فِي بِلاَدِهِ حَتَى لاَ تَخْرُجَ مِنْ قَبْضَتِهِ ، فَإِنَّ عِنْدَهُ مِئَةَ أَلفِ رَامٍ كُلُّهم يَرْمِي أَجْوَدَ مِنِّي .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ المَلِكُ كَلاَمَ بِهْرَامَ ، قَال: قَدْ نَصَحْتَنِي. وَأَمَرَ مُقَدَّم جَيْشِهِ أَنْ يَرْتَحِلَ رَاجِعاً إِلَى بِلادِهِ ، وَإنصرَفَ بِهْرَامُ إِلَى دَار مُلْكِهِ لَيْلاً.

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَعَدَ لِلنَّاسِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وُزَرَاؤُهُ وَعُظَمَاءُ دَوْلَتِهِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ خَبَرِ العَدُوِّ ، فَأَخْبَرُوْهُ بانصِرَافِهِ ، فَضَحِكَ وَأَخْبَرَهُمْ الخَبَر .

وَحَكَى الجَاحِظُ أَيْضاً :[2] أَنَّ كِسْرَى أَبْرَوِيزَ أَحَدُ مُلُوكِ الفُرْسِ ، وَجَّهَ إِلَى قِتَال مَلِكِ الرُّوْمِ أَمِيراً مِنْ أُمَرَائِه[3] ، فَعَصَى عَلِيهِ ، وَانحازَ إِلَى مَلِكِ الرُّوْمِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى أَبْرويز فَخَرَجَ مَلِكُ الروم لِقِتَال أَبْرَويز فِي أَرْبَعمِئِةِ أَلْفٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِك أَبْرَوِيز عَمَدَ إِلَى كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى أَمِيرِهِ الذّي عَصَى عَلَيْهِ بِبلاَدِ الرُّوْم ، يَقُولُ فِيهِ : إِذَا وَافَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاحْرِقْ دِيَارَ الرُّوْم ، وَأَنَا وَأَنْتَ نَمْلِكُ الرُّوْمَ فِي يَوْم

---

١ - في الأصل فكان تقع سهامه .

٢ - التاج ص٢٩٤ مطولاً، والمحاسن والمساوىء ١/٢٠٩ - ٢١١.

٣ - اسمه شهربراز .

كَذَا ؛ وَنَقبَ[1] عَصَا ، وَجَعَلَ الكِتَابَ في ضِمْنِهَا ، وَطَلَبَ نَصْرَانيّاً كَان عِنْدَهُ أسِيراً يُظْهِرُ المَحبَةَ لِلمَلِكِ ، فَعَرَّفَهُ بأمر الكِتَابِ الذي في العَصَا وَدَفَعَ إِلَيْهِ العَصَا وَقَال: اذْهَبْ إلى أميري فُلان في بلاَدِ الرُّوْمِ ، وَادْفَعْ لَهُ هَذِهِ العَصَا ، وَعَرِّفْهُ بالكِتَابِ الذِي فيهَا ، فَخرَجَ النّصْرَانيُّ حَتّى أَتَى إلَى دِيَارِ الرُّومِ فَسَمِع ، نَحوْ عَشَرَةَ آلاَفِ نَاقُوسٍ تَضْرِبُ فَأَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ النّصْرَانِيَّةِ ، وَمَال إلى دِينِهِ ، فَأَتَى إلَى مَلِكِ الرُّوْمِ وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَأَذن لَهُ ، فَدَفَعَ تِلكَ العَصَا إلَيْهِ وَعَرَّفَهُ[2] بأَمْرِ الكِتَابِ فَاسْتَخْرَجَهُ وَقَرَأَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَتَغَيَّرَ عَلَى ذَلِكَ الأمِيرِ الذِي إنضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ جهَةِ أبرويز مَلِك الفُرْس ، وَحَلَفَ إنْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ لِيَقْتُلَنَّهُ شَرّ قِتْلَةٍ؛ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الأَمِيرُ فَرَّ بنَفْسِهِ ، وَرَجَعَ مَلِكُ الرُّوْمِ إلَى مُلكِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الخَبَر أبرويزَ مَلِكُ الفُرس قَال : إنَّ كَلِمَةً هَزَمَتْ أرْبَعَمِئة أَلفٍ لجَلِيْلٌ قَدْرُهَا .

وَلَمّا كَانت[3] الحَرْبُ بَيْنَ أهْلِ الشَّام وَالعِراق بصِفِّيْن[4] ، وَطَالتِ الحَرْبُ بَيْنَهُمْ حَصَلَتِ القُوَّةُ في آخرِ الأَمْرِ لأَهْلِ العِرَاق ، وَلاَحَ لَهُمُ الأمْرُ وَالنَّصْرُ وَالظَّفَرُ ، وَعَلِم أَهْلُ الشَّام أَنَّهُمْ أُحِيطَ بهِم ، وَظَهَرُوا لِلهَزِيمَةِ ، فَبَادَرَ بَعْضُ أَهْلِ الشَّام[5] برَفْعِ المَصَاحِفِ عَلَى الرِّمَاحِ ، فَوَقَعَ الخُلْفُ بَيْنَ أَهْلِ العِرَاق بسَبَبِ ذَلِكَ ، فَبَعَضُهُمْ يَقُول : نُقَاتِلُهُم ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : لاَ نُقَاتِلهُمْ ، لأَنَّهُمْ رَفَعُوا لَنَا المَصَاحِفَ ، فَبَردَتْ بذَلِكَ نَارُ الحَرْبِ ، وَكَان سَبَباً لِنُصْرَةِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى العِرَاق . وَالحِكَايَاتُ في ذَلِكَ كَثِيرةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا .

---

١ - نَقَبَ: جعل فيها أي العصا ثقباً

٢ - في المخطوط: وأعرفه .

٣ - في الأصل كان .

٤ - الحادثة مشهورة في كتب التاريخ بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان .

٥ - برأي عمرو بن العاص .

البَابُ الخَامِس
في الاسْتِشَارَةِ في أَمْرِ الحَرْبِ
وَفِيْهِ فصْلانَ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
في الحَثِّ عَلَى الاسْتِشَارَةِ في الحَرْبِ

لا نِزَاعَ في أَنَّ الاسْتِشَارَةَ في نَفْسِ الأَمْرِ مَطْلُوبَةٌ ؛ وَقَد رُوِيَ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَال:« ما خَابَ من اسْتَخَارَ وَلاَ نَدِمَ مَن اسْتَشَارَ »[1]،

وَلاَ شكَ أَنهَا في الحَرْبِ آكَدُ ؛ وَقَد أَمَرَ (الله) تَعَالى النَّبيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّم بها مَعْ أَنَّهُ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَذْكَاهُمْ لُبّاً ، فَقَال - جَـلَّ مِـنْ قَائل — ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُـم واسْتَغْفِر لَهُـم وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ** ﴾[2]

وَذَهَبَ الكَثِيرُ مِنَ المُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ المُرَادَ بذَلِكَ ، الاسْتِشَارَةُ في حُرُوْبِهِ .

وَقَدْ رَوَى ابنُ اسْحَاقَ في سِـيْرَتِهِ[3] أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ لَمَّـا نَـزَلَ بِبَـدْرٍ لِلِقَـاء قُرَيْشٍ وَقِتَـالِهِمْ ، قَال لَهُ الحُبَـابُ بْـنُ المُنذِر[4] : يَارَسُولَ الله ، أَرَأَيْـتَ هَـذَا

١ - الحديث في العقد الفريد ٦١/١ ، وكنز العمال ج ٧ رقم ١١٠٩٥ .

٢ - سورة آل عمران آية: ١٢٢ .

٣ - الخبر وارد في السيرة النبوية ابن هشام أو سيرة ابنركان أقدم من سيرة ابن هشام السيرة النبوية ٦٢٠/١.

٤ - الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري : صحابي من الشجعان الشعراء يقال له "ذو الرأي" كانت لـه في الجاهلية آراء مشهورة. توفي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب نحو ٢٠هـ وقد زاد على الخمسين. (الأعلام ١٦٧/٢) . الاصابة ج ١ ص ٣٠٢ت ١٥٥٢ .

المَنْزِلَ مَنْزِلاً أَنْزَلَكَ (ا للهُ)[1] لَيْسَ لَنَـا أَنْ نَتَقَدَّمَـهُ وَلاَ نَتَـأَخرَ عَنْـهُ ، أَمْ هُـوَ الـرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيْدَةُ فَقَال النَّبِيُّ ﷺ :« بَل هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيْدَة »[2] قَال :

يَا رَسولَ (ا للهِ)[3] إنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ ، فَانهَضْ بالنَّاسِ حَتَّى نَـأتِي أَدْنَـى مَاءٍ مِنَ القَوْمِ فَننزِلَهُ ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَنَا مِـنَ القُلُـبِ[4] يَعْـنِي الآبَـارَ ثُـمَّ نَبْـنِي عَلَيْـهِ حَوْضاً فَنملأُهُ مَاءً ، ثُمَّ نُقَاتِلُ فَنَشْـرَبُ وَلاَ يَشْرَبُون .

فَقَـالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ :

« لَقَدْ أَشَرْتَ بالـرَّأْيِ »[5].

ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَسَارَحَتَى أَتَـى أَدْنَـى مَـاءٍ مِنَ القَوْمِ فَنزلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ بالقُلُبِ فَغُوِّرَتْ ، وَبَنَى حَوْضاً عَلَى القَلِيْبِ الذي نَزَلَ عَلَيْهِ وَقَاتَلَهُمْ ، فَكانتِ النُّصْرَةُ لِلمُسْلِمِينَ ، كَمَـا أَخْبَرَ (ا للهُ)[6] تَعَـالى بقَوْلِـهِ :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُم (ا للهُ)[7] بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[8] .

---

١ - ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل .

٢ - الحديث في سيرة ابـن هشام ج٢ ص١٩٢، مشارع الأشـواق ج٢ ص٨٥٠، طبقـات ابن سعد ج٢ ص١٥.

٣ - زيادة عن الأصل .

٤ - القلب : ج قَليب وهو البئر.

٥ - الحديث في سيرة ابن هشام ج٢ ص١٩٢، مشارع الأشواق ج٢ ص٨٥٠، طبقات ابن سعد ج٢ ص١٥.

٦ - مابين حاصرتين زيادة عن الأصل .

٧ - مابين حاصرتين زيادة عن الأصل .

٨ - سورة آل عمران آية : ١٢٢.

قَال الوَاقِدِي[1] فِي مَغَازِيه[2] :

إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَ عَلَى خَيْبَرَ[3] يُحَاصِرُهَا نَزَلَ بين ظَهْرانِي النَّخل بالقُربِ مِنَ الحِصْن ، فَقَال لَهُ الحُبَابُ بنُ المُنذِرِ أيضاً : يَا رَسُولَ الله إنَّكَ نَزَلتَ مَنْزِلَكَ هَذَا ، فَإنْ كان عَنْ أمْرٍ أُمِرْتَ بِهِ فَلاَ نَتَكَلَّمُ ، وَإنْ كَانَ الرَّأيُ تَكَلَّمْنَا ؟

فَقَال النَّبِيُّ ﷺ:« بَل هُوَ الرَّأيُ »[4] فَقَال :

يَا رَسُولَ الله ، دَنَوت مِنَ الحُصُون ، وَنَزَلتَ بينَ ظهرَاني النخْل ، فَيَكُونُ نَبلُ القَوْمِ إلَيْنَا أسْرَع لإرْتِفَاعِهِمْ عَلَى حُصُونِهِم ، مَع أنّي لاَ آمَنُ من بيَاتِهِمْ[5] لَنَا ، يَدْخُلُونَ فِي ذُرَا النخْل ؛ تَحَوَّل يَا رَسُولَ الله إلَى مَوْضِعٍ بَرِيء مِنَ النَّزِّ[6] وَالوَبَاء ، نَجْعَلُ الحرَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَتَّى لاَ تَنَالنَا سِهَامُهُمْ ، وَنَأمَن منْ بيَاتِهِمْ ، وَنَرتَفِع عَنِ النَّزِّ.

١ - الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (١٣٠ - ٢٠٧هـ) من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. تولى القضاء ببغداد في عهد هارون الرشيد. له: المغازي النبوية ـ فتوح الشام وغيرها (الاعلام ٧/٢٠٠) .

٢ - مغازي الواقدي ٢/٦٤٣ .

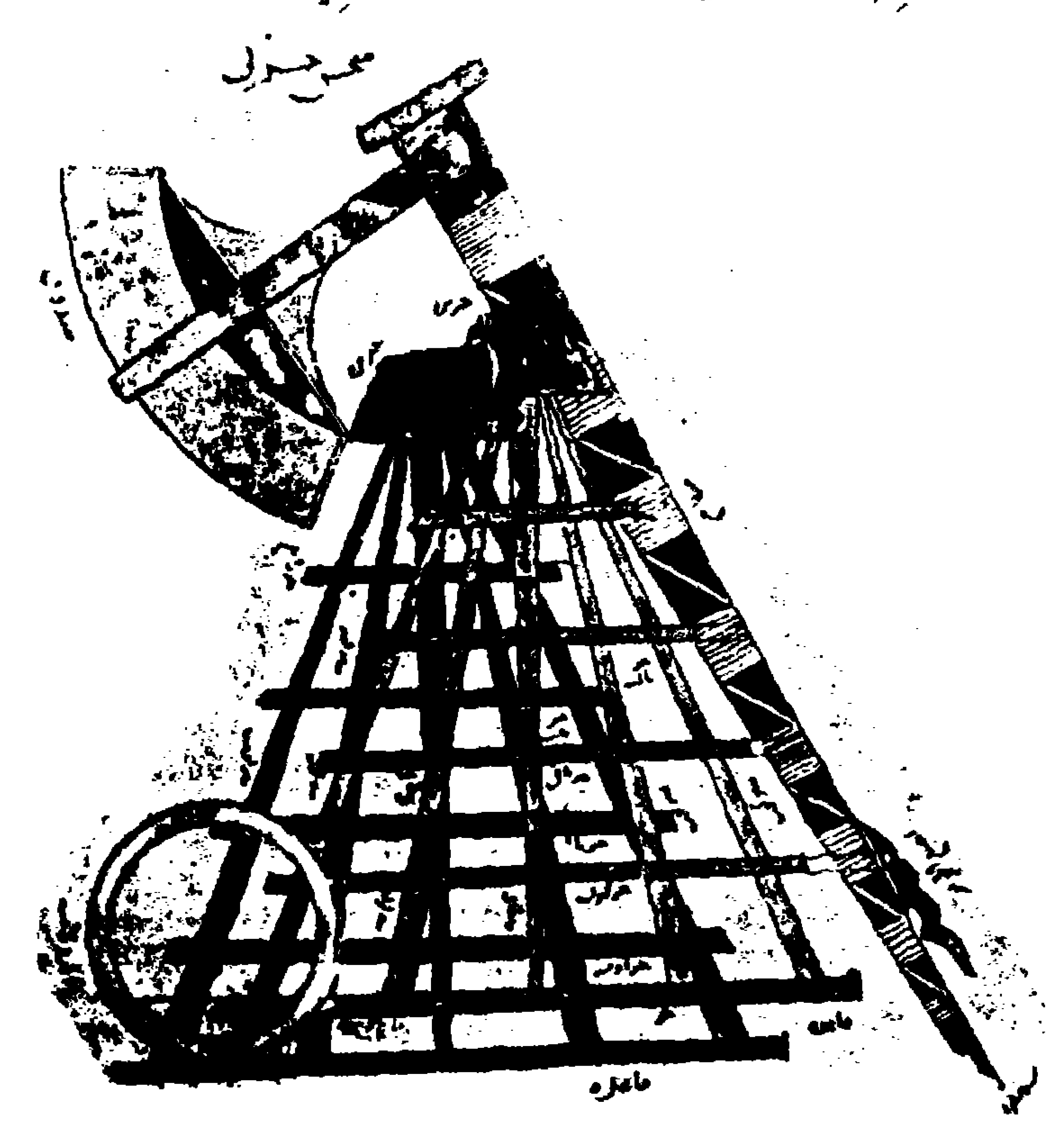
٣ - خيبر: تقع على ٨ بُرد من المدينة المنورة في شمال الحجاز من جهة الشام "معجم البلدان ج٢ ص٤٦٨ ت٤٤٩٦".

٤ - ورد الحديث في سيرة ابن هشام ج ٢ص ٣٢٨وما بعدها

٥ - البيات: هو الكمائن في الليل .

٦ - النّز: مايتحلب في الأرض من الماء .

فَقَـال رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «أَشَـرْتَ بـالرَّأْيِ»[1]، ثُـمَّ دَعَـا مُحَمَّـد بـن مَسْلَمَـة[2] فَقَال :« انـظُر مَنْزِلاً بَعِيداً مِنْ حُصُونِهِـمْ بَرِيئـاً[3] مِنَ الوَبَاءِ نَأْمَن فِيـهِ مِنْ بيَاتِهِمْ» ، فَفَعَلَ ، وَكَانَتِ النُّصْرَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيْضاً .



---

١ - ورد الحديث في سيرة ابن هشام ج ٣ص ٣٢٨ وما بعدها

٢ - في الأصل: محمد بن مسروق، والمثبت من المغازي ، وهو من الصحابة، انظر أخباره في الإصابة ج٣ ص٣٨٣ ت٧٨٠٦.

٣ - في الأصل برىء .

الفَصلُ الثّاني
فِي أَدَبِ الاسْتِشَارَةِ في الحَربِ

قَدْ ذَكَرَ العُلَماءُ بالحُرُوبِ أَنَّ الأَمْرَ المُسْتَشَار فِيهِ في الحَرْبِ عَلَى ضَرْبَيْن ؛ الضَّرْبُ الأَوَّل : أَنْ يَكُونَ المُسْتَشَارُ فِيهِ مِمَا يَسُوْغ إظهَارُهُ ، وَلاَ يبَالى بانتشَارِهِ ، كالاسْتشَارَةِ فِي أَمرِ العَدُوِّ الظَّاهِرِ المُواجَه بالقَصْد ؛ فَالأَوْلَى بِهِ أَنْ يُقَدّمَ فِيهِ مُشَاوَرة أَهل العَقْلِ وَالعِلمِ .

فَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ الحُكَماء : أيُّ الأُمُور أَشَدُّ لِلمَلِكِ تَأييداً ؟ قَال ثَلاثَةُ أَشْيَاء : مُشاوَرَةُ العُلَماء ، وَتَجربَةُ الأُمُور ، وَحُسْنُ التَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إضْرَاراً بِهِ ثَلاثَةُ أَشْيَاء : الاسْتِبدَادُ بالرَّأيِ مِنْ غَيْرمَشْورَةٍ ، وَالتهَاوُنُ ، وَالعَجَلَةُ .

قِيلَ لِرَجُلٍ مَنْ بَنِي عَبْسٍ : مَا أَكثَر صَوَابَكم ! قَال : نَحْنُ أَلفُ رَجُلٍ ، وَبَيْنَنَا حَازِمٌ وَاحِدٌ ، فَنَحْنُ نُشَاوِرُهُ ، فَكَأَنَّا بذَلِكَ أَلفُ حَازِمٍ[1] .

وَإِنْ لَمْ يَظْهَر لَهُ صَوَابٌ فِي رَأيِ الأَكَابِرِ عَمّم الرَّأيَ وَاسْتَشَارَ كُلَّ كَبِيرٍ وَصَغِير ، فَإِنَّ الرَّأيَ قَدْ يُوْجَدُ حَيْثُ لاَيُظَنُّ وُجُودُهُ .

قَال الحَسَنُ[2] : كان النَّبيُّ ﷺ يستَشِيرُ حَتَّى المَرْأَة ، فَتُشِيرُ عَلَيْهِ بالشَّيءِ فَيأْخُذُ بهِ . وَيُقَال[3] : لَمْ تَزَل حَزَمَةُ الرِّجَالِ يَسْتَشيْرُون صَوَابَ الرَّأيِ حَتَّى مِنَ الأَمَةِ الوَكْعَاء[4] ؛ وَلِلّهِ دَرُّ القَائل :

لاتَحْقِرَنْ الرَّأيَ وَهُوَ مُوَفَّقٌ   نَهجُ الصَّوابِ إذَا أتَى مَنْ نَاقِصِ

---

١ – الخبر في: عيون الأخبار ١/٢٧ .

٢ – الخبر في : عيون الأخبار ١ / ٢٧ .

٣ – هذا من قول ابن قتيبة، كتب به إلى بعض السّلاطين. عيون الأخبار ٢٨/١.

٤ – الوكعاء: الحمقاء. القاموس .

الفصْلُ الثَّالث
أَنْ يَكُون المُسْتَشَارُ فيهِ مِمَّا لاَ يَسَع إشَاعَتُه

كَـمَا إذَا كانتِ الإستِشَارَة في أَمْرٍ خَفِيٍّ يَحتَاجُ إلىَ الكِتْمَان عَـن العَامَّـة دُوْنَ الخَاصَّةِ ، مِثْلَ أَنْ يَقْصِدَ غَزْو العَدُوِّ في دِيَارِهِمْ عَلَى غَفْلَةٍ ودُونَ ذَلِـكَ خَـصَّ بِهِ مَنْ يَخْتَارُهُ مِنْ خَاصَّتِهِ ، ونُصَحَائِهِ وذَوِيْهِ الذينَ يَثِق بهم ، فإن اختَصَّ وَاحِدٌ بمُفْرَدِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْه غَيْرُهُ .

فَقَد حُكِي[1] أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الهِنْدِ اسْتَشَـارَ وَزرَاءهُ في أَمْـرٍ ، فَقَـال لَـهُ أَحَدُهُمْ: أَصْلَحَ الله المَلِكَ ، إنَّ في تَحصِين السِّرِّ ، الظَّفَر بالحَاجَةِ ، والسَّلاَمَة منَ الخَلَـلِ ، وَلاَ يَصْلُـحُ لِسرِّنا هَـذَا إلاَّ لِسَـانَان وَأَرْبَعَـة آذان؛ يَعْـنِي أَنْ يَكُـونَ المشَاوِرَان إثنَيْنِ فقَط ، فَخَلا بِهِ المَلِكُ وَكَلَّمَهُ بمُفْرَدِهِ ، وَإن احْتَاجَ إلَـى مُشَـارَكَةِ جَمْعٍ مِنْ أخِصَّائِهِ فِيهِ ، استَشَارَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بمُفْـرَدِهِ ، وَلَـمْ يُعْلِمـهُ أَنَّـهُ أَظْهَـرَهُ لِغَيْرِهِ ، فَإنَّ ذَلِكَ أَدْعَـى لِكتمَانـهِ وَعَـدَمِ إشَـاعَتِه ، لأنَّ كُـلاً مِنْهُـمْ يَخَـافُ مِـنْ إظهَاره ، فَيَشيع ، مَع أَن في ظَنِّه لَمْ يَعْلمه غَيْرُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَسَعْ إظهَار ذَلِكَ السِّر وَلاَ اسْتَشَارة أَحَد فيهِ أَلبَتَّه لِخَطَر أَمْرِهِ.

فَالطَّرِيْقُ في ذَلِكَ أَنْ يَقِيْسَهُ عَلَى أَشْبَاهِهِ مِنَ الأُمُور ، ويَأخذه بنَظائره ، وَيَسْمَعَ مَا يَقَع مِنْ كَلامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ إظْهَارٍ لِقَصْدِ سَمَاعِه .

فَقَدْ حُكِيَ أَنَّ المَنْصُورَ بن أبي عَامِرٍ[2] مَلِك الأَنْدَلُس دَخَلَ في بَعْضِ مَغَازِيْهِ إلَى بِلاَدِ الكُفْرِ بالأَنْدُلُسِ وَتوغَلَ فيهَا ، فَدَخَلَ عَلَيْـهِ الشِّتَاءُ ، وَأَحَـاطَ بـهِ العَـدُوُّ

---

١ – قارن بما روي عن سابور، في أسرار الحكماء ٦١، وفيه مصادر تخريجه .

٢ – هو المنصور بن أبي عامر: محمد بن عبد الله بن عامر... أمير الأندلس (٣٢٦هـ ـ ٣٩٢هـ) أحد العصاة الشجعان انظر ترجمته في نفح الطيب .

وَحَصَرُوه ، وَسَدُّوا عَلَيْهِ الدُّرُوبَ ، وَحَصَنُّوهَا بالرِّجَالِ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَخَاف الهَلاَك عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى المُسْلِمِينَ .

فَخَرَجَ مُتَنَكِّراً يَمْشِي فِي عَسْكَرِهِ فَوَافَى[1] رَجُلَيْن يَلعَبَان بالشّطْرَنْج وَإِلَى جَانبهمَا رَجُلٌ آخَرَ ، فَقَال أَحَدُ اللاَعِبِين: شَاه مَاتْ ، كَمَا مَاتَ المَنْصُور بْنُ أَبِي عَامِر. فَقَال الرَّجُلُ الذِّي إِلَى جَانبهمَا : لَمْ يَمُتْ ، فَلَم يَمت المَنْصُورُ بنُ عَامِر. وَلَمْ يَزَل يُدَبدِبُ[2] لِلمَغْلُوبِ حَتَى غُلِبَ ؛ فَتَقَدَمَ إِلَيْهِ المَنْصُورُ وَالرَّجُلُ لاَ يَعْرِفُهُ وَقَال :

قَدْ قُلتَ إِنَّهُ لَمْ يُغلب وَصَدَقَ قَوْلك ، وَقُلت: إِنَّ المَنْصورَ بن أَبِي عَامِرٍ لَمْ يَمُتْ، فَمَا الطَّرِيْقُ فِي خَلاَصِهِ ؟ فَقَال لَهُ الرَّجُل : الطَرِيقِ فِي ذلكَ أَن يَقطَع الأَخشَابَ ، وَيَجْمَعَ الحِجَارَةَ ، وَيُظْهِر أَنَّ هَذَا المَكَان أَعْجَبَهُ لِلإِقَامَة ، وَأَنَّهُ يَقْصدُ أَنْ يُقيمَ فِيهِ وَيَبْنِي وَيَزْرَع ، وَلاَ يَرْتَحِل ؛ فإذا سَمِعَ العَدوُّ ذلكَ كَرِهَ مُجاوَرتَهُ له ، فَخَلَّى[3] طَرِيقَهُ وَفَتَحَ لَهُ الدُّروبَ ، حَتَى يَخرُج .

فَتَركُه المَنْصُوْرُ وَعَادَ إلى مَحَلِّ مُلكِهِ ، وأرسَلَ خَلفَ ذَلك الرجُل ، فَحَضَرَ إليه وَعَرَّفَهُ بنَفْسِه ، وَقَال : هَل عندَكَ مِنْ رَأيٍ غَير الذي ذَكَرتَ لِي ؟ قَال: لاَ؛ فَفعَل[4] ، مَا قَالهُ لَهُ فَبلغَ ذَلِكَ العَدُو ، فَثقل عَليه وَخَافَ أَنْ يُقيمَ بِجوَارِه ، فَفَتَح لَهُ الدُّروبَ وَخلَّى[5] لَهُ طَرِيقَه ، فَخَرَجَ سَالماً .

---

١ - في الأصل فوافى .

٢ - يُدَبدِبُ : يُصوت بالغريم ، لارهابه وخداعه " اللسان دبب " . وفي الأصل يديدب .

٣ - في الأصل فخلا .

٤ - مكررة في الأصل .

٥ - في الأصل وخلا .

البَابُ السَّادِسُ
فِي صِفَةِ مقدَّم الجَيش وَجُنْدِهِ وَمَا يَنبَغي أَنْ يأخُذهُم بِهِ
وَفيْهِ أَرْبَعَةُ فصُول

الفصلُ الأوَّلُ
في صِفَةَ مُقدم الجَيش

قَـال العُلَمَّاء بشَأْن الحرْبِ وَالدُّرْبَةِ بأُمُوْره : يَنبَغي أَنْ يَكُونَ مُقَدّمُ الجيـش كَامِـلَ العَقْل ، ثَابت القَلب ، تامّ الشَجاعَةِ ، وافرَ اليقظَة ، كَثـيرَ الحـذر ، شَديدَ الحَزم ، بَصيراً بأحكَام الحرُوبِ ، ومَواضع الفُرَص منهـا ، عَارفـاً بـالحِيَل وَالمَكَائِدِ وَالخـداع فِيهـَا ، عَالِمـاً بتدْبـير العَسَـاكِر ، وَتَرْتيـب الجُيُـوش ، خَبيراً بالطُرُق وَالمَخَارِج[1] وَمَنَاهِل المِيَاهِ ، وَأَحْوَال الـمَرَاحِلِ وَالمنـَازِل وَالأوْقـاتِ الـتِي يَسْتَحِقُّ فِيهَـا السَّير ، وَالـتِي يَسْتَـحِقُّ فِيهـَا النُـزُول ، مُجْتَهـداً في إدخـال الأمـنِ على عَسَاكِره ، مُدافعاً عن القِتَال ، يُلَطفُ الحيْلَةَ مَا أمْكَـنَ ، مُتَقَدّمـاً في العِلمِ بمرَاتبِ القِتَـالِ ، وَمُحـاصرةِ الحُصُون ، وَالمدفعَـة عنهـَا ، صَبُـوراً عَـلَى المُطَاولةِ في القِتَـالِ وَالحصارِ ، حَسَنَ الإنصِراف بَعْدَ بُلُوغِ الغرَض .

وأن يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَارِفاً بالخَيل وَشِياتِهَا[2] وَآلاتِها وَالقِيَام بمصَالِحِها ، وَأَصْنَافِ السّلاح ، وَمَا يُستَحْسَنُ مِنْهَا ، وَمَا يَليقُ لِبْسُهُ مِنْ أنوَاعِهَا في كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ الـحَرَبِ ، مَـع كَـونه حَسَنَ السِّيرةِ ، طَـاهِرَ السَّريرَةِ ، نَقِـيَّ الجَيب ، صَالِح النيَّة ، سَخياً بِبَذْل المَال ، مُرْتاحاً لِطَلَبه ، مُؤثِـراً لِلعَفْـو عَلَـى العُقُوبَة ، وَلِلصَّفْحِ عَلَى المُؤَاخذَة ، وَإذَا وَعَدَ وَعْداً أَنجَزَهُ ، وَإذَا قَال قَوْلاً فعلهُ ،

---

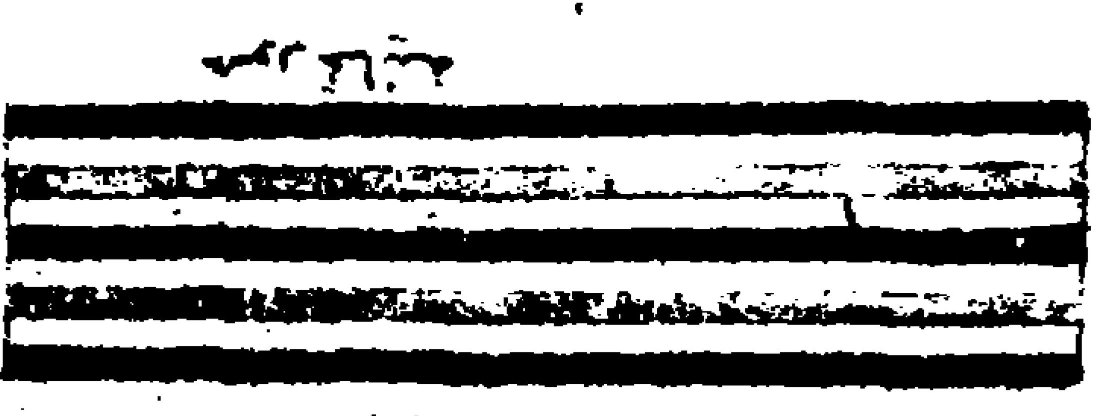
١ - في الأصل : والمخارص، والصواب ماأثبتناه .

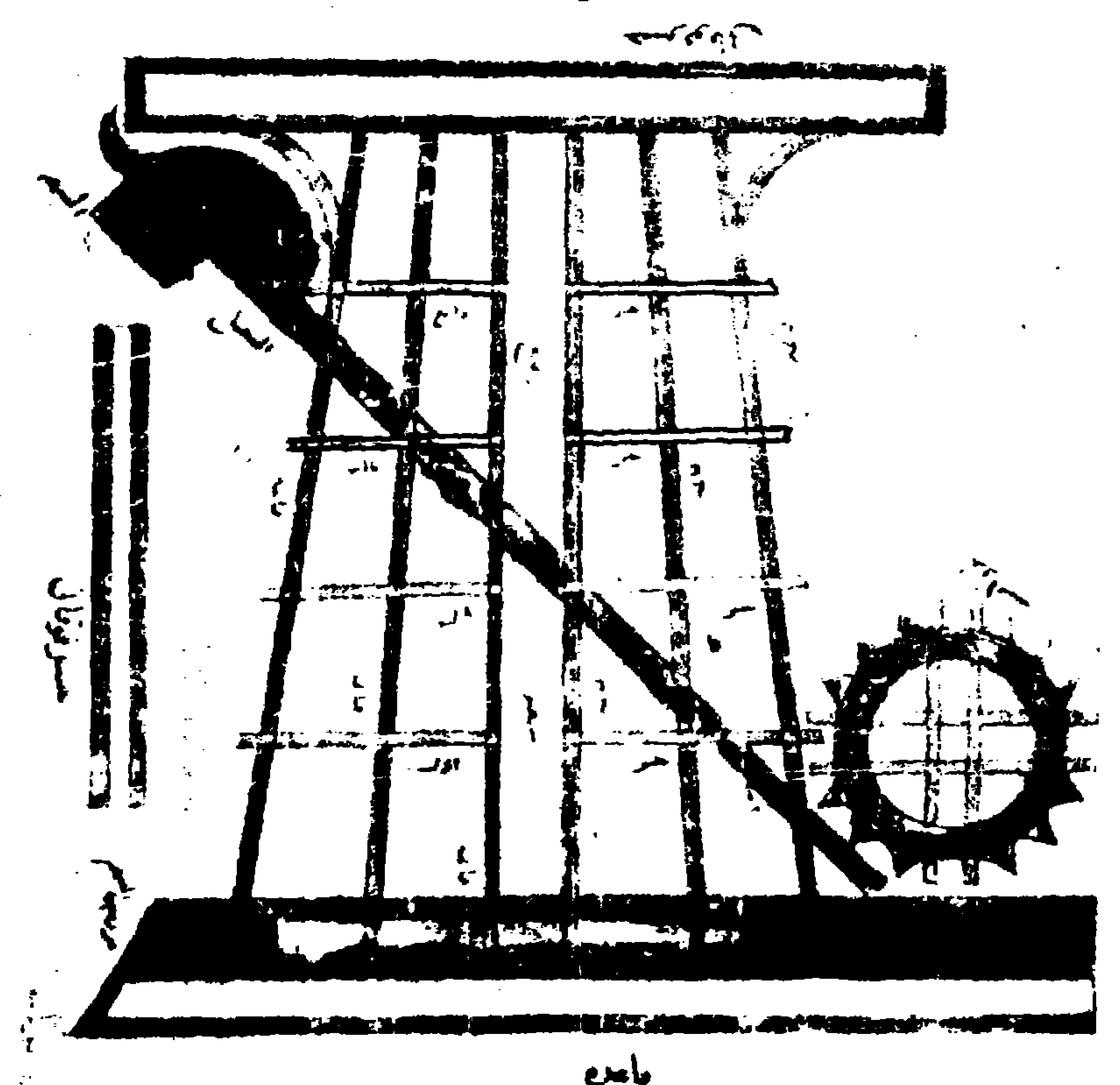
٢ - شياة الخيل: علاماتها وعُددها وأمراضها .

وَإذا عَاقَدَ عَلَى صُلحٍ أَمْضَاهُ وَالتزَمَهُ ، وَإذا بَذَلَ أَمَاناً وَفَى بِهِ ، مَعَ حِفْظِ النامُوس وَقِيام الأُبّهَةِ ، وَإظهَارِ المَهَابة ؛ فَإذَا اشتَمَلَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ وَمَا في مَعْنَاها كان حَقِيقاً بالتَّقدِمَةِ عَلَى الجُيُوشِ ، وَالقِيَامِ بِأَمْرِ العَسَاكِرِ ، وَالقِيَامِ بِأَمْرِ الحَرْبِ .

٦٥

وصفة المهابة ... الأول





الفصلُ الثاني
في صِفَاتِ الجُنْدِ وَأَهْلِ العَسْكَرِ مِنَ الفُرْسَانِ وَالرَّجَّالَةِ الذين يَصْلُحُونَ لِلقَاءِ العَدُوِّ وَقِتَالِهِ

يَنْبَغِي لِمَنْ يَتَصَدَّى لِلخُرُوجِ فِي العَسَاكِرِ لِلقَاءِ العَدُوِّ وَقِتَالِهِ مِنَ الجُنْدِ ، أَنْ يَكُونَ شُجَاعاً مِقْدَاماً ، دَرِباً بِأَمْرِ الحَرْبِ ، مُجَرِّباً لأُمُورِهَا ، شَدِيْدَ الصَّبْرِ عَلَى الغُرْبَةِ ، وَمَشَقَّةِ الأَسفَارِ ، وَمُقَاسَاةِ الأَهْوَالِ مِنْ غَيْرِ قَلَقٍ ، وَلاَ ضَجَرٍ ، وَلاَ مُتَوَانٍ[1] وَلاَ مُهَلَةٍ[2] ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدَ المَحَبَّةِ لِمَنْ هُوَ فِي خِدْمَتِهِ ، نَاصِحاً لَهُ حَرِيصاً عَلَى نُصْرَتِهِ ، مُؤْثِراً لِحَيَاتِهِ عَلَى حَيَاةِ نَفْسِهِ ، قَائماً بما يَلزَمُه مِنَ الخِدْمَةِ ، مُوَافِياً حَقَّ مَخْدُومِهِ مِنْهَا ، قَائماً مِنْ طَاعَتِهِ بِمَا تَحْمِلُهُ قُدْرَتُه ، وَيَصِلُ إِلَيْهِ وُسْعُهُ ، مَعْ كَوْنِهِ عَارِفاً بِالخُيُولِ وَآلاَتِهَا وَطَرَفٍ مِنَ البَيْطَرَةِ[3] ، بِحَيْثُ يَضَعِ المِسْمَارَ فِي النَّعْلِ ، إِذَا سَقَطَ فِي الطَّرِيقِ ، وَاصْلاَحِ مَا يَحتَاجُ إِلَى الإِصْلاَحِ مِنَ آلاتِ خَيْلِه ، وَسِلاَحِهِ ، حَيْثُ تَدْعُو الضَّرُوْرَةُ إِلَى ذَلِكَ .وإِن كان فَارِساً؛ بأَنْ يَكُون لَهُ دُرْبَةٌ بِرُكُوبِ الخَيْلِ ، وَحَرَكَاتِهَا فِي الحَرْبِ ، وَمَا يجبُ عَلَى الفَارِسِ حَال اللِّقَاءِ مِنَ المُقَابَلَةِ ، وَالمُقَاتَلَةِ وَالثَّبَاتِ ، حَيْثُ احْتِيجَ إِلى ذَلِكَ ، وَالمُرَاوَغَةِ وَالاستِطْرَادِ حَيْثُ دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ .

وَإِنْ كان رَاجِلاً ، فَأَنْ يَكُونُ صَبُوراً عَلَى السَّعْيِ عَلَى رِجْلَيْهِ ، عَارِفاً بِمَوَاقِعِ الضَّرْبِ ، وَالتَّسَتُّرِ مِنْهُ وَالمُفَاسَدَةِ والمراوغة فِي مُلاَقَاةِ الرِّجَالِ ، وَمُحَاوَرَةِ الفُرْسَان ، وَمُدَافَعَتِهَا ، وَتَشْرِيدِ الخَيْلِ وَتَنْفِيرِهَا ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ اللازِمَةِ لِلفَارِسِ وَالرَّاجِلِ .

---

١ – المتواني: المتكاسل .

٢ – مُهلة: يتمهل في انجاز المطلوب منه .

٣ – البيطرة: علم أمراض الخيل .

الفصلُ الثَّالِثُ
فِيمَا يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الجَيْشِ مِنْ مَعْرِفَةِ أَصْحَابِهِ[1]

قَال أَهْلُ التَّجْرِبَةِ لِلحُرُوبِ: يَنْبَغِي لصَاحِبِ الجَيْش أَنْ يَعْرِفَ مَن اسْتَطَاعَ مَعْرِفَتَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَجُنْدِهِ وَاحِداً وَاحِداً بخَاصَّتِهِ وَمَا يُعَانيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الحَرْبِ ، وَمَا يَختَصُّ بِهِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالجُبْنِ ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ ، وَأَنْ يَعْرِفَ مَرَاتِبَ الشُّجْعَان ، وَمَا يَتعاناه كُلٌّ مِنْهُم ، في شَجَاعَتِهِ وأَن مِنْهُمُ الشُّجَاع الثَّابت المُلاَزِم لِموَاقِفِه ، المُصَمِمَ ، وَمِنْهُمُ الشُّجَاعُ الكَرَّارُ الفَرَّارُ الذِّي يَذهَبُ وَيَأْتِي ، وَمِنهُمُ الشُّجَاعُ الجَائِلُ[2] عَلَى الأَقْرَان ، الذي لاَ يَجْعَلُ لَهُ خَصْماً بعَيْنِهِ ، بَل أَيْنَمَا لاَحَتْ لَهُ فُرْصَةٌ انتهزَهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيدُ القِتَال فَارِساً ، وَمِنْهُمُ الذي يُجيدُ القِتَال رَاجلاً ، وَمِنْهُمُ الذِّي يُجيدُ الضَّرْبَ بالسَّيْفِ ، وَالذي يُجيدُ الطَعْنَ بالرُمْحِ وَالذي يُجِيدُ الرَّميَ بالسهَامِ ، وَمِنهُمُ الجَبَان الذي يَتَشَبَّهُ بالشُّجْعَان في زَيِّهم ، وَالجَبَان الظَّاهِرُ الجُبْن ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْ هؤلاءَ بصِفَتِهِ أَنزَلَهُ في الحَرْبِ مَنْزِلَتَهُ ، وأَقَامَهُ فيمَا يَليق إِقَامَتُهُ فِيهِ ، فَحَصَلَ عَلَى الغَرَض المَطْلُوبِ مِنْهُ ، وَإِن كَان جَبَاناً صَرَفَهُ عَنْ مَوَاقِفِ القِتَال ، وَعَدلَ مِنْهَا عَنْهَا ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِف حالهُ في الشجاعة والجبن لم يعرف أَيْنَ يَضَعُهُ وَلاَ أَيّ مَنْزِلَةٍ يُنزلهُ.

وَيَنْبَغي لَهُ أَنْ يَعرِفَ مَعَ ذَلِكَ أَحْوَال سَائِرِ أَهْلِ عَسْكَرِه ، وَأَرْبَاب وَظَائِف دَوْلَتِهِ ، وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ المَنَاقِبِ السِتَّة ، لِيسْتَعينَ بِكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فيمَا يَصلُح لَهُ وَيَجْعَلهُ في المَوْضِع الذِّي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكونَ فيه .

---

١ - هذا الفصل مأخوذ من مختصر في سياسة الحروب للهرثمي الشعراني في الباب ٣١ (خط) من تحقيقنا .

٢ - الجائل: الجولان والمراوغة وتجاولوا في الحرب : جال بعضهم على بعض .

وَيَنبغي أَنْ يَعْرِفَ ذَا الرَّأْيِ الصَّائِبِ مِنْ أَرْبَابِ دَوْلَتِهِ ، فَيَجْعَلهُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَخَصَّهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الرَّأْيَ شَدِيدُ النَّفْعِ فِي أَمْرِ الحَرْبِ ، بل هُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى الشَّجَاعَةِ ، وَنَاهِيْكَ قَولُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي[1] :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي

وَيُحْكَى عنَ المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ[2] شَيْخِ الحُرُوْبِ وَإِمَامِهَا ، أَنَّهُ غَابَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ عَسْكَرِه اسْمُهُ بَيْهَسُ (فقال)[3] : مَا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ فِي عَسْكَرِي أَلفُ شُجَاعٍ وَيَغِيبَ عَنِي بَيْهَسُ فَقِيْلَ : إِنَّهُ لَيْسَ فِي المَحل السَّامي مِنَ الشَّجَاعَةِ . فَقَال: نَعَمْ ، وَلَكِنَّهُ شَدِيْدُ الحَزْمِ ، مُحْكَمُ العَقْلِ ، فَلَوْ كَان مَكَانَهُ أَلْفُ شُجَاعٍ لَمَا أَمِنْتُ عَلَيْهِمْ .

---

١ - ليس البيت لأبي تمام، هو للمتنبي في ديوانه بشرح العكبرى ١٧٤/٤.

٢ - المهلب بن أبي صُفرة: أحد أبرز القادة العسكريين في الدولة الأموية أيام الحجاج بن يوسف الثقفي عندما كان يلي العراق ، وولاّه مروان بن عبد الملك ولاية خراسان، وولّي قبلها البصرة لمصعب بن الزبير، توفي سنة ٨٣هـ "الأعلام ج٨ ص٢٦٠".

٣ - زيادة عن الأصل .

الفصْلُ الرابع
في كَيْفيَّةِ سِيَاسَةِ صَاحِبِ الجَيْشِ جَيشَهُ وَتَدْبِيْرِ عَسْكَرِهِ وَمَا يَأْخُذُهُمْ بِهِ

أوَّل مَا يَجبُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُنْزِلَ كُلَّ واحدٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَتَهُ ، وَيَقْصِدَ بِهِ إِلَى مَنْزِلَتِهِ اللائقةِ بِهِ ، ويُوفِيهُ مِنَ الإكْرَامِ حَقَّهُ. وَيَعْرِفَ قَدْرَ كُلِ مَا فَعَلَهُ مِمَّا يُستحسَنُ من مِثْلِهِ ، وَأَنْ يُجَازِيَ المُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ ، وَيُقَابِلَ المُسِيءَ عَلَى إِسَاءتِهِ ، وَيُقِيْلَ المُتَنَصلَ مِنَ الذَنْبِ عَثْرَتَهُ .

وَعَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ جُنْدَهُ وَأَتْبَاعَهُ بالأُلفَةِ وَالمُعَاضَدَةِ وَالمُنَاصَرَةِ ، وَنَزعِ الحِقْدِ مِنْ صُدُوْرِهِمْ ، فَإِنَّ التَّآلفَ أدْعَى لِلنُصْرَةِ وَأَقْرَبُ إِلَى حُصُولِ الغَرَضِ ، وَأَنْ يَمْنَعهَمْ مِنَ التعرُّضِ لِمَن مَرُّوا بِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالإنقِيَادِ ، وَبَسطِ اليَدِ إِلَى شَيءٍ مِنْ أمْوَالِهِمْ ، وَالتعرُّض لحرِيْمِهم ، وَيعدُهم العِوضَ عن ذلكَ بِمَا ينالونهُ من عَدُوهم إذَا ظَفرُوا به .

وَمَنْ أَتَى مِنْهُمْ ذَنْبَاً قَابَلَهُ عَلَيْهِ وأَدَّبَهُ بحَسَبِ مَا يَقتضيهِ ذَلكَ الذَّنبُ ، مثلَ أن يَدُلَّ العَدُوَّ عَلَى عَوْرَةِ أَصْحَابه ، أَوْ يُطْلِعَهُ عَلَى خَبَايَاهُمْ ، فإنَ الذي يَفْعَل ذَلِكَ عَدُوٌّ فِي الحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُ العَدُوَّ عَلَى مَا يَتَسَلَّطُ بِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَيَكُون قَدْ بَلَغَ العَدُوُّ مَا لَمْ يَكُونُوا يَبْلُغُونَهُ لَوْلاَهُ .

وَمِنْهَا مَا يَقْتَضِي العُقُوبَة مِثْلَ أَنْ يُوَارِي الأَسِيْرَ حَتَى يَهْرُبَ ، أَوْ يَصِفَ أَصْحَابَهُ بِالضَّعْفِ ، أَوْ أَنْ يخذلَ أَصْحَابَهُ عَنِ العَدُو ، أَوْ يُرْجفَ[1] بهِمْ فَإِنَّ مَنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ الأُمُور مُوهِنٌ لأَمْرِ الجَيْشِ ، مُضْعِفٌ لِقُلُوبِ العَسْكَرِ.

---

١ - الإرجاف: الأخبار المضللة، وهو نشر الأخبار المغرضة، وفي المخطوط وردت أو يزحف والصواب ماأثبتناه.

وَمِنْهَا مَا يَقْتَضِي التَّوْبِيخ وَالتَّعْنِيفَ ، مِثْل أَنْ يَتَأَخَّرَ عن المُوَافَاةِ يَوم الحَرْب لِغَيْر عُذْر ، أَوْ يَطَّلِعَ عَلَى خَبَرٍ مِنْ أَخْبَارِ العَدُو فَلاَ يُبْلِغُهُ لِصَاحِبِ العَسْكَر ، فَإِنَّ تَأْخِيرَ الخَبَر سَاعَةً قَدْ يُعْقِبُ تَعَبَ سَنَةٍ.

وَمِنْهَا مَا يَقْتَضِي اللَّوْمَ مِثْلَ أَنْ يُوَكَّلَ بشيء مِنْ أَحْوَال القِتَالِ فَيُخِلَّ بِهِ أَوْ يُخِلَّ بمَصَافِّهِ مِنْ غَيْرِ عُذْر ، أَوْ يَصِفَ العَدُوَّ بالقُوَّةِ ، وَنَحْو ذَلِكَ.

وَمِنْهَا مَا يَقْتَضِي الإيقَاظَ وَ التَّنْبِيْهَ خَاصَّةً ، مِثْلَ أَنْ يَسْلُكَ غَيْرَ طَرِيقِهِ ، أَوْ يَقِفَ فِي غَيْرِ مَوْقِفِهِ ، أَوْ يَنْزِلَ فِي غَيْرِ مَنْزِلِهِ .

وَبالجُمْلَةِ فَذَلِكَ مَوْكُولٌ إِلَى رَأْيِ صَاحِبِ الجَيْش حَيْثُ رَأَى المَصلَحَة في الفِعْلِ فَعَلَ، وَحَيْثُ رَأَى المَصْلَحَة في التَّرْكِ تَرَكَ ، وَلِكُل حَالةٍ حُكْمٌ يَختَصُّ بهَا.

الطلائع

المقدمة

الميمنة

القلب

الميسرة

الساقة

الووعة

تشكيلة الجيش

البابُ السَّابعُ
في بَيَان مَتى يَجبُ مُلاَقَاة العَدُوّ وَقِتَالِه
وَفِيْهِ فَصْلان

الفصلُ الأوَّلُ
فيمَا إذَا كان الجَيْشُ قَوياً وَالعَدُوُّ ضَعِيفاً

وَفي هَذِهِ الحَالةِ تَجبُ مُنَاهَضَةُ العَدُو وَمُنَاجزَتُهُ ، وَغَزْوُهُ في بلاَدِهِ . وَقَدْ أَمَرَ الله تَعَالى نَبيَّهُ ﷺ بقِتَالِ أَهْلِ الكُفْر ، فَقَال - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - ﴿ **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ**[1] ﴾ وَأَمَرَ بقِتَالِ مَنْ جَاوَرَ الْمُسْلِمينَ وَ الكُفّارَ ، قَال جَلَّ من قَائِلَ - : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيْكُمْ غِلظَةً**[2] ﴾ قَال العُلَمَّاء : أَقَلُّ مَا يَجبُ الغَزْو في هَذِهِ الحَالةِ في كُل سَنَةٍ مَرَّةً .

وَقَدْ غزا[3] النَّبيُّ ﷺ ثَمَاني وَعِشرينَ غَزوَةً ، وفَتَح أكْثَر بلاَدِ العَرَبِ قَبْلَ وَفَاتِهِ ﷺ ، وَقَاتَلَ أبو بَكر ﷺ بَعْدَهُ في خِلاَفَتِهِ أَهْلَ الردَّةِ الذِينَ ارْتَدُّوا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبيِّ ﷺ وَمَانعي الزَّكَاةِ وقَال : لَوْ مَنَعُوني عِقَالاً كانوا يؤَدُّونهُ إِلَى رَسُول الله ﷺ لقاتلتهم عَليه ، وَفَتَحَ بُصْرَى[4] مِنْ بلاَدِ الشَّامِ في خِلاَفَتِهِ ، وهِيَ أَوَّل مَدِيْنَةٍ فُتِحَتْ مِنْ بلاَدِ الشَّامِ ، وَفَتَحَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ بعده دِمَشْقَ وَسَائِرَ بِلاَدِ الشَّام ، وَمَا وَرَاء ذَلِكَ مِنْ جهَةِ الشَّرْق حَتّى فُتوحِهِ إِلَى خُراسَان ،

---

١ - سورة: التحريم آية: ٩، وسورة التوبة آية ٧٣

٢ - سورة التوبة آية: ١٢٣

٣ - في الأصل غزى .

٤ - بصرى: مدينة أثرية تقع جنوب دمشق بحوالي ١٣٠كم

وَكَذَلِكَ فُتِحَتْ فِي أَيَّامِهِ مِصْرُ وَبَرْقَة[1] وَغَيْرَهِمَا . وَفُتح في خِلاَفَةِ عُثْمان مِنْ جهَـة الشَـرْقِ كَرْمَـــان[2] وَسِجِسْتَان[3] ، وَفَـــارِس[4] ، وَطَبرِسْتَان[5]، وَغَيـــْر ذَلِكَ، وَمِنْ جِهَـــةِ الغَـرْبِ إِفْرِيقِيَّـة وَهـيَ بــِلاَد تُــونس، وَمِنْ جَزَائـر البَحْـرِ قُبْرُس[6] .

وَغزَا مُعَاوِيَة فِي أَيَّامِـهِ ، القُسْـطُنْطِينيَّةَ قَـاعِدَة مَلِـكِ الـرُّوْم وَضَايَقَهَـا ، وَتَوَالتْ غَزَوَاتُ الخُلَفَاء بَعْدَ ذَلِكَ وَفُتُوحُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ الأَمَوِيَّةِ وَالعَبَاسِيَّةِ بَعْدَهَا حَتَى يُقَال : إنَّ المُعْتَصِم أَحَدُ خُلَفَــاء بَنِـي العَبَّــاس بَلَغَـهُ أَنَّ امـرأةً شَـرِيفَةً تُعَـذَّبُ عِنْــدَ صَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ[7] مِنْ بلاَدِ الرُّوْم ، فَصَاحَتِ المَرْأَةُ : وَامُعْتَصِمَاهُ . فَقَال لَهَا مَلِـكُ عَمُّورِيَّة : لاَيَأْتِيْ المُعْتَصِمُ لِخلاَصِكِ إلاَّ عَلَـى أَبْلَـقَ[8] فَنَـادَىْ فِي عَسْـكَرِهِ بِرُكُـوبِ الخَيْلِ البُلق ، وَخَرَجَ لِخَلاَصِهَا وَفِي مُقَدمَة عَسْكَره أَرْبَعَة أَلاَفِ أَبْلَقَ ، فَخَلَّصَهَـا وَعَادَ .

---

١ - بُرقة: مدينة في ليبيا اليوم

٢ - كرمان: الاقليم الرابع في ايران. وهي ولاية مشهورة، معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة "انظر أخبارها في معجم البلدان ج٤ ص٥١ ت١٠٢٢٤".

٣ - سجستان: ناحية واسعة وكبيرة بينها وبين هراة عشرة أيام ، " انظر أخبارها في معجم البلدان ج٣ ص٢١٤ ت٦٢٨٦ " .

٤ - فارس: ولاية واسعة، أول حدودها من جهة العراق تصل حتى جهة السند، "انظر أخبارها في معجم البلدان ج٤ ص٢٥٦ ت٨٩٨٨".

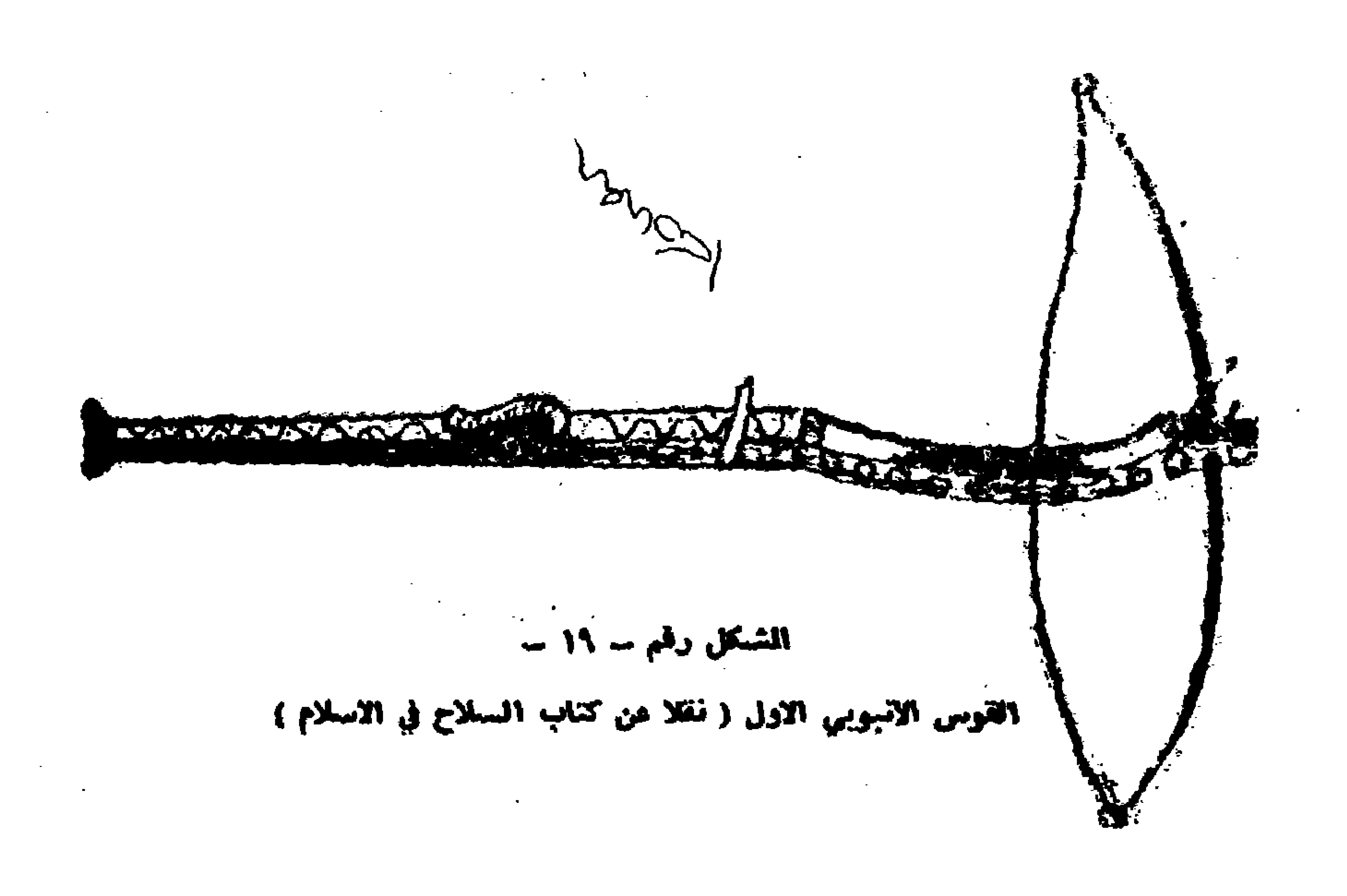
٥ - طبرستان: ولاية واسعة، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم..، "انظر أخبارها في معجم البلدان ج٤ ص١٤ ت٧٨٤٩ ".

٦ - جزيرة قبرص الحالية.

٧ - عمورية: مدينة في تركيا اليوم بالقرب من أنقرة عاصمة تركيا، وخبرها مشهور في ديوان أبي تمام.

٨ - الفرس الأبلق: الذي اختلط بياضه بسواده .

وَكَذَلِكَ تَوَالتِ الفُتُوحُ العَظِيمَةُ من مُلُوكِ مِصْرَ ، فَفَتَحَ المَلِكُ صَلاَحُ الدِيْن يُوسُفُ ابنُ أَيُّوبَ رَحِمَةُ الله عَلَيْهِ وَأَخوُهُ العَادِلُ أَبُو بَكر مَا كَانَ غَلَبَ عَلَيْهِ الفِرَنْجُ منْ بِلاَدِ الشَّامِ وَالسَّوَاحِلِ وَأَنْطَاكِيَّةَ وَبَعْض أعمَال الفُرَاتِ ، ثُمَّ غَلَبَ الفرَنج عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً حَتَّى اسْتَخْلَصَهُ مِنْهُمْ مُلُوكُ التُّرْكِ بِالغَزَوَاتِ المُتَوَالِيَةِ مِنَ المَلِكِ الظَّاهِرِ بِيْبَرس[1] وَغَيْرِهِ حَتَّى كان آخِرُ مَا انتَزِعَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ سَوَاحِلِ الشَّامِ عَلَى يَد الأَشْرَفِ ابْنِ قَلاَوُونَ[2] فِي سَنَة تِسْعِينَ وَستمئةٍ .



الشكل رقم ـ ١٩ ـ
القوس الانبوبي الاول (نقلا عن كتاب السلاح في الاسلام)

١ – هو الظاهر بيبرس أحد قواد معركة عين جالوت حكم مصر بعد قتله للظاهر قطز سنة ٦٥٩هـ انظر أخباره في كتاب عصر سلاطين المماليك، ج١ ص٢٦، حيث دامت ولايته حتى سنة ٦٧٦هـ .

٢ – الأشرف بن قلاوون: هو صلاح الدين خليل (٦٨٩هـ ـ ٦٩٣هـ) ، تولّى الملك بعد وفاة أبيه، بعهد منه في سنة ٦٨٩هـ، وقد حارب في بلاد الشام وحقق انتصارات هامة، وقد اشتط في القبض على أمرائه والتنكيل بهم، فتآمروا على قتله قتلة شنيعة في سنة ٦٩٣هـ فمات وهو في نحو الثلاثين من عمره، "عصر سلاطين المماليك ج١ ص٣٠".

الفَصْل الثَاني
فِيْمَا إِذَا كان الجَيْشُ ضَعِيفاً وَالعَدُوُّ قَوِيّاً

وَفي هَذِهِ الحَالة يَجبُ التَّأَنِّي وَتَرْكُ العَجَلَةِ في لِقَاء العَدُوّ ، وَعَدَم التَّعَرُّض لَـهُ إنْ أَعْـرَضَ ، وَالأَخْـذُ في أَمْـرِهِ بـالحِيَلِ وَالخَدِيعَـةِ وَالمَكِيْـدَة مَـا أَمْكَـنَ ، وَلاَيَسُوغ التَعَرُّضُ لَهُ فِي هَذِهِ الحَالةِ ابْتِدَاءً ، فَإِنَّهُ مَتَى تَعَرَّضَ لَهُ كان كَمَن أَثَـار[1] الحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا مَعْ عَجْزِهِ عَنْ مُقَاوَمَتِها وَدَفْعِهَا ، فَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلغُرَر[2] وَأَلقَى بِيَدِهِ إِلَى التهلُكَةِ ، وَقَدْ قَال بَعْضُ العُلَمَّاء : خُذْ بالأَنَاةِ فِي الحَـرب مَـا اسْتَقَامتْ لَكَ ، قَال بَعْضُ العُلَماء : يَعْنِي مَا كُنْتَ عَلَى جَانِبٍ مِنَ الأَمْن .

وَبالجُمْلَةِ فَعَلَى المُتَصَدّي لِقِتَـال العَـدُو أَنْ لا[3] يُعَجـل إِلَـى لِقَائِـهِ ، وَأَنْ يَقْبَلَ العَافِيَةَ وَالسَّلاَمَةَ مَـا وُهِبَـتْ لَـهُ ، فَقَـدْ قَـال النَّبـيُّ ﷺ : " لاَ تَتَمَنَّـوا لِقَـاءَ العَـدُو ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ فَإِنهُمْ يُنْصَـرُوْنَ كَمَـا تُنْصَـرُوْنَ ، فَـإِذَا لَقِيْتُموُهُـمْ فَاثْبتُوا"[4] .

وَعَلَيْهِ أَنْ لا يَسْأَمَ مُطَاوَلَةَ عَدُوهِ فَإِنَّ في خِلاَل الإنتِظَـار إنتِهَـازَ الفُـرَص ، وَالظُّهُورَ عَلَى أَحْوَال العَدُو وَخفَي أُمُوْرِهِمْ ، وَلاَ يَطْلُبُ الظَّفَرَ باللِّقَـاء مَـا وَجَـدَ إِلى الظَّفَـرَ بالحِيْلَـةِ سَبِيْلاً . فَـإِنَّ الخُـرُوْجَ إِلَـى العَـدُو يَقْتَضِي التَّغْرِيـرَ بـالنَّفْسُ وَاسْتِهْلاَكَ الأَمْوَال ، وَالغُرْبَـة عَن البَلَد ، وَلَوْ بظَاهِرهَا ، مَعَ مَا في ذَلِكَ مِنْ تَوَقُّعِ إِتْلاَفِ النَّفسِ وَرُكُوْبِ الأَخْطَارِ وَتَحمُّلِ المَشَاق . وَرُبَّمَـا فَعَلَـتِ الحِيلَـةُ مَـالاَ

---

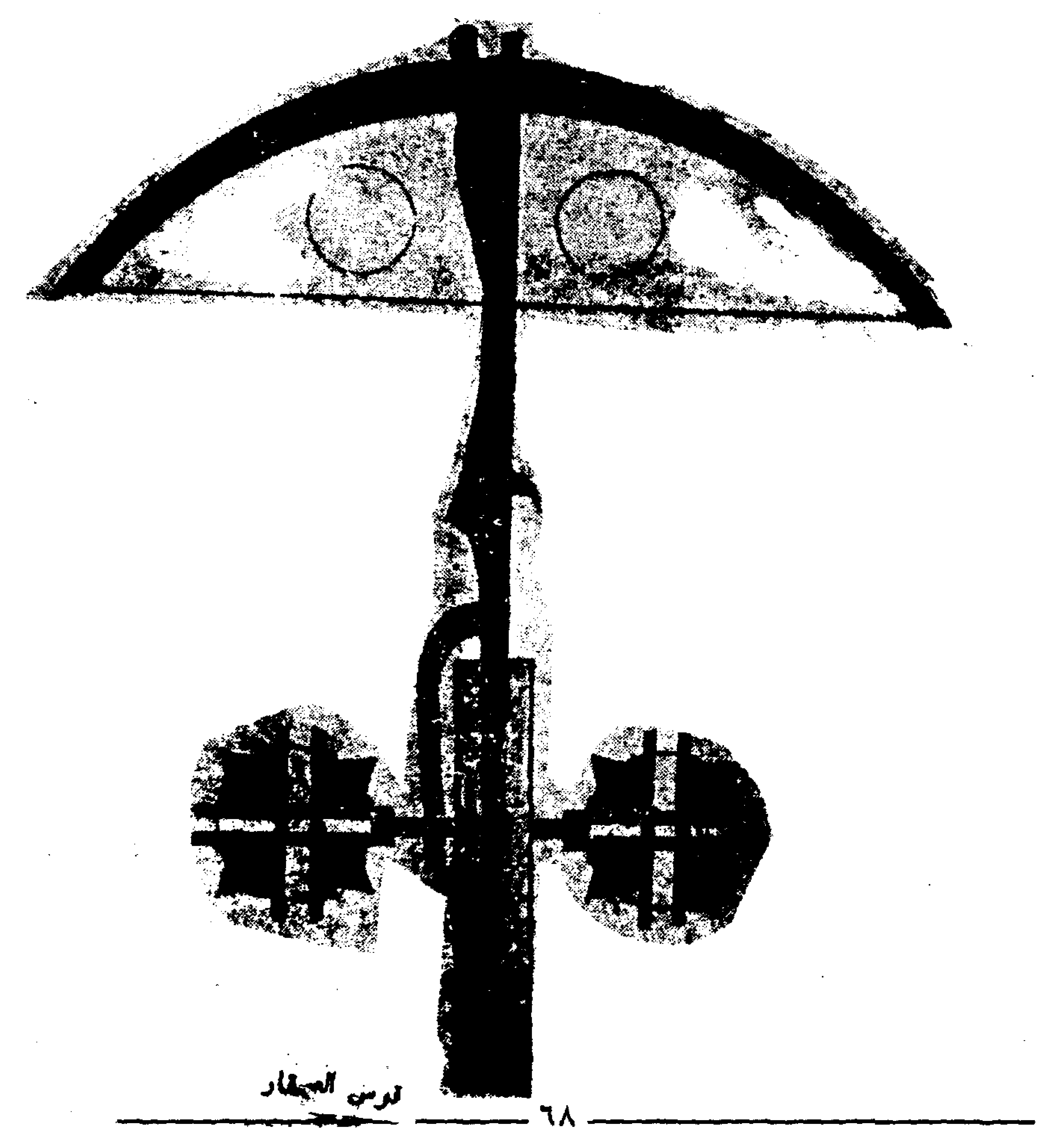
١ - في الأصل: أثر، والصواب ماأثبتناه.

٢ - الغرر: ج غِرَّة، وهي أن يؤخذ الانسان على حين غرة، أي غفلة .

٣ - الزيادة ما بين حاصرتين زيادة في الأصل .

٤ - ورد الحديث في البخاري باب الجهاد ج٤ ص٢٢ بلفظه، وصحيح مسلم أيضاً ج٣ ص١٣٦٢ رقم ١٧٤٢، وأبو داوود ج٣ ص٩٥ رقم ٢٦٣١.

تَفْعَلُهُ الحَرْبُ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ الخَدِيْعَةِ وَالحِيَلِ ، وَعَلَيْـهِ أَن يَصْـرِفَ أَكْـثَرَ اهْتِمَامِهِ إِلَى دُخُولِ عَدُوهِ فِي طَاعَتِهِ ، وَإِنقِيَادِهِ إِلَيْهِ حَتَى يَكُوْنَ ذَلِكَ مُقَدَّمـاً عِنْـدَهُ عَلَى الغَنِيمْةِ ، فَإِنَّ الغَنِيمَةَ العُظْمَى عِنْدَ أَرْبَابِ العُقُولِ هِيَ انقِيَـادُ العَـدُو وَدُخُولُـهُ فِي الطَّاعَةِ ، فَإِذَاً حَصَلَ ذَلِكَ فَقَدْ حَصَلَ الفَـوْزُ بِـالمَقْصُوْدِ ، وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ مِـنَ القُنْعِ بِالطَّاعَةِ إِلاَّ سَلاَمَةَ الأَنفُسِ وَالأَمْوَالِ لَكان فِي ذَلِكَ كِفَايَـةٌ ، وَإِذَا بُذِلَـتْ لَـهُ الطَّاعَةُ فَعَلَيْه أَنْ يَكُفَّ عَنِ القَتْلِ ، وَسَفْكِ الدَّمِ مَا اسْـتَطَاعَ إِذَا وَافَـقَ مِـنْ عَـدُوهِ بِذَلِكَ ، إِذْ لاَ فَائِدَةَ فِي قَتْلِ الطَّائِع ، فَلَعَلَّ مَنْ سَلِمَ مِنَ القَتْلِ يَصِيْرُ عَوْناً لَهُ بَعْدَ أَنْ كَان عَوْناً عَلَيْهِ .



قوس الجهار

الباب الثامن
في الطلائع وترتيب أمورها وما يعتمد في ذلك
وفيه فصلان

الفصل الأول
في حقيقة الطليعة وصفة رجالها وخيلها

أمَّا الطَّلِيْعَةُ فإنها عِبارَةٌ عَن الخَيَّالةِ التي تتقـدَّمُ العَسْكَرَ لاستِطْلاعِ الأخْبار وكَشْفِهَا ، سُميتْ بذلِكَ لاطّلاعِهَا عَلَى خَبَرِ العَـدُو ، وتُسَـمَّى الكشَّافَة أيْضاً لِكَشْفِهَا الخَبَر .

وأمَّا رجالها فقَدْ قالوا : إنهُ يَنْبَغي أنْ يُختَارَ للطَّلِيْعَةِ رجَال النُصْحِ والنَّجْدَةِ والمَعْرفَةِ بمَوَاقِـفِ الحَرْبِ ، فَـإنَّ النُصْرَةَ مَتَى حَصَلَـتْ لِلطَّلِيعَـةِ كـانتِ النُصْرَةُ لِلعَسْكَرِ غَالباً ، ولِذَلِكَ يَسْتَبْشرُ أهْلُ العَسْكَرِ ، إذَا حَصَلَت النُصْرَةُ لِلطَّلِيْعَةِ .

ويَنْبَغي أنَّ يَجْعَلَ عَلَى الطَّلِيْعَةِ مُقَدَّمَاً تَرْجِع إلَيْهِ وتُطِيعُهُ ، لأنَّهُ إذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِم مُقَدم يَرْجِعُوْنَ إلَيْهِ وَيَقِفُونَ عِنْدَ قَوْلِهِ أدْرَكَهُم الخُلفُ[1] وفَاتَتِ المَصْلَحَة فيمَاهُمْ فِيه .

وأمَّا خُيُولُهُمْ :

فَيَنْبَغي أنْ تَكـوْنَ خُيُولُهُـمْ سَـوَابقَ جيـدة الظُهُـوْرِ ،[2] سَالِمَـةَ الحَوَافِرِ ، لَيْسَ بهَا جمَاحٌ[3] ولاَ فيهَا حَرُوْنٌ[4] ، فَـإنَّ المَقْصُودَ مِنَ الطَّلِيْعَة سُرْعَةُ رَد الخَبَرِ ، وإذَا كَان في الفَرَسِ حَرَنٌ أوْ جماحٌ أو نَحْوَ ذلِكَ فَوَّتَ المَقْصُودَ منَ الطَّلِيْعَةِ.

---

١ - الخُلف: الخلاف والفرقة

٢ - في الأصل جيلة الظهور، والصواب أثبتناه من كتاب مختصر في سياسة الحروب (خـط) للهرثمي الشعراني من تحقيقنا .

٣ - الجماح: مشاكسة، صعبة القياد .

٤ - الحرون: الفرس الذي لاينقاد، وإذا اشتد به الجري وقف .

الفصلُ الثّاني
فِي أَحْكَامِ الطَّلِيعَةِ وَمَا يَنْبَغي أَنْ يُعْتَمَد فِيهَا

أوَّل مَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَمَدَ في أَمْرِ الطَّلِيْعَةِ ، أَنْ لاَ يَكُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُم درْعٌ ، وَلاَمَعهُ تُرسٌ ، وَأَنْ يَكُونَ فِي جُعْبَتِهِ عِشْرُوْنَ سَهْماً فَمَا حَوْلَهَا ، وَأَنْ لاَ يكَوُنَ مَعْه شَيءٌ يُثقِلُهُ البَتّةَ ، لأِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَمْنَع سُرعَة الخَبَرَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ المَطلُوبَ مِنْهَا سُرعَةُ الخَبَر ، وَالأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ مَسِيْرُهُمْ في أَرْضٍ مُسْتَوِيَّةٍ لَيْسَ فيهَا غُبَارٌ إنْ أَمْكَنَ ، لأَنَّهُ أَقْرَبُ لِرُؤْيَةِ العَدُو ، فَإِن احْتَاجَ الأَمْرُ إِلَى الصُّعُوْدِ إِلَى مَكَانٍ عَالٍ مِنْ جَبَلٍ وَنَحْوِه ، صَعْدَ البَعْض وَبَقي البَعْضُ في الأَرْضِ المُسْتَوِيَةِ ، وَلاَ تَنْتَهي الطَّلِيْعَةُ في السَّيْرِ إِلَى أَكْثَر مِنْ ثُلُثَي الطَرِيْق فِيمَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ العَدُو. وَعَلَيْهِمْ أَنْ لاَ يُسْرِعُوا إِلَى جِهةِ العَدُو ، مُتوغِلينَ فِي جِهتِهِمْ ، بَل يَكُوْنَ سَيْرُهُمْ بالرفْقِ وَالتَأنِي مَعَ مُلاَحَظَةِ الكَشْفِ يَمِيْناً وَشِمَالاً ، وَإنْ أَظْهَرَ العَدُوُّ هَزِيمَةً بَيْنَ يَدَي الطَّلِيْعَةِ فَلاَ يَتْبَعُوهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَ هُنَاكَ كَمِينٌ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ ، لاَ سِيمَا إِذَا كَانتْ هَزِيْمَةُ طَلِيعَةِ العَدُو في غَيْرِ جِهَةِ عَسْكَرِ العَدُو ، وَمِثْلَ أَن يَكُونَ العَدُوُّ في القِبْلَةِ فَيهزِمَ طَلِيعَته إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى ، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لا[1] تَفْعَلُهُ طَلِيْعَةُ العَدُو في الغَالِبِ إلاّ عِنْدَ إِكْمَان كَمِيْنٍ لَهُمْ فِي تِلكَ الجِهَةِ ، وَهَذَا مِمَا يَقَعُ كَثِيراً لِلطَّلاَئع فَيَجبُ التَحَرُّزُ مِنْهُ .

ثُمَّ إِنْ كانتِ الطَّلِيْعَةُ فَارساً وَاحِداً فَقَط ، كَشَفَ الخَبَرَ وَأَتى بِهِ ، وَإِنْ كَانتْ إِثْنَيْنَ بَقِيَ وَاحِدٌ فِي الكَشْفِ وَأَتى واحِدٌ بالخَبَرِ ، وَإِنْ كَانتْ ثَلاثَةً أَتى وَاحِدٌ بالخَبَر وَبَقي إِثْنَان لإِسْتِبراء[2] الكَشْفِ ، وَإِنْ كَانتْ أَكثَرَ مِنْ ذَلِكَ صَرَفَهُمْ المقَدَّمُ عَلَيْهِمْ بالإتيَان بالخَبَرَ ، وَالبَقَاء فِي الكَشْفِ عَلَى مَا يَخْتَارُهُ .

---

١ - زيادة عن الأصل .

٢ - استبراء: أي الاستمرار في الكشف، وأداء المهمة .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الذي يَرْجِعُ بالخَبرِ مِنَ الطَّلائع عَاقِلاً صَدُوقـاً، وَإِذَا أَتـى بالخَبَر بحَيثُ يَرَى العَسْكَر نَازِلاً أَوْ سَائِراً خَفَّفَ جَرْيَ فَرَسِهِ عَلَى التَّدْرِيـجْ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى العَسْكَرِ ، فَيُدْخِلَهُ بِرِفْقٍ ، ويُخبرَ صَاحِبَ العَسْكَرِ بِمَـا رَأَى وَلاَ يُخبِر بذَلِكَ غَيْرَهُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ بَيْنَ صَاحِبِ العَسْكَرِ وَبَيْنَ الذيْ يَأْتِي بالخَبَر إِشَارَة يَفْهَمُ بها صَاحِب العَسْكَر الخَبَر ، حَيْثُ لاَ يَسَع إِظْهَارُه ،

فَقَـدْ رُوِيَ أَنَّ الـنَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لَمَّا أَرْسَل لِكَشْـفِ خَبَر بَـنِي قُرَيْظَةَ قَال : « إِنْ رَأَيْتُمْ خيْراً فَأَعْلِنُوا بهِ ، وَإِنْ وَجَدْتُـمْ عُـذْراً فَـالْحَنُوا إِلَـيَّ لَحْنـاً أَعْرِف بهِ وَلاَ تَفُتُّوا[1] في أَعْضَادِ المُسْلِمين »[2] يَعْنِي لاَ يُخْبِرُوهُمْ بخَبَر يَسُوؤُهم .

وكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِمَن يَأْتِي بالخَبَر إِذَا وَقَعَتِ الإحَالَـةُ بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ العَسْكَر بَعْدُوٍّ أَو نَحوِه ، أَن يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ العَسْكَر إِشَـارَاتٌ ، يُفهَـمُ مِنْهـا مَقَاصِدُهُ مِنْ نُزُول العَدُو وَسَـيْرِهِ إِلَـى جِهَـةٍ ، إِشَـارَةً إِلَـى سَيْرِهِ لِتِلْـكَ الجِهَـةِ ، وَيَركُضُ فَرَسَهُ إِشَارَةً إِلَى غَارَةِ العدو أو نحو ذلك .

---

١ – فتَّ : فته : كسره والانفتات: الإنكسار، والمعنى: لاتثبطوا عزائم المسلمين.

٢ – قال ابن الأثير في النهاية ٢٤١/٤ (لحن) ما نصه: ومنه الحديث: "أنه بعث رجلين إلى بعض الثّغور عيناً، فقال لهما: "إذا انصرفتما فألحنا لي لحناً" أي أشيرا إليَّ ولاتفصحا، وعَرِّضا بما رأيتما، أمرهما بذلك لأنهما ربَّما أخبرا عن العدو ببأسٍ وقوةٍ، فأحبَّ ألاَّ يقف عليه المسلمون.

الْبَابُ التَّاسِعُ
فِي بَيَان مَا يَجبُ مِنَ التَحرُّز عِنْدَ الرَّحِيْل وَبَيَان مَا يَجبُ فِعْلُهُ فِي حَالِ الْمَسِيْر
وَفِيهِ فَصْلان

الفَصْلُ الأَوَّلُ
فِي التَّحرُّز عِنْدَ الرَّحِيْل

قَال أَهْلُ النَّظَر فِي أُمُوْر الحَرْبِ :

عَلَى صَاحِب الجَيْش أَنْ لاَ يَأْذَنَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ عسْكَرِهِ جُمْلَةً فِي الرَّحْيلِ ، إلاّ بَعْدَ تَعبئتـهِ عَسْكَرِهِ وَتَرتيبـه وَرُكُوْب خُيُولِهـم ، وَلُبْس لأْمَةِ[1] حَرْبِهِمْ ، وَوُقُوف المقَدَّم عَلَى العَسْكَرِ بتَعْبئَتِه وَتَرتِيبِهِ بأَصْحَابهِ فِي نَوَاحي العَسْكَر بعُدَّتِهِمْ وَسِلاَحِهِمْ ، فإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَخَذَ النَّاسُ فِي التَّحْمِيل وَالرَّحِيْلِ ، وَالخَيْلُ مُحيطَةٌ بهِمْ مِنْ كُل جَانبٍ ، حَتَى إذَا اسْتَقَلُّوا سَارُوْا حِيْنَئِذٍ بَعْدَ أَنْ يُعرفَ صَاحِبُ العَسْكَرِ كُلَّ أَمِيْرٍ أَوْ قَائِدٍ مِنْ أُمَرَاء عَسْكَرِهِ وَقُوَّادِهِ وَالْمُقَدَّمِينَ عَلَى الطّوَاف[2] وَوُلاَةَ الأَعْمَال بِمَا يَفْعَل كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي حيزه[3] ذَلِكَ ، وَمَا هُوَ مِنْ شأْنِهِ بحَسَبِ مَا يُنَاسب فِي كُل موَطن وَتَدْعُو الحَاجَةُ إِلَيْهِ .

وَيَختَلِفُ الحَال فِي الاحْتِرَاسِ عِنْدَ الرَّحِيْلِ باخْتِلاَفِ الأَمَاكِنِ وَالأَوْقَاتِ ، وَلاخَفَاءَ أَنَّ الرَّحيلَ فِي اللَّيْل أَوْلَى بشِدَّةِ الاحتِرَاس مِنَ الرَّحيلِ فِي النَّهارِ ، وَفِي الأَمَاكِن وَالطُّرُق الْمُخْتَلِفةِ أَشَدُّ مِنَ الْمَكَان الذَّي لَيْسَ فيهِ إلاّ طَرِيقٌ وَاحِدٌ .

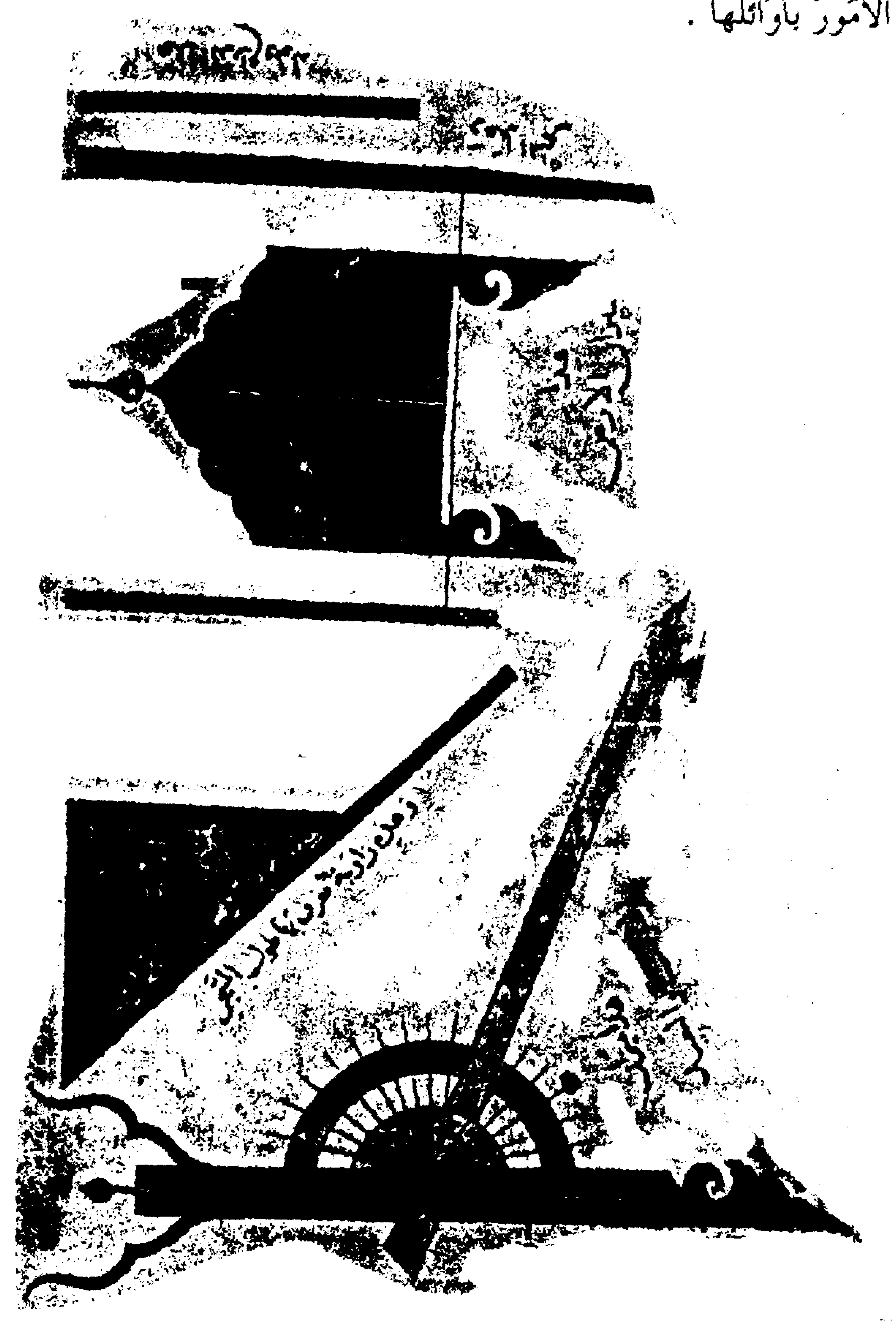
---

١ - لأمة : لبس لأمته، وهي الدرع المحكمة الملتئمة، واستلأم: لبس الدرع .

٢ - كذا في الأصل، ولعلها: الطّوائف .

٣ - الحيز : الناحية، والحيز ماانضم إلى الدار من مرافقها والمعنى في قطاع عمله .

وَعَلى صَاحِب العَسْكَرِ أن لاَ يُمَـكِّنَ أحَداً مِنْ أهْلِ عَسْكَرِهِ يَتَقَـدَّم عَلَـى طَلاَئع العَسْكَر ، فَقَدْ يَجرُّ ذَلِكَ إِلَى فَسَادٍ عَظِيم ، لاَ يُمْكِـن تَدَارُكـه ، فَـإن الأُمُورَ بأوَائلها .



الشكل رقم ١ : أدوات قياس المسافات (ص ٣٦ / ب)

الفَصْلُ الثّاني
في بيَان مَا يَجِبُ فِعْلُهُ في حَالِ المَسِير

أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الجَيْشِ أَنْ يُقَدم طَلائعهُ عَلَى عَسْكَرِهِ، لِكَشْفِ خَبَرِ العَدُوِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي البَابِ قَبْلَهُ ، ثُمَ بَعْدَ الطَّلائِعِ يُقِيمُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الصَّرَامَةِ وَصِحَّةِ النَّظَرِ ، وَالمَعرِفَةِ بالطُّرُقَاتِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ ثِقَاتِ عَسْكَرِهِ ، وَيُقِيمُ رِجَالاً لإِصْلاَحِ الطُّرق ، وَقَطِعِ الشَّجَرِ ، وَإِقَامَةِ الجُسُورِ وَالقَنَاطِرِ عَلَى الأَنْهَارِ وَإِزَاحَةِ سَائِرِ ضَرُورَاتِ الطُّرق ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَسْهِيل الطَّرِيقِ عَلَى العَسْكَرِ ، وَرُبَّمَا أَوْجَبَتْ تَقْصِيراً فِي السَّيْرِ أَوْ تَأخيراً عَنْ بُلُوغِ القَصْدِ الذَي يُرِيدُهُ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ .

ثُمَّ أَوَّل مَا يُقَدّمُ مِنْ عَسْكَرِهِ مُقَدمة العَسْكَرِ ، وَهِيَ الخَيَّالةُ الَّتي تكُونُ في أَوَّل العَسْكَرِ ، وَبَقِيَّةُ العَسْكَرِ وَرَاءَ ذَلِكَ عَلَى التَّرتيبِ إِلَى السَّاقَةِ[1] ، وَهِيَ آخِرُ العَسْكَرِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي تَرْتِيبِ المَصَاف ، إِنْ شَاءَ الله تَعَالى .

وَعَلَيْهِ أَنْ يَأْمُر بَعْضَ طَلائِعِهِ أَنْ يُجَاوِزَ المَنْزِلَةَ التَي تَنْزِلُ فيهَا مُقدَّمَةُ العَسْكَرِ لِكَشْف مَا وَرَاء المَنْزِلَةِ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الحَال ، ثم يلاقيهِ بِخَبَرِ ذَلِكَ ، وَخَبَرِ نُزُول مُقَدَّمَةِ العَسْكَر لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِن ذَلِكَ قَبْلَ وصُولِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهِ مَنْ وَجَّهَهُ لِلكَشْفِ أَوْ دَاخَلَتْهُ رِيبَةٌ فِي أَمْرِ مَا هُوَ أَمَامَه ، أَرْسَلَ مَنْ يَكشِفُ ذَلِكَ وَيُحَقّقُهُ وَيُعِيدُ الخَبَر إِلَيْهِ فَإِنْ بَلَّغَهُ خَبَراً يَكْرَهُهُ لَمْ يُظْهِرْ خَوْفاً وَلاَ هَلَعاً ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُشَوّشُ قُلُوبَ عَسْكَرِهِ.

وَعَلَى صَاحِبِ الجَيْشِ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ فِي الطَّرِيقِ مَضِيقٌ أَو عَقَبَةٌ أَوْ نَهْرٌ أَو نَحو ذَلِكَ ، وَقَفَ بِنَفسِهِ حَتَى يَجُوزَ العَسْكَرُ عَنْ آخِرِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَفعَل ذَلِكَ

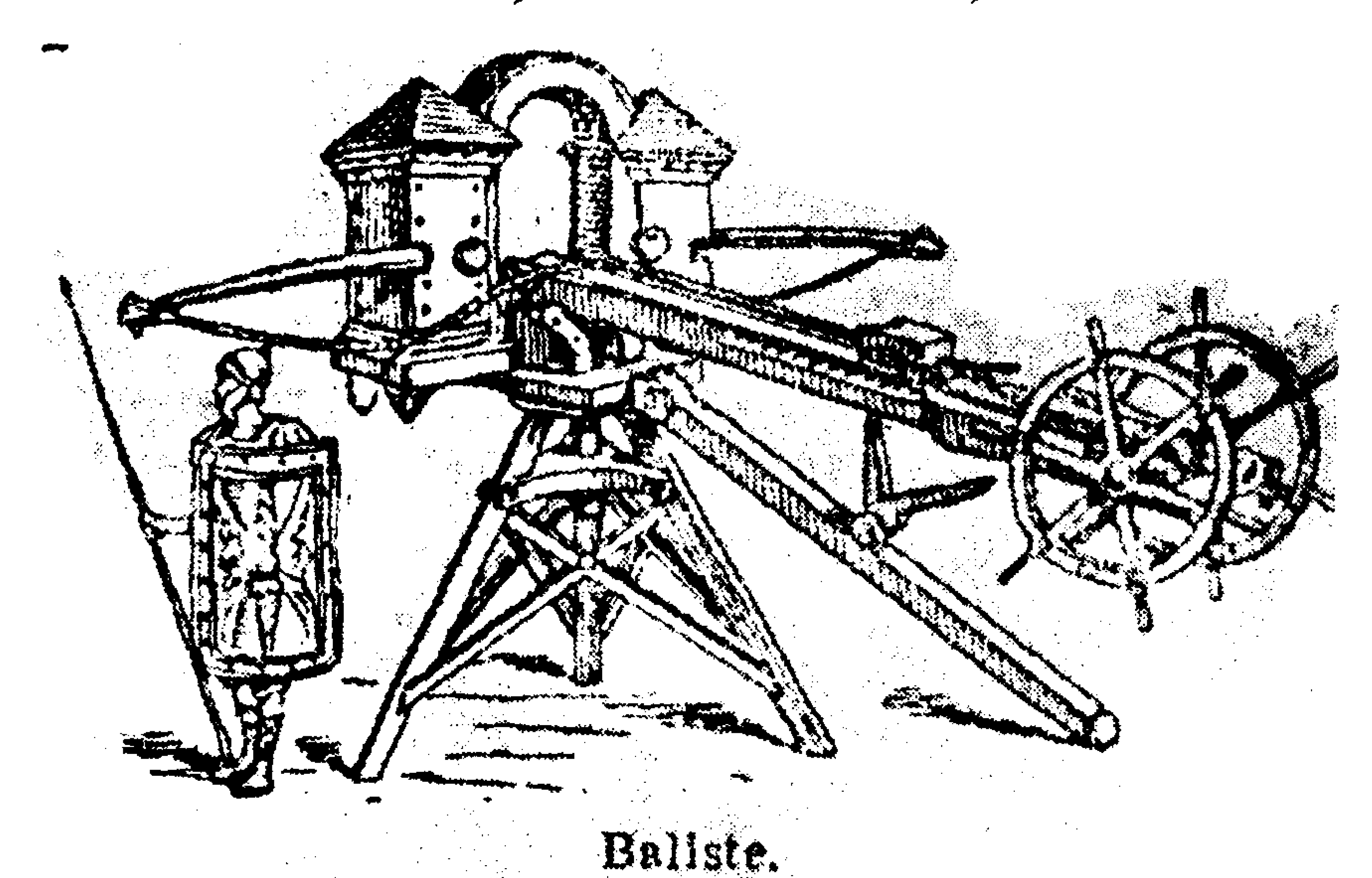
---

١ - السَّاقة: مؤخرة الجيش .

رُبَّمَا طَلَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَقْدِيمَ نَفْسِهِ عَلَى غَيره ، فوَقَعت المضَايَقَةُ وَجَرَى الخُلفُ بَيْنَ العَسْكَرِ ، وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى إِثَارَةِ الفِتنَة .

وَقَد حُكِيَ عَن المَلِكِ الظَّاهِرِ بيبَرس البُنْدُقدَارِي أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ بِلاَدِ الرُّوْمِ وَفَتحَ قيسَارِيَّةَ[1] وَعَاد ، كَان هُوَ الذِّي يَتوَلَّى أَمْرَ ذَلِكَ بنَفْسِهِ ، وَيَقف فِي المَضَايِق وَتَعْدِيَةِ الأَنهَار حَتى يَجُوز الجيشُ وَاحِداً واحِداً .

وَعَلَيْهِ أَنْ يُوَكِّلَ بسَاقَةِ عَسْكَرِهِ رَجُلاً مِمَّن يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَعْمَل بقَوْلِهِ فِي جَمَاعةٍ من أَصْحَابه ، يَحْبِسُ الجندَ وَالغلمان ، وَيَمْنَعُ أَحَداً مِنْهُمْ مِنْ الرُّجُوعِ إِلَى مَاوَرَاء العَسْكَرِ ، ولاَ يُمَكِّنُ أَحَداً مِنْهُم مِنَ التَخلُّف عَن العَسْكَرِ ، فإِنهُ مَتى رَجَع أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ تَخلَّفَ عَنْ العَسْكَر رُبَّمَا أَخبَرَ عَن العَسْكَرِ بشَيْءٍ مِمَّا اتَّفقَ فيهِ مِمَّا لاَ يَنْبغي إِشَاعَتُهُ أَوْ يَزيدُ فيهِ أَوْ يَنقُصُ ، فَيَزيدُ بذَلِكَ تَشْويش خَوَاطِر الناس .



الشكل رقم - ٣١ -
منجنيق السهام او الباليستا (نقلا عن اللاروس الفرنسي)

١ - قيسَارِيَّةُ: مدينة كبيرة في بلاد الروم، فتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب "معجم البلدان ج٤ ص٤٧٨".

البَابُ العَاشِر
في بيَان مَا يَجبُ منَ التحرُّز عِنْدَ النزُول وَالاقَامَةِ في المَنْزلَةِ
وَفِيهِ فصْلان

الفصْل الأوَّل
في اختِيَارِ مَوْضِع المَنْزلِ

قَال أهْلُ التَّجْرِبَةِ لأمُور الحرْب: يَجب أنْ تَكُونَ المَنْزلَةُ التي يَنْزلُ بهَا الجَيْش ذَاتَ مَاء وَعُشْبٍ وَحَطَبٍ ، وَغَيْر ذَلِكَ مَمَّا يَرْتَفِقُ بهِ العَسْكَرُ ، وَأَنْ يَكُونَ المَوْضِعُ الّذي يَقعُ فيهِ النُّزُولُ بحَيْثُ لَوْ أرَادَ العَسْكَرُ التَقدُّمَ إلَى العَدُو أمْكَنَهُ ذَلِكَ ، وَلَوْ أرَادَ التَّأخرَ عَنْهُ لِمَصْلَحَةٍ اقْتَضَاهَا الحَال أمْكَنَهُ ذَلِكَ .

وَيَجْتَهدُ أنْ يُسنِدَ ظُهُور أَصْحَابِهِ إلَى الجبَال أوْ التِّلاَل أوْ الأنهَار وَمَا أشْبَه ذَلِكَ ، مِمَّا يُؤمنُ سُرْعَةَ التَّطَرُّق وَالكُمَناء وَالبيَاتِ مِنَ العَدُوّ ، فَإنْ لَم يَجدْ خَلفَ عَسْكَرِهِ جَبَلاً وَلاَ تَلاً وَلاَ نَهْراً وَلاَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَقي العَسْكَرَ أَقَامَ خَلفَ العَسْكَر نَظَّارَةً كَالطَّلاَئع يَنْظُرُونَ مَا يَأْتِي مِنْ خَلفِهِ ، لِيَأمَنَ هُجُوم العَدو عَلَيْهِ بَغْتَةً ، وَذَلِكَ أنَّ العَدُوَّ إنْ أتَى مُوَاجَهَةً وَاجَهَهُ أَهْلُ العَسْكَر باللقَاء بالسلاَح ، وَدَافَعُوهُ بمَا تَصِلُ[1] إلَيْهِ طَاقَتُهمْ مِنَ الدفَاع ، وَأَمَّا إذَا أتَى مِن جهَة ظَهْر العَسْكَر فَإنْ لَمْ يَكُن هُنَاكَ مَا يَحْفَظ ظُهُورَه رُبَّمَا يَهجُمُ العَدُوُّ عَلَى العَسْكَرِ عَلى حين غَفْلَةٍ فَأوقَعَ بِهِ النكَال .

---

١ - في الأصل: بما تجب إليه .

الفَصْل الثَّاني
في تَرْتيبِ العَسْكَرِ في المَنْزِلَةِ وَمَا يجب مِنَ الإحتِرازِ فيهَا

أمّا تَرتيبُ العَسْكَرِ في المَنْزِلَةِ : فَيجبُ أَوَّلاً أَنْ يَكون نُزُولُ العَسْكَرِ بِترتيبٍ صَحيحٍ ولِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الأُمَراء وَأَرْبَاب الوَظَائفِ مَنْزِلَةٌ مَعْرُوفَةٌ في جهَةٍ مِنَ جهَاتِ مَنْزِلِ صَاحِبِ العَسْكَرِ ، لأَنَّهُ إذَا كان لِكُلِ رَئِيسٍ مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ ، وَدَعَتِ الضَّرُوْرَةُ إِلَى طَلَبِهِ هَانَ وُجُودُهُ ، وَلَوْ شَرَدَتْ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَعُرِفَتْ بوَسْمِهَا[1] هَانَ عَوْدُهَا إِلَيْهِ ، وَأَمَّا الاحْتِرَازُ في المَنْزِلَةِ إذَا خِيفَ هُجُومُ العَدُو فَيَنْبَغي إذَا أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ العَسْكَرِ مَنْزِلَهُ أَنْ يَحْتَفِرُوا خَنْدَقاً مُسْتَدِيراً عَلَى العسْكَرِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ بَابَان أَوْ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ ، إن كَان العَسْكَر كَثِيراً ، وَيقِفُ الرُّمَاةُ وَالفُرسَان عَلَى أبوَابِ الخَنْدَق عَلَى أَتم أُهْبَةٍ ، وَقَدْ كَان أَصْحَابُ العَسَاكِرِ في الأَزمِنَةِ السَّالِفَةِ إِذَا نزلُوا مَنْزلاً نَثَرُوا خَارِجَ الخَنْدَق حَسَك الحَدِيدِ[2] المَعْرُوفَة الآن بالزَّقَازِيق ، وَهوَ حَديدٌ له ثلاثُ شَوْكَاتٍ كَيفَ وُضِعَ عَلَى الأَرْض قَامَتْ لَهُ شَوْكَةٌ مِنْهُ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالسُّوْرِ عَلَى العَسْكَرِ ، لأَنَّهُ مَتَى دَهَمَهُم العَدُوُّ ، وَدَخَلَتْ تِلكَ الشَوكَاتُ في حَوَافِرِ الخَيْلَ ، وَأَرْجُلِ الرجَالِ مَنَعَتْهُمُ الحَرَكَةُ .

وَإذَا كَان العَسْكَرُ نَازلاً مَنْزِلَةً فَعَلى صَاحِب العَسْكَرِ أن يَبْعَثَ الطَّلائِعَ مِنَ عَسْكَرِهِ نَهَاراً في الطُّرُق وَالمَوَاضِع المخوفَةِ ، وَيُقِيمَ خَيَّالة خَارِجاً عَنْ عَسْكَرِهِ عَلَى المُسْتَشْرَفَاتِ وَالمضَايق مِنْ أَبوَابِ العَسْكَرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَإِذَا دَخَلَ

---

١ – الوسم: علامة توضع بحديدة مُحماة بالنار كنوع مـن الخاتم على أذن أو خد الدابة لتميزها عن دواب الآخرين .

٢ – حسك الحديد : ألغام قديمة تستعمل لتعطيل الدواب والمشاة، وتكون مدببة كالأبر، ذات ثلاث شعب، تكون إحدى الشعب دائماً واقفة .

اللّيل أقامَ غيرهم مقامهُم حَتى تطلع الشّمْسُ ، وقَـد استَحسَنُوا أنْ يجْعل في اللَيـل خيَالةٌ مِـنْ وراءِ الجَيْش غيْر بَعيـد ، يرفعُـونَ أصْواتهُـم بـالتّهليل والتّكبير لإيقـاظِ العَسْكَر وطلَبِ النُّصرَةِ مِنَ الله تعَالى ، وهَذِه الخَيَالة تُسمّى الدرّاجة ، وأنْ يجعـلَ وراء هؤلاء على نصْفِ شوْطٍ عَسَساً[1] يدُورُونَ بالعَسْكَر وهُمْ سُكوتٌ ، ليدركوا مَنْ هُوَ مُختفٍ أو كَامِنٌ لمكيدة يَكيدُهَا ، وليَأمَن حينئـذٍ بإكمـان الكمَـائن خـارجَ العَسَسِ والحَرَسِ ، وإيقَـادِ النّيرَان في جَميْع نوَاحِي العَسْـكَرِ لإرْهَـابِ العَـدُوّ والاطّلاعِ عَلَيْهم بظُهُورِ النُور إنْ يَقربُوا .

وإن اتّفقَ أنْ العَدوّ طرَقهُم ليْلاً مِنْ جهَةٍ مِنْ جهَاتِ العَسْكَرِ خرَجَ عَلَيْهم الكَمِين وتَلقّاهُمُ الخيّالةُ والحَـرس الذيـن هُـم خـارجَ العَسْـكَرِ ليَصيرَ العَـدُوُّ الـذي طرَقهُمْ مَحصُوراً بَيْنَ العَسْكَرِ وبَيْنَ الذينَ خرَجُوا عَلَيْـهِ ، وعَلَى أهْلِ العَسْكَرِ في هَذِهِ الحَالةِ أنْ يلزَمُوا أمَاكِنَهُم ولاَ يُخرجُوا أحَداً مِنْهُمْ عَنْ مَكَانهِ مَا استَطَاعَ ، ولاَ يَتكَلّم مِنْهُمْ أحَـدٌ إلاَ أهْـل الجهَـةِ الـتي حَـلَّ العَـدُو مِنْهَـا ، فَـإنهُم يُكَبرُون ثَـلاثَ تكبيرَات مُتوَاليَاتٍ عِنْدَ مَجيءِ العَدُو ، ليعْلم أنَّ العَدُو قَدْ أتَى من جَانبهم ، فإن تَرَكَ العَدُوُّ ذَلِكَ الجَانب وجَاءَ مِن جَـانبٍ آخـرَ ، وأتـى إلى الجَـانب الآخـر طَائفـة مـنَ العَدُو غَير الأوْلى كَبّرَ أهْلُ تلكَ النّاحيَة أيضاً ليَميل القَومُ إليهم .

---

١ – العسس: الجواسيس الذين يعسون في الليل .

الباب الحادي عَشر
فِي بَيان مَتى تجبُ تَعْبئَة العسكر وترتيبه
وَمَا يَجبُ حِينئذٍ مِنَ التَعبئةِ
وَفيهِ فصْلان

الفصْل الأَوَّلُ
فِي بيَان مَتَى تجبُ تَعبئَة العَسْكَرِ وتَرتيبَه[1]

قَال أَهْلُ الدُّرْبَة بالحربِ والتَّجْربَة لوَقَائعِه : يَنْبَغي لأهلِ العَسْكَر إِذَا تَوَجَّهُوا إِلَى عَدُوهِم أَن يَكونُوا فِي مَسيرِهِم وَنُزُولِهم عَلَى تعبئةٍ ، وأَنَّهُ تَجبُ التعبئَة فِي حَال الأَمْنِ كمَا تَجبُ فِي حَالِ الخَوفِ ، إِلاّ أَنْ تُوجبَ الضَّرورَة تَرْك ذَلِكَ ، وأَنَهُ لاَ يَترك ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ .

وَقَد حُكي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الحَزْمِ أَنَّهُ تَوَجَّهَ مِنَ الشَّامِ إِلَى الشَّرْق يُريدُ المُحَارَبَة ، فَخَندَق فِي أَوَّل مَنْزِل نَزَلَهُ مَع تَوفيةِ التَعبئةِ حَقَّها ، وَلَمْ يَزل يَفْعَل ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَلَغَ مَوضِع قَصْده ، وَظفر بعَدُوه .

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذه كانتْ حَال المُهلَّب بْن أبي صُفرَةَ شَيخِ الحُرُوب وَإمَامِها .

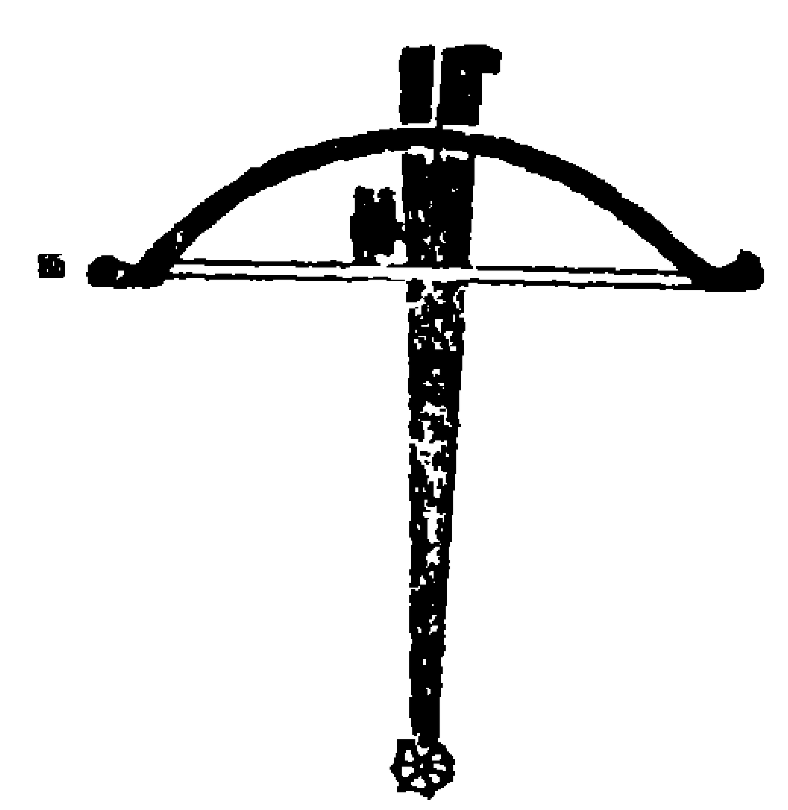
وَذَهبَ آخرُون إِلَى أَن التَعْبئَة إِنَّما تكونُ إِذَا كَان مِن العَدُو عَلَى مَسَافَةٍ قَريبَةٍ قَدَّرهَا بعضُهُم بخَمْس مَرَاحِلَ ، وَكَان المُرَادُ أَنَّهُ حِينئذٍ يَجبُ ذَلِكَ وَيَتأكَّدُ الحَال فيهِ . وبَالجُملة فإِنَّهُ يَجبُ أن يكون مُسْتَظهراً فِي حَال سَيرِهِ وَنُزُولِهِ وإِقَامَتِه ، آخذاً أُهْبَتَهُ فِي جَميعِ الأَوْقَاتِ ، فإِنَّهُ مَتَى أَخَلَّ بالتَأهبِ ، أَوْ فَوَّتَهُ ، كَان قَدْ عَرَّضَ نَفسه مِنَ الحَوادِث لِمَا لَعَلَّهُ لاَ يَسْتَطِيع تَدارُكه .

---

١ - في الأصل وترتيبها .

الفصْل الثاني
فِي بَيَان التعْبئـةِ حِيْنئذٍ

قَال العُلَمَّاء بأُمُور الحَربِ وأحوالها: إذا كان المحارب على مسافة قَرِيبَةٍ مِنْ عَدُوهِ فلاَ يَسِرْ إلاّ في مُقَدَّمَةٍ وَمَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَسَاقَةٍ ، قَدْ شَهَرُوا الأَسْلِحَةَ وَنَشَرُوا البُنُودَ(١) وَالأَعْلامَ ، وَقَدْ عَرَفَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَرْكَزَهُ وَمَوْضِعَه مِنَ العَسَاكِرِ ، سَائرينَ تَحْتَ أَلويَتِهِمْ ، قَدْ أَخذُوا أُهْبَةَ القِتَال ، وَاسْتَعَدُّوا لِلقَاء العَدُو ، عَارِفين مَوَاضِعَهُمْ في سَيْرِهِمْ وَمُعَسْكرهِمْ ، ويَكُونُ رَحيلُهمْ وَنُزُولُهمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَأَعْلاَمِهِمْ وَفي مَرَاكِبِهِمْ ، قَدْ عَرَّفَ كُلُّ قَائِدٍ أَوْ أَميرٍ مِنْهُمْ أَصْحَابَهُ مَوَاقِفَهُم مِنَ المْيمَنَةِ وَالميسَرةِ وَالقَلبِ وَالسَّاقَةِ وَالطَّلِيعَةِ ، لازِمِينَ لَهَا غَيْرَ مُخلِّينَ بمَا اسْتُنْجِدُوا لَهُ ، وَلاَ مُتَهَاوِنينَ بمَا نُدِبُوا إِلَيْهِ ، حَتَّى تَكُونَ العَسَاكِرُ في كُلِّ مَنْهَلٍ(٢) تَصِلُ إِلَيْهِ ، وَمَسَافَةٍ تَجْتَازُها ، كَأَنَهَا عَسْكَرٌ وَاحِدٌ في اجْتِماعِهَا عَلَى العَدُوّ وَأَخذهَا بِالحَزم وَمَسِيْرِهَا تَحْتَ رَايَاتِهَا وَنُزُولِهَا في مَرَاكزِهَا وَمَعْرِفَتِهَا .



الشكل رقم – ٢٢ –
نموذج مصغر لقوس العقار
(نقلا عن مخطوط الطرسوسي)

---

١ – البنود: ج بُند كلمة فارسية معربة، تعني العلم الكبير .

٢ – المنهل: مكان استسقاء الماء كالبئر والنبع .

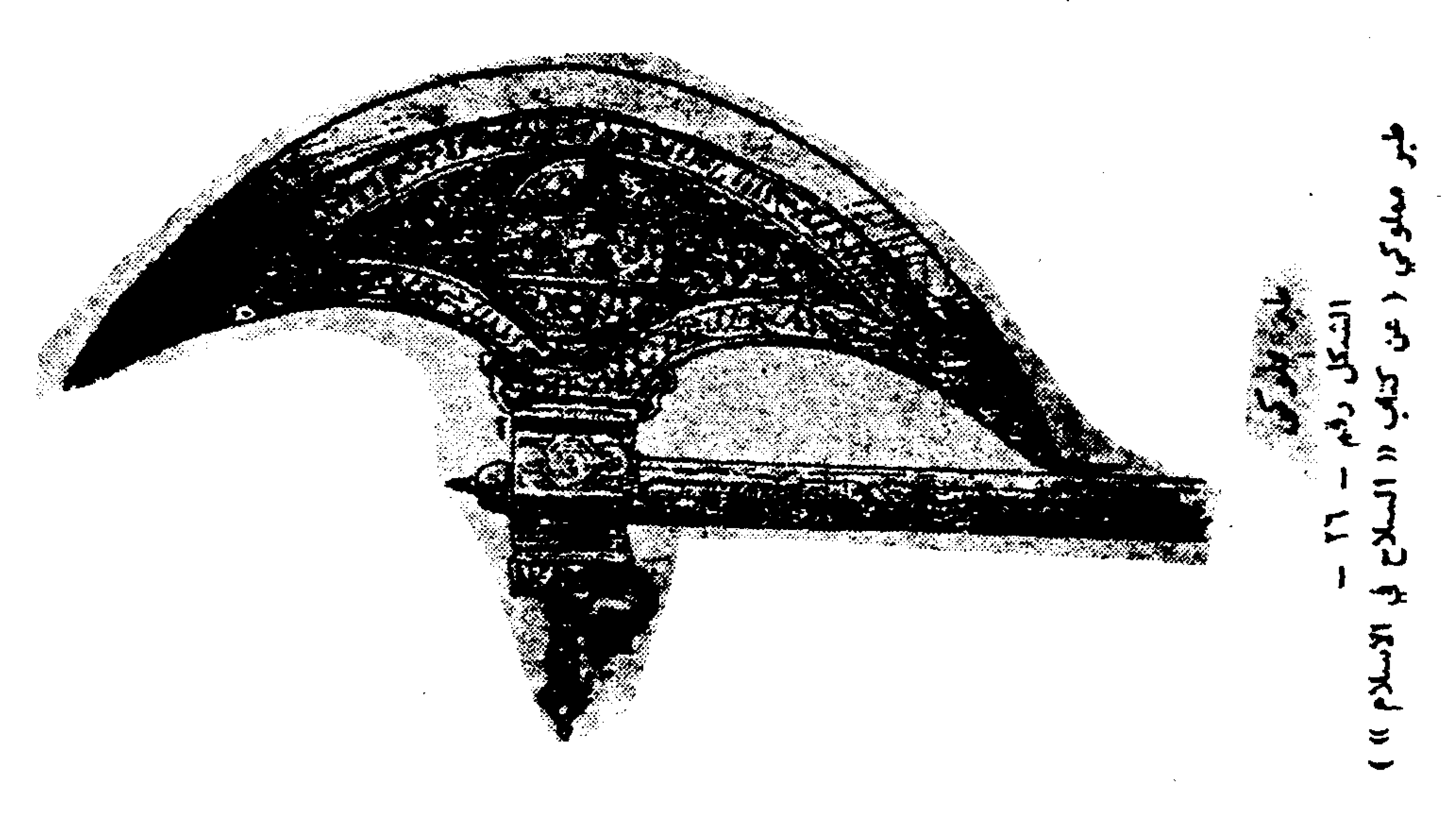
البَابُ الثَّاني عَشْر
فِي بيَان كَيْفيَّةِ التعبئة عِندَ الخَوف في المَسِير وَحِفْظِ خزَائن الأَمْوَال
وَفيه فصلان

الفصْلُ الأَوَّلُ
في بيَان كَيْفيَة التَعْبئةِ عِنْدَ الخَوف في المَسير

قَال أَهْلُ المَعْرفَةِ بتَدْبير الحُرُوب : إِذَا عَـرَضَ لِلعَسْكَرِ خَـوْفٌ في المَسير ، فَإِنْ كَان الخَوْفُ قُدَّامَ العَسْكَرِ جَعَـل نِصْـفَ المَيْسَـرَة قُـدَّامَ الصُّفُـوفِ في السَّيْر ، وَنِصْفَ المَيْمَنَةِ عَلَى أَثَرِهَا ثُمَّ القَلب عَلَى إِثْرِهَا ، ثمَّ يَصُفُّ المَيْسَرَةَ عَلَى أَثَرَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَصُفُّ المَيْمَنَةَ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ الخَوْفُ مِنْ جهَةِ المَيْمَنَةِ جَعَل سَيْر المَيْمَنَةِ أَمَامَ الصُّفُوفِ ، ثُمَّ القَلْب ، ثُم المَيْسَرَةَ ، وَإِنْ كان الخَوْفُ مِنْ جهَةِ الميسَرة جَعَـل سَيْر الميسَرة أَمَامَ الصُّفُوفِ ثُمَّ القَلب ثُـمَّ المَيْمَنَـة ، وَإِنْ كَـان الخَـوفُ مَجْهُـولاً لَـمْ تُعرْف جِهَتَهُ ، بثَّ الطَّلائع وَخَيْلَ الكَشْـف في نَوَاحـي جِهَـاتِ العَسْكَرِ ، وَالنَّـاسُ عَلَى مَرَاتِبهم وَمَرَاكِزهِمْ ، وَيَكونُ صَاحِبُ الجيشِ في وَسط القَلب .

الفصْلُ الثّاني
في حِفْظِ خَزَائِن الأَمْوَالِ وَالأَثْقَالِ[1]

أَمَّا الخَزَائِـن فَقَـالُوا : يَنبغي لصَاحِب العَسْكَر أَنْ يُوَكِّلَ بخَزَائنِهِ رَجُلاً نَاصحـاً أَمْينـا ومَعَهُ جَمْعٌ مّنَ الخَيَّالةِ ، تَسير بسَير الخزَائـن وتَـنْزِلُ بنُزُولهَا ، يَكونون[2] حَولهَا في المَسير وَالنُّزُول لِحفْظِهَا مِنْ طِوَارِق العَدُوّ ، وصَونها عَن قُرْبِ أَهْلِ الخيانةِ ، وَيَأْمُرُ عَامَّةَ الجُنْد وَالجَيْـش بالتّنحيَـة عَنْهـا ، وَالمُجَانبَـةِ لَهـا في المَسِيْر وَالمنزل إلاّ مَنْ اسْتَخلصَهُ لِذَلِكَ وَأَقَامَهُ لَهُ ، فَإنّه إذَا لَمْ يَكُن لِلخَزائِن مَنْ هُوَ مُوَكَّلٌ بهَا مِنْ أَهْلِ الحِفظِ لَهَا ، وَالذّب عَنْهَا ، وَالقُوّة عَلَى مَنْ أَرَادَ نَهبها ، رُبَّمَا طَرَقَهَا العَدُوُّ ، أَوْ أَسْرَعَ الجُنْدُ إلَيْهَا وَتَدَاعُوا نَحْوهَا ، حَتّى يَكَادَ يَـتَرَامَى ذَلِـكَ بهـمْ إلَـى إنتِهَابِ العَسْكَر وَثَوَرَان الفِتْنة. فَإنَّ أَهلَ الفِتَنِ ، وَسَيءَ السيرَة ومـن هِمَّتُـهُ الشـرك كَثِيرٌ ، وَمُسَارعَتهم إلَى الخَير بعيدة .



طبر مملوكي
الشكل رقم - ٢٦ - (عن كتاب ((السلاح في الاسلام)))

---

١ - الثَّقَل : متاع المسافر وعدته والمعنى : المستلزمات الإدارية كالتموين والسلاح .

٢ - في الأصل: يكون .

البَابُ الثَالِثُ عَشْر
في بيَان كَيْفيَّة بَياتِ العَدُوِّ إذا لاَحَتْ فُرصَة
وَفيْهِ فصْلاَنَ

الفصْل الأول
في بيَان الوَقْتِ الذي يَحسنُ أَنْ يُبَيَّتَ فيهِ العَدُوُّ وَصِفَةِ الرِّجَالِ الذين يَصْلُحون لِذَلِكَ

أَمَّا الوَقْتُ الذي يَحْسُنُ أن يُبَيَّتَ[1] العَدُوُّ فِيهِ ، فَيَنْبَغي أَنْ يَتحرَّى لِذَلِكَ اللَّيْلَةَ المُظْلِمَةَ ، ولَيْلَةَ الريحِ ، وَإِنْ كَان ذَلِكَ عِنْدَ حُصُولِ دَويّ أَوْ خَرِيْرِ مَاء ، ليَمْنَعَ حِسَّ الطَّارِق الذي يَطْرُقُ العَدُوّ فَهْوَ أَحْسَنُ ، ثُمَّ إنْ كان العَدُوُّ الذي يُريدُ بيَاتَهُ كَثيراً دَهَمَهُم نِصْفَ اللَّيْل ، ليَكونَ الوَقْتُ مُتَّسِعاً لِمَا يُريدُهُ مِن البيَات ، وَإِنْ كَان قَليلاً اختَارَ لَهُ وَجْهَ الصُّبْح لِقُربِ الإسْفَارِ ، وَظُهُورِهِمْ بطُلُوعِ الصُّبْح ، فَيَأْخُذُهُمُ العَسْكَرُ ، وَقَد مَدَحَ الله تَعَالى الخَيْلَ بالإغَارَة في الصُّبْح بِقَولِهِ: ﴿ **وَالعَادِيات ضَبحاً فَالمُورِيَاتِ قَدحاً فَالمُغِيرَاتِ صُبْحاً** ﴾[2] .

أَمَّا الرجَال الذّين يَصْلُحُونَ لِذَلِكَ ، فَقَدْ ذَكَرُوا: أَنْ الذين يُختَارونَ للبيَات صِنفان:

---

١ - يُبيتُ: بَيَّتَ الأمر: دبّره ليلاً.

٢ - سورة العاديات آية (١)

الصِّنْفُ الأوَّلُ : أهلُ التَّجارُب للحَرب وَالثبات ، لأنهُم الذين يُنتفِع بهم في ذَلِكَ المقَام ، لأنَّه لاَ يُنتَفِعُ حِينئذٍ إلاَّ بِمَنْ[1] عُلم (من)[2] الثَّباتِ وَالصَّبْر لُمصَادَمَةِ الأبْطَال في أضيْق الأوْقَاتِ .

الصِّنْفُ الثَّاني : (أنْ)[3] يَكُونَ مُطيعاً لِمَنْ هُوَ أعْلَم مِنْهُ بذَلِكَ ، لأنَّهُ يَصْيرُ كَالآلَةِ لِلعَارِفِ بالحَربِ ، فَيَنْتَفعُ بِهِ كَمَا يُنْتَفِعُ بآلاتِ الحَربِ مِنَ السَّيْفِ وَالرُّمْح وَنَحْوِهَا ، وَلَكِن لاَبُدَّ منَ الطَّاعَةِ لِمَنْ[4] وُصِفِ بالشَّجَاعَةِ وَالصَّبْر وَالجَلَد وَالتَحَمُّل لما يَنُوبُه[5] ، وَإلا فَالجَبَانُ ضَرَرُه في هَذا المَوضع أكثَر مِنْ نَفْعِهِ .

---

١ – في الأصل: من .

٢ – ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل.

٣ – ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل.

٤ – في الأصل: مَن.

٥ – في الأصل لما ينوب .

الفَصلُ الثّاني
فِي كَيْفيَّةِ البيَاتِ

قَد استَحْسَنَ أَهْلُ الدُّرْبة بالحرب أَنَّهُ إذَا أَرَادَ بَيَات العَدُو ، هَجَمَتْ فِرْقَةٌ مِنَ العَسْكَرِ طَالِبينَ وَسطَ العَدُوّ ، ويُحيطُ البَاقُونَ بهم ثُمَّ تَصيحُ الفِرقَة التي قَصدَت إلَى وَسَطِ العَدُوّ ، فَإنهُمْ إذَا صَاحُوا فِي وَسَطِهِم عَلَى غَفْلَةٍ أَخذَتْهُمُ الدَّهْشَةُ وَالذُّعرُ ، فَإذا طَلَبُوا أَطْرَافَ عَسْكَرِهِمْ وَجَدُوا بَاقِي العَسْكَرِ الذّي بَيَّنَهُمْ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ ، وَيَأْخُذُ الذينَ هُمْ خَارِجَ العَسْكَرِ في الرَّمي عَلَيهِم بالنشَّاب مِن الخَارِج ، فَإنَّ لِذَلِكَ فِي الليْلِ وَالظُّلمَة أَثَراً عَظِيماً[1] في المَحَارَبَة .

وَإن استَطَاعُوا أَن يَعْقِرُوا دَوَابَّ عَسْكَرِ العَدُو وَيَجْرَحُوهَا بالرمَاحِ بَعْدَ أَن يَقْطَعُوا أرسَانها وَشُكُلَها[2] فَعَلوا ذَلِكَ ، فَانهَا إذَا أُطْلِقَتْ مِنَ الشُّكُلِ وَالأَرْسَان وَأَصَابَهَا الحَديدُ جَالتْ فِي العَسْكَرِ لِمَا نَالَهَا مِنَ الأَلَمِ مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهَا مِنْ هَوْل الأَصْوَاتِ وَإِزْعَاجِهَا .

وَمِما يُسْتَحْسَنُ فِي ذَلِكَ أَنَّ القَوْمَ الذّينَ يُبَيِّتُونَ العَدُوَّ إذَا خَالطوُهُمْ لاَ يَثْبُتونَ فِي مَكَان وَاحِدٍ بَل يُكْثِرُونَ الجَوَلانَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ إرْعَاباً ، وَأَعْظَمُ نِكَايَةً ، وَأَوْهَن لِلعَدُو ، وَمن اللاَّزم أَنْ يَجْعل لَهُمْ عَلاَمَةً فيمَا بَيْنَهُم يَتَنَادُوْن بها[3] ، مِثْلَ: فَرَج الله ، أو نَصْرُ الله ، وَمَا يُشَاكل ذلك لِيُمتازُوا بِذَلِكَ عَن العَدو .

---

١ – في الأصل : أثر عظيم، والصواب ماأثبتناه .

٢ – الشُكُلُ : أحزمة الدواب، التي تربط على بطونها لتثبيت السّرج وغيره على ظهرها، والشّكال في الأصل هو العِقال الذي تربط به الدابة .

٣ – الزيادة لازمة .

البابُ الرَّابعُ عشر
في اختيَار مَوْضِع المصَافِّ لِلقِتَال وَزَمَانهِ
وَفيه فَصْلان

الفصل الأول
في اختِيار مَوْضِع المصَافّ

قَد استَحبُّوا أنْ يَكون مَوْضعُ المصَاف للقِتَال بحَيث يسند أَهْل العَسْكَر ظُهُورهَمْ في مَصَاف القِتَال إِلَى جَبَلٍ أَوْ نَهْرٍ أَو تلٍ أَوْ نَهْرٍ بحيث يَأمَنُون هُجُوم العَدُوّ عَلَيْهم مِن ظهُورهِم ، وَخُروُج الكَمين مِنْ وَرَائهم ، عَلَى مَا تَقدَّم بَيَانه في الباب العَاشر ، فَإِنْ لَمْ يتهيأ لَهُ شَيء مِنْ ذَلِكَ احْتفر الخَنادِق ، وَاسْتظهر[1] بإكمان الكَمَائن مِنْ خَلف عَسْكَره ، لتخرج الكمَائن عَلى العَدُوّ إِنْ قَصَدَ ظَهْرَ عَسْكَرِه ، وَعَليه أَنْ يحرص أنْ يكون مَوضع قَلب العَسْكَر عَلَى جَبَل أَوْ شَرَفٍ مُرْتَفِعٍ صُلْبٍ ، لَيْسَ فيه غُبَارٌ ، وَصَاحِبُ العَسْكَرِ في وَسَطِهم لِيُشْرفَ عَلَى العَسْكَرَيْن ، وَيُعَاين مَا يُدبرُهُ في أَصْحَابه وَعَدُوه مِنْ إنتهَاز فُرْصَةٍ ، وَسَدّ خَللٍ وَغير ذَلِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَجد إلاَّ مُنْخفضاً مِنَ الأَرْض لاَ يَرى مْنهُ العَسْكَرَيْن وَلَم يَكن مِنَ اللقَاء بُدٌّ ، فعَلَيْه أَنْ يُخَلّف في القَلب نائباً مِنْ أَهْلِ الدُّرْبَةِ في الحَرْبَ ، وَالثَّبَاتِ ، وَحُسْنِ التَّدْبير وَيَمْضي في حُمَايةٍ إِلَى المَيْمَنةِ مِمَّا يَلي جَنَاحَ القَلب ، فَإِن وَجَدَ هُنَاكَ مُسْتَشْرَفاً أَشْرَفَ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَجدْ هُنَاك مُسْتَشْرفاً وَجَدَهُ وَطَلَبَهُ في نَاحِيَةِ المَيْسَرَةِ ، فَإِن لَمْ يَجدوا وأَمْكَنَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ في القَلب شَيء يَعْلُو عَلَيْهِ لِيُشْرِفَ مِنْهُ عَلَى العَسْكَرَيْن فَعَل .

---

١ - استظهر: استعان .

الفصلُ الثّاني
في اختيَارِ وَقْت المصَافّ

يَجبُ عَلَى صَاحِب العَسْكَرِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَن يَكوُن مَصَافُّه في وَقتٍ تَكُونُ الشَّمْسُ وَالريحُ فيهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِ عَسْكَره ، أَمَّا اسْتِدبَارُ الشَّمْس فَلأَنَّهُ إذَا اسْتَقْبَلَها وَقَعَ شُعَاعُهَا عَلَى السلاَحِ المَصْقُولِ مِنَ السُّيُوفِ وَالخُوَذِ وَغَيْرِهَا ، فَيَلحَقُ شعَاعُها الأَعْيُن ، فَتَكِلُّ الأَبْصَار عَنِ النَّظَر ، وَرُبَّمَا أَثَّرَ في بَعْضِهَا ذَهَابُ البَصَرِ بالكُلِّيَة ، وَأَمَّا اسْتِدبَارُ الريح فَليسَلم مِمَّا تُلقيْه الريحُ في العُيُون مِنَ التُّرَاب وَالرَّمل ، فَإنَّهُ مَتَى سَفَتِ الرِّيحُ التُّرابَ وَالرَّمل في الأَعْيُن ، دَعَا ذَلِكَ إلَى إطْبَاق الجُفُون مِمَا يُصيْبُهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْ إطْبَاق الجُفُون في الحَرْبِ عِنْدَ اللِّقَاء وَلَوْ أنهُ يَرى السلاَح يَكَاد يَدْخُلُ في عَيْنَيْهِ ، لأَنَّ إطْبَاقَ الجُفُون يَصِيرُ المُقَاتِلُ كَأَنَّهُ أعْمَى ، وَالأَعْمَى لاَ نَفْعَ لَهُ في الحَرْب ، فَإنْ لَمْ[1] يُمْكِنْهُ اسْتِدبَارُ الريح ، جَعَلَ مَجرَاهَا في طَرَف مَيْمَنَتِهِ إلَى مَيْسَرَةِ عَدُوهِ ، لِيَقَعَ اشْتِرَاكُ العَدُوّ مَعَ عَسْكَرِهِ في ضَرَرِهَا فَيَنالهُ مِثْل مَا يَنَال أَهْلَ العَسْكَرِ ، فَإنْ لم يُمْكِنْهُ ذَلكَ حَرَصَ عَلَى إنحِرَافِهَا مَا اسْتَطَاعَ لِيَأْخُذَ العَدُوُّ مِنْهَا بنَصيبِهِ ، فَإنْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ ، وَأَلَحَّ العَدُوُّ في طَلَبِ القِتَال في ذَلِكَ الوَقْتِ ، أَوْ تَغَيَّرَتِ الريحُ وَهُوَ في المَصَاف ، أَمَرَ الفُرْسَان بالنُّزُول عَنْ خَيْلِهِمْ وَقِتَالِهِمْ رَجَّالةً مُتَزَاحِمِيْنَ ، كَأَنَّهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَإنَّ إصَابَةَ الريحِ لِلفُرْسَان أَشَدُّ من إصَابَتِهَا الرَّجَّالة لارْتِفَاعِ الفَارِسِ عَنِ الأَرْضِ ، وَانخِفَاضِ الرَّاجِلِ بوقُوفِهِ عَلَيْهَا .

---

١ - ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل .

البَابُ الخَامِس عَشْر
فِي بيَان إكْمَان الكَمَائن وَتَدْبير أُمُورِهَا
وَفِيه فصْلان

الفصْلُ الأَوَّلُ
في ذِكْرِ صِفَةِ رِجَالِ الكَمِين وَخَيْلِهِ وَالمَكَان الذيْ يَكْمِنُونَ فيهِ

أَمَّا رِجَالهُ فَيَنْبَغِي أَن يَكُونُوا مِنْ أَشْجَعِ فُرسَان العَسْكَر وَأَدْرَبهم بالحَرْب وَأَعْرَفِهم بالتّجارب ، فَإِنَّهُم يَنْفَردونَ عَنِ العَسْكر وَيَكونُونَ في مَكَان لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ مَنْ يُعِينُهُمْ وَلاَ يُنْجِدُهُم مِنْ أَهْلِ العَسْكَرِ لبُعْدِهِمْ عَنْهُ .

وَيَتَعَيّن مَعَ ذَلِكَ أَن يَكُونَ عَلَيْهِم مُقَدَّماً عَارِفاً[1] بأُمُورِ الحُرُوبِ دَرِباً بمحاربهَا ، عَالِماً بأَحْوَالِ الأَمَاكِنِ الصَّالِحَةِ لِلاخْتِفاء ، لِيَكونَ ذَلِكَ أَعْوَنَ على[2] حُصُولِ الغَرَضِ مِنَ الكَمِين في إخْتِفَائِه حيث يجب الاخْتِفَاءُ وَظهُورُه حَيْثُ يَقْتَضِي الظُّهُور .

وَأَمَّا خَيْلهُمْ فَيَتَعَيَّنُ[3] أَنْ تَكُونَ ثَابتَةَ الحَوافِر ، سَالِمَةَ الظُّهُور ، عَرِيَّةً عَنِ الحَرَن وَالجمَاح ، عَلَى مَا تقَدَّم في خَيْلِ الطَلائع ، وَأَنْ لاَ يَكُونَ فيها مِنَ الخُلُقِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِمْ حَال إِكْمَانهِمْ مِنَ الصَّهِيل وَنَحْوِه .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خُيُولُهُم كُلُّهَا ذُكُوراً أَوْ كُلّهَا إِنَاثاً ، فَإِن اجْتَمَع ذُكُورُ الخَيْل وَإِنَاثهَا رُبَّمَا أَوجَبَ إِثَارَةَ جَلَبَةٍ مِنَ صَهِيلٍ أَوْ صِيَاحِها ، فَيُؤدي ذَلِكَ إِلَى العِلمِ بالكَمِين ، وَرُبَّمَا جَرَّ إِلَى حُصُولِ الضَّرَرِ بِجَمِيعِ العَسْكَرِ .

---

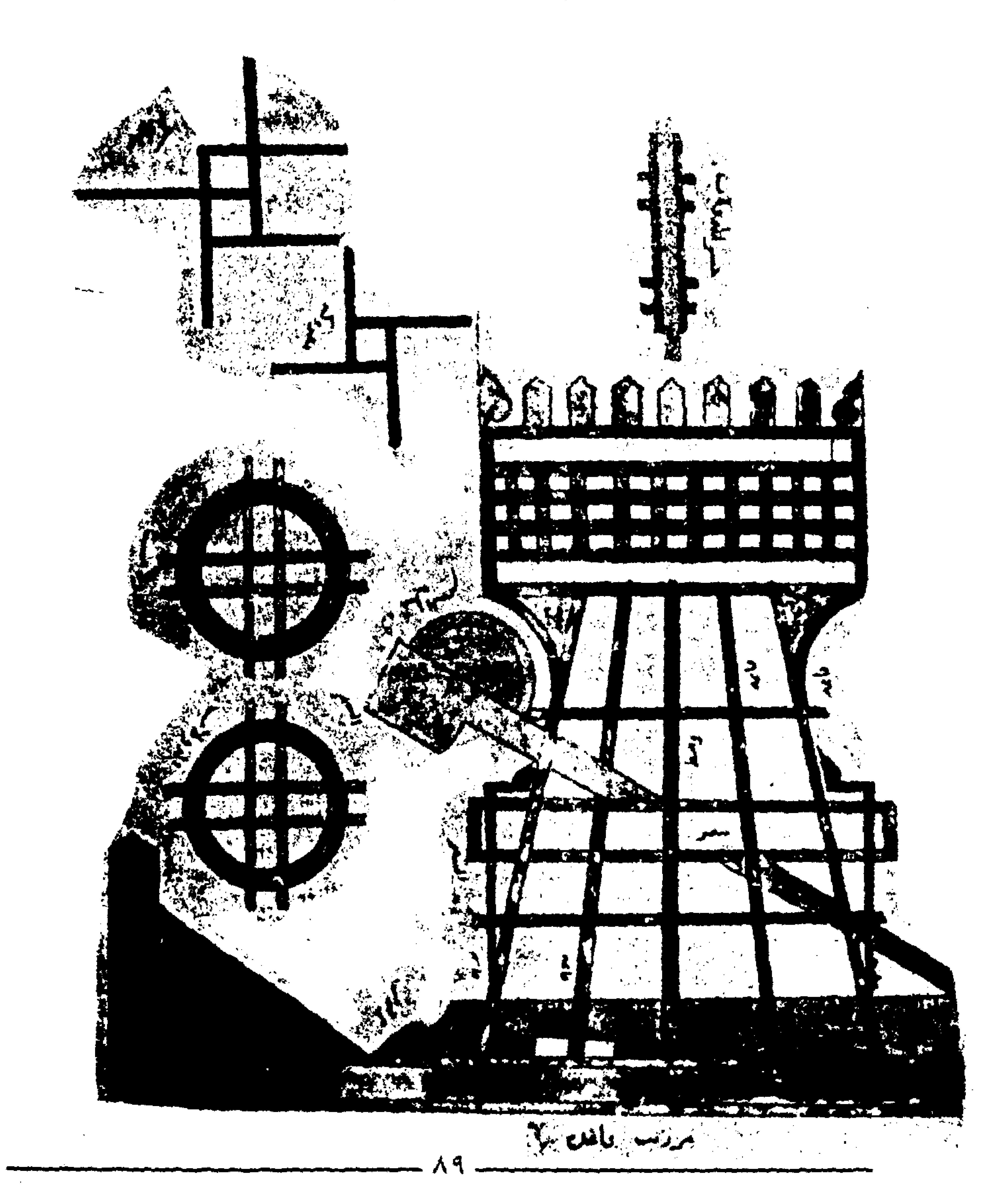
١ - في الأصل: عليه مقدّماً عارفاً .

٢ - الزيادة لازمة .

٣ - في الأصل: يتعين، والصواب ماأثبتناه .

وَبالجُمْلَةِ فَكُلُّ أَمْرٍ يَظْهَرُ بِهِ مَا يَرُومُ صَاحِبُ الكَمِينِ سِتْرَهُ ، فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ تَرْكُهُ .

وَأَمَّا الموضِعُ الذي يَكْمُنُونَ فيهِ ، فَإِنَّهُ يَجبُ أَنْ يَكُونَ خَفِيّاً مُستَتِراً ، وأَنْ يَكُونَ مِمَّا يَحْتَمِلُ الإقَامَة فيهِ إنْ دَعَتِ الحَاجَةِ إلى طُول الإقَامَةِ ، بأَنْ يَكُونَ فيهِ المَاءُ وَالمَرْعَى وَسَائر مَا يَحتَاج إلَيْهِ أَهْلُ الكَمِين بِحَسَب الإمْكان .



الفصل الثّاني
فِي تدْبيرِ أمُورِ الكَمِينِ

أَوَّلُ مَا يَتَعيَّنُ عَلَى أَهْلِ الكَمِينِ أَنَّهُـمْ يُقِيمُـونَ لَهُـمْ دَيْدَبَانـاً[1] يَطَّلِـعُ عَلَـى أَخْبَارِ العَدُو وَمُتَجَددَاتِ أُمُورِ العَسْكَرِ ، وَيُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ.

وَيَـجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الدَّيْدَبَان مِمَّنْ يُوثَّقُ بِهِ وَتَتَحقَّقُ نَصيحَتَهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَان بخِلاَفٍ ، ربمَا مَال إِلَى العَدُو فَدَلَّ عَلَى الكَمِينِ فَأُخِذَ بدَلالتِهِ .

وَعَلَى أَهْلِ الكَمِينِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا التَّعَرُّضَ لِلصَّيْـدِ مِـنَ الطَّيْرِ وَالوَحْشِ مِمَّـا حَولهمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُوجبُ نِفَارَ[2] الطَّيْرِ، أَو الوَحْشِ ، وَرُبَّمَا رَأَى أَحَدٌ مِنْ أَهْـلِ البَصِيرَةِ بالحَرْبِ نِفَارَ الصَّيْدِ ، فَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا نفَرَ مِنْ مُنَفِّرٍ لَـهُ ، فَيَتوصَّـلُ بِذَلِكَ إِلَى الكَمِين فيؤْخَذُ .

وَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ وَقْتُ ظُهُورِ الكَمين فِي حَالِ غَفْلَةِ العَدُو ، بِـأَنْ يَكُـونَ ذَلِكَ غُدْوَةَ النَّهَار ، أَوْ عِندَ حَطِّ العَدُو عَنْ دَوَابهِمْ ، وَإِرَاحَتَها ، بِـأَنْ يَكُـونَ ذَلِـكَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ فِي أَيَّام الشتَاء .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهُمْ مِنَ الكَمِينِ عَلَى العَدُوِّ كَرَادِيسَ[3] مُتَقَطِّعَـةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْعُدَ بَعْضُهُـمْ مِـنْ بَعْضٍ ، وَأَنْ يُسْرِعُوا الرَّجْعَـةَ إِلَـى مَكْمَنِهِـمْ إِذَا لَـمْ يَظْفَرُوا بِحَاجَتِهِمْ ، وَإِنْ حَصَل مُلاَقَاتُهُمُ العَدُو صَدَقُوهُمْ القِتَال ، وَأَظْهَر كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَالَدَيْهِ مِنَ القُوَّةَ وَالبَسَالة .

---

١ - الديدبان: صاحب خبر في أرض العدو، أو الطليعة في مقدمـة الجيـش. وجمعه ديـادب: وهـي في الأصـل كلمة فارسية مركبة من ديد أي نظر ومن بان أي صاحب .

٢ - نفار: نفور، وهو بمعنى طيران الطيور من أعشاشها .

٣ - كراديس: ج كردوس. وهو قطعة من الجيش تتألف من ٤٠٠ - ١٠٠٠ رجل أو أقل أو أكثر .

البابُ السادس عشر
فِي بَيَان كَيْفِيَّةِ تَعْبِئَةِ العَسَاكِرِ عِنْدَ المصَافِّ لِلقِتَالِ
وَفِيهِ ثلاثةُ[1] فُصُول

الفَصْلُ الأوَّل
فيمَا إذَا كان العَدوُ المُتصدي لِلحَرْبِ قَلِيلاً

وَيَختَلِفُ ذَلِكَ باخْتِلاَفِ حَالِهِ فِي القِلَّةِ ، فَإِنْ كَانَ المُتَصَدّي لِلحَرْبِ قَلِيلاً وَاجَهَ خَصْمَهُ بالقِتَال ، وَلاَ عَمل لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ . فَإِن اجْتَمَعَ عَلَى الوَاحِدِ إثْنَان أَخَذَ عَنْهُمْ جَانباً وَأَخَذَ فِي كُلّ مِنْهُمَا عَنْ نَفْسِهِ . وَإِنْ كَان المُتَصَدِيُّ لِلحَربِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ فَيَكُونُ وَاحدٌ مِنهم قَلباً ، وَوَاحِدٌ مِنهُمْ مَيْمَنَةً ، وَوَاحدٌ مَيْسَرَة .

وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ إذَا اجْتَمَعَ ثَلاثَةٌ لاَ يَتَرتَّبُونَ عَلَى هَذا الوَجْه ، وَلَكِنْ يَحْفَظُ كُلُّ رَجُل مِنْهم ظَهْرَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ فِي الحَرْبِ ، وَعَلَيْهِ عَمِل كَثِيرٌ مِنْ أَهْل الدُّرْبَةِ بالحُرُوبِ

وَإِنْ كَان المتَصَدّي لِلحَرْبِ ، تِسْعَةَ نَفَرٍ جعَل القَلبَ ثَلاثَة نَفرٍ وَالمَيْمَنَةَ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ ، وَالمَيْسَرَةُ ثَلاثَة نَفَرٍ .

وَإِنْ كَان المُتَصَدّي للحَرْبِ اثنَين ، جَعَل كُل وَاحِدٍ مِنْهُمَا ظَهْرهُ لِظَهرْ صَاحِبِهِ إِنْ تَفرَّقَ العَدُوُّ عَلَيْهِمَا ، وَإلاَّ وَاجَهَاهُ إِنْ كان فِي جهَةٍ وَاحِدةٍ .

وَإِن كَان المتَصَدّي لَلحَرْبِ أَربَعَةً تَرتَّبَ ثَلاَثَةٌ مِنْهُمْ قَلباً ، وَمَيْمَنةً ، وَمَيْسَرَةً عَلَى مَا تَقَدَّم . وَاعْتزلَ وَاحِدٌ مِنْهُم نَاحِيَةً إِنْ لاَحَتْ لَهُ فُرصَة مِنَ العَدُوّ انتهزَهَا ، وَإِنْ احتَاجَ أَصْحَابه إِلَى مُعَاضَدَةٍ عَاضَدَهُمْ ، وَهوَ أَنْفَع مِنْ اخْتِلاَطِهِ بهِمْ ، إِلاَّ أَنْ يَحْمِلُوا كردُوْسا وَاحِداً ، فيكُونَ الأَرْبَعَةُ مُجْتَمِعِينْ.

---

١ - في الأصل: ثلاث والصواب ماأثبتناه .

وَإِنْ كَان العَدُوُّ سِتَّةً ، تَرَتَّبُـوا عَلَى مَـا تقَـدَّمَ في القَلـبِ اثنَـان[1] ، وَفي المَيْمَنَة إثنَان ، وَفي المَيْسَرَة اثنان .

وَإنْ كان العَدُو ثَمانيَةً فَالأَحْسَنُ أَنْ يَترتّبَ ستّةٌ عَلَى مَـا تقَـدم ، ويُجْعَـلَ الاثنَان البَاقيَان كَميناً ، لأنَّ لخرُوجِ الكَمين عِنْدَ وُقُوعِ القِتَال بَغْتَةً رَوْعَةٌ عَظِيمَة .

وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الحَرْب إلَى أَنَّ العَدُوّ المتَصَدّي للحَرْب إذَا كان قَلِيلاً في الجُمْلَةِ أنهُمْ لاَ يَترتَّبُونَ ، وَإنما يَحْمِلُونَ عَلَى العَدُوّ كردُوْسا وَاحِداً ، فَإنَّ الاجْتِمَاعَ أَعْوَنُ لَهُم[2] .

وبـالجُمْلَة فَالأَمْرُ في ذَلِـكَ رَاجِـــعٌ إلَـى اجْتِهَـــادِ المقَـاتِل بحَسَـبِ مَـا يَقْتَضيهِ الحَال.

---

١ - في الأصل اثنين وكذلك الكلمات التالية .

٢ - انظر تفاصيل مسهبة في مختصر في سياسة الحروب ـ الباب ١٨ ـ بتحقيقنا ـ حظ ـ

الفصل الثّاني
فِيمَا إِذَا كان العَدُوُّ المتصَدِّي لِلحَرْبِ كَثِيراً

وَقَد اصْطَلَحُوا عَلَى أَنَّهُ إِذَا كان العَـدُوُّ كثـيراً كَالعَسْـكَرِ الكَبـِيرِ ، جَعَـل العَسْكَر خَمْسَة أَحْيَاز[1] .

الحيز الأَوَّلُ: في مُقَدّمَة العَسْكَر وَهُـوَ الـذي عَلَيْـه العُمْـدَة ، فَيَجـبُ أَنْ يَكون مَنْ فيهِ مِنَ الفُرْسَان في غَايَة القُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالاسْتظهَار وَالدُّرْبَه بـالحَرْبِ ، فَإِنَّهُمُ الذينَ فِي نَحْرِ العَدُو ، وَعَلَيْهِم اعْتَمادُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِـنْ بَقِيَّـة الأَحْيَـاز. وَقَـد اصْطَلَحُوا عَلَى تَقْسيم المقَدَّمَة إِلَى ثَلاَثة أَجْزَاء ، القَلبُ وَالمَيْمَنَة وَالمَيْسَرة .

فَالقَلبُ هُوَ الذي فِي الوَسَطِ ، ويعنونُ بِهِ قَلبَ العَسْكَر ، وَالمَيْمَنة مَا عَلَى يَمين القَلبِ ، وَالمَيْسَرة مَا عَلَى يَسَاره ، وَلِكُلٍّ مِنَ الثَّلاَثة حُكْمٌ يَخُصُّهُ.

ويُسَمَّى كُلٌّ مِنْ طَرَفَي المَيْمَنة وَالمَيْسَرَةِ: الجَنَاحَين ، فَيُقَال: جَنَاحُ المَيْمَنة ، وَجَنَاحُ المَيْسَرَة ، وَرُبَّمَا يُسَمَّى كُلٌّ مِنْ المَيْمَنة وَالمَيْسَرَةِ جَنَاحَاً ، وقَد يُقَسَّمُ كُلٌّ مِنَ القَلبِ وَالمَيْمَنة وَالمَيْسَرة إِلَى ثَلاَثة أَجْـزَاء عَلَـى مَـا تَقَـدَّمَ ، فَيُجعَـلُ لِلقَلـب قَلـبٌ ، وَمَيْمَنةٌ و مَيْسَرَةٌ وللمَيْمَنة كَذَلِكَ ، وَللمَيْسَرَةِ كَذَلِكَ ، ويُجعَل عَلَى كُل جُزْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَجْزَاء مُقَدّماً ، فَتَصيرُ مُقَدّمَةُ العَسْكَرِ تسْعَة مُقَدّمِـينَ ، لِيَكُـونَ أَقـرَبُ لِتَدْبـير أَمرهِمْ .

فَإِنَّ كَثْرَةَ المقدمين عَلَى الفُرْسَان في أَجزَاء العَسْكَرِ مِمَّـا يَزِيدُهَا قُوَّةً وَيُديم ثُبُوتهَا، لاَ سِيَمَا إِذَا كان مَع كُل مُقَدَّم جُزْءٌ مِنَ الجَيْش .

قالوا : يَنبَغي أَنْ يُجْعَل فيمَا بَيْنَ جَنَاحي القَلـب وَالمَيمَنَـة وَالمَيْسَـرَة طَرِيقـاً وَيُوسَّعَ بَيْنَهُمَا لِتَمُرّ فِيهِ الخَيْل وَأَرْبَاب المُبَارزَه .

---

١ – الأحياز : ج حيز وهو بمعنى النسق والخط والناحية والقسم .

الحَيْزُ الثاني : وَرَاءَ الحَيْز الأوّل ، ويكُونُ في التّرتيب عَلَى ثَلاَثَة أجْزَاء : قَلبٌ وَمَيْمَنة وَمَيْسَرَةٌ ، عَلَى نَظِير الصَفّ الأوَّل ، القَلبُ خَلفَ القَلبِ ، وَالمَيْمَنَةُ خَلفَ المَيْمَنة ، وَالمَيْسَرَة خَلف المَيْسَرَة .

وَقَد شَرَطُوا في هَذَا الحَيْز ، أنْ يَكُون فِيهِ مِنْ مَشَاهِيرِ الفُرْسَان مَنْ يَكْفي في مِثلِ ذَلِكَ ، مِمَّنْ عُرِفَ بتَدْبير الحَرْبِ ، وَالقِيَام بمُهِمَّاتهَا ، وَالصَّبر عَلَى وَقَائعَها ، وَصِحَّة الرَّأي عِند وُرُوْد المُسْتَصْعَبَاتِ فيهَا .

الحيز الثّالث : وراء الحيز الثّاني : وَهو المَوْضع لِحفْظِ الأثْقَال [1]، وَقَدْ عُلِمَ أنَهُ لاَمَهَامَّ للعَسْكَر الاّ بثقَلِهِ ، فَيَجبُ أنْ يَكُونَ الثّقَلُ مَحْفُوفاً [2] بمَنْ يَخَافُ مَعَرَّةَ[3] الفِرار أكثَر مِمَّا يَخَافُ المَوْتَ ، لأنَّهُ لاَ قِوَامَ لِلعَسْكَر إلاّ بثقَلِهِ .

الحيزُ الرّابع: وَرَاء الحَيْز الثّالِثِ: وَحُكْمُهُ أنْ يَكُونَ حَافِظاً مِنْ خَلفِ الأثْقَال ، وَقَد شَرَطُوا في هَذَا الحَيْز أن تَكُون فُرْسَانه خِفَافاً أنْجاداً ، مِنْ أهْلِ التّجَارُب في المَعَارِكِ.

الحَيْز الخَامِسُ : وَرَاءَ الحَيْز الرَّابع : وَهوَ السَّاقَةُ[4]وَقَدْ شَرَطُوا في هَذَا الحَيْزِ أنْ يَكُونَ فيهِ[5] ذَوُو النَّجْدَة وَالبَأس ، مِمَّن يوثَقُ بكِفَايَتِهِ مِمَّا يُنْدَبُ إلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا الحَيْز وَالحَيْز الرَّابع ، حِفْظُ مُؤخّر العِسْكَرِ ، وَالاحْتِرَازُ مِنَ الغَارَةَ عَلَى مُؤخّرِ العَسْكَرِ ، حَسَبَ الاسْتِطَاعَةِ ، فَإنَّ العَدُوَّ يَطْمَعُ في أطْرَافِ العَسْكَرِ[6] .

---

١ - الأثقال : ج ثقل وهو متاع المسافر وحشمه وهو هنا الشؤون الإدارية والتموينية .

٢ - محفوفاً : محفوظاً محمياً محروساً .

٣ -المعَرَّة: العار والفرار.

٤ - السَّاقة : مؤخرة الجند .

٥ - في الأصل: له، والصواب ماأثبتناه.

٦ - ما ورد في هذا النص المفصل منقول من كتاب مختصر في سياسة الحرب للهرثمي ـ الباب السادس عشر ـ بتحقيقنا ـ خط ـ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ
فِي بيَان أَشْكَالِ الصُّفُوفِ فِي العَدُوِّ الكَثِيرِ

وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، فَذَهَبَ أَكْثَرُ العَارِفِينَ بِأُمُورِ الحَرْبِ إِلَى أَنَّ أَحْسَنَ الصُّفُوفِ الصَّفُّ المُسْتَوِي المُنضَم بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ، ويُذْكَرُ أَنَّ ذَلِكَ مُصْطَلَحُ الفُرْسِ قَدِيماً .

مَدَحَ (الله)[1] هَذِهِ الصفَةِ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ ، فَقَال جَلَّتْ قُدْرَتُه ﴿ **إنَّ الله يُحِبُّ الذينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ** ﴾[2] وَقَدِ اسْتَحْسَنَ بَعْضُ مَنْ لَهُ دُرْبَةٌ بالحَرْبِ أَنْ يَكُونَ الصَّفُّ خَارِجاً مِنْ جَنَاحَيْهِ دَاخِلاً مِنْ صَدْرِهِ ، وَهْوَ أَقْوَى لِقَلبِ الصَّف ، وَأَضْعَف لجَنَاحَيْهِ ، وَقَدْ كَان مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَعُدُّ لِكُل طَرْفٍ مِنَ الجَنَاحَيْن كُرْدُوْساً مِنَ الخَيْلِ المُقَوَّمَةِ عِوَضاً عَمَّا هوَ دَاخِلٌ مِنْ صَدْرِهِ .

وَكَرِهُوا أَنْ يَكُونَ الصَّفُّ خَارِجَ الصَّدْرِ دَاخِلَ الجَنَاحَيْن ، فَإِنَّ فِيهِ ضعْفاً لِلقَلبِ ، وَإِن كَان فِيهِ قُوَّةٌ لِلجَنَاحَيْنِ ، وَلِذَلِكَ كَان مَنْ يَصُفُّ صَفه كَذَلِكَ يَجْعَلُ أَهْلَ البَأْسِ وَالنَّجْدَةِ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً ، لِيَكُونَ أَشد لِلقَلبِ .

وَالمُغْلُ[3] مِنَ التُّرْكِ مُعْتَادُونَ أَنْ يَكُونَ القَوْمُ كُردُوساً وَاحِداً ، لِيَتَدَافَعُوا عَلَى العَدُو ، وَيَمْتَنِعَ عَلَى كُل وَاحِدٍ مِنْهُمُ الهَزِيمَةُ وَالرُّجُوْعُ ، وَلَهُمْ بِذَلِكَ الدُّرْبَةُ العَظِيمَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ .

---

١ – ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل اقتضاها السياق .

٢ – سورة الصف آية : ٤ .

٣ – المُغل: جنس من الترك. وهم المغول، أنظر أخبارهم في كتاب جامع التواريخ، لرشيد الدين فضل الله الهمذاني ، ط عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٦٠م.

البَابُ السَّابِعُ عَشَر
فِيمَا يَجِبُ فِعْلُهُ عِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ وَقِتَالِهِ
وَفِيهِ ثَلاثَةُ فُصُول

الفَصْلُ الأَوَّلُ
فِيمَا إِذَا زَحَفَ العَسْكَرُ عَلَى العَدُوِّ ، قَبْلَ زَحْفِ العَدُوِّ

إِذَا زَحَفَتِ العَسَاكِرُ عَلَى العَدُو ابْتِدَاءً فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهُم عَلَيْهِ مِنْ مَكان عَالٍ مُرْتَفِعٍ عَنِ الأَرْضِ ، لِيَكُونَ العَسْكَرُ أَعلى[1] مِنَ العَدُو ، وَيَكُونَ زَحْفُهُم إِلَيْهِمْ ، بالتَّثَبُّتِ وَالتَّحَفُّظِ وَالتُّؤَدَةِ ، وَيَكُونَ أَمَام الخَيَّالَةِ مِنَ الرَّجَّالَةِ مَنْ يَذُبُّ عَنْهَا ، وَيَحْمِيَ الفُرْسانَ مِنْ رَجَّالَةِ العَدُو . فَإِنَّ رَجَّالَة العَسْكَرِ مَتَى هَزَمُوا رَجَّالَةَ العَدُو ، رُبَّمَا تَبِعَهُمْ فُرْسَان العَسْكَرِ في الانْهِزَامِ ، وَإِذَا هُزِمَتْ رَجَّالَةُ العَدُو وَرَجَعَتْ عَلَى فُرْسَان العَدُو ، دَعَا ذَلِكَ خَيْلَهَمْ إِلَى الجَفَلِ [2].

وَرُبَّمَا دَامَ طَلَبُ رَجَّالَةِ العَسْكَرِ لَهُمْ فَيَكُون ذَلِكَ سَبَباً لِكَسْرِ العَدُو وَانهِزَامِه .

وَإِن احتَاجَ القَلْبُ إِلَى الزَّحْفِ عَلَى العَدُو ، سَارَ أَهْلُهُ الهُوَيْنَى[3] قَلِيلاً قَلِيلاً بلاَ رَكْضٍ وَلاَ عَجَلَةٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا حَدَثَتْ عَجَلَةٌ فِي الحَرَكَةِ إِلَى العَدُو ، رُبَّمَا خطَر لِمَنْ خَلفَ الصَّف أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى العَدُو لِيَكُونُوا مَعَهُ ، فَانزَعَجُوا لِذَلِكَ وَتَأَثَّرُوا لَهُ .

١ - في الأصل: أعلا.

٢ - الجفل : الفرار والذعر .

٣ - في الأصل: الهوينا.

وَإِذَا حَمَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ العَسْكَرِ عَلَى العَدُو ، ثُمَّ اضْطَرُّوا إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَجَنَّبُوا قُبْحَ الرَّجْعَةِ وَالسُّرْعَةِ فيهَا ، لما في ذَلِكَ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَى الخَوْفِ ، وَالهَلَعِ ، بَل يَكُوْن رُجُوعُهُمْ عَلَى أَتَم الهَيْئَاتِ وَالثَّبَاتِ فِي الرُّجُوعِ ، فَإِنَّ سُوءَ رَجْعَتِهِ قَدْ يُؤَدي إِلَى طَمَعِ العَدُو فِيهِ ، فَيَتْبَعُهُ العَدُوُّ ، فَتَصِيرُ هَزِيمَةً .

وَإِنْ كَانَ الذي حَمَلَ عَلَى العَدُو ، وَهُمْ أَهْلُ القَلبِ بِأَجْمَعِهِمْ وَاحْتَاجُوا إِلَى الرُّجُوعِ ، رَجَعُوا القَهْقَرَى إِلَى وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ إِنْحِرَافاً وَازْوِرَاراً بِالنَّظَرِ ، وَمَيْل بعْضِ المَنَاكِبِ وَالرُّؤُوسِ ، وَتَكُونُ الصُّدُوْرُ مُوَاجِهَةً لصُدُور العَدُو ، لا تَنْحَرِفُ عَنْهَا ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مَوَاقِفِهِمْ وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُظْهِرُونَ لِلقُوَّةِ ، داعين[1] بالظَّفَر ، وَطَلَبِ الثَّبَاتِ ، وَالنَّصْر ، بحَيْثُ يُسْمِعُونَ أَصْحَابَهُمْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُشْعِرُ بحُضُور القَلبِ وَقُوَّتِهِ ، في مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ الَّتي تَضْعُفُ فِيهَا القُلُوبُ .

وَإِذَا حَمَلَ أَحَدٌ مِنَ القَلبِ ، وانتَهَزَ فُرْصَةً مِنَ العَدُو ، ثُمَّ رَجَعَ إنعَطَفَ مُتَيَاسِراً إِلَى المَيْسَرَةِ أَوْ إِلَى مَا بَيْنَ جَنَاحِ القَلب وَالمَيْسَرَة ، وَإِنْ كَانَ الذينَ حَمَلُوا هُمْ أَهْلُ المَيْمَنَة، رَجَعُوا القَهْقَرى إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، ثُمَ أَرَادَ الرُّجُوعَ عَطَفَ مُتَيَاسِراً إِلَى القَلبِ أَوْ إِلَى مَا يَقربُ من[2] جَنَاحِ القَلبِ وَالمَيْمَنَة ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْهَلُ لَهُ في رُجُوعِهِ مِنْ أَنْ يَرْجعَ إِلَى المَيْسَرَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا .

وَإِنْ كَانَ الذِّي حَمَل جَمِيْع المَيْسَرَةِ رَجَعُوا القَهْقَرَى إِلَى مَوَاقِفِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي المَيْمَنَةِ .

وَإِنْ حَمَلَ وَاحِدٌ مِنَ المَيْسَرَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَطَفَ مُتَيَاسِراً ، فَإِنَّ عَطْفَ الأَيْسَرُ مِنَ المَيْسَرَةِ إِلَى نَحْو القَلب أَيْسَرُ مِنْهُ إِلَى الأَيْمَن .

---

١ - داعين: متوسلين .

٢- الزيادة لازمة .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنبِيهُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الرُّجُوعَ لِلفَارِسِ بَعْدَ الحَمْلَةِ إِلَى مَوْضِعِهِ الذي خَرَجَ مِنْهُ أَوْلَى إِنْ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ لِيَكُونَ فِي مَكَانه[1] المُقَرَّر لَهُ ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ وَقَفَ عَلَى القُرْبِ مِنْهُ ، وَلاَ مُشَاحَةَ[2] فِي ذَلِكَ ، لأَنَّ القَصْدَ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُهُ فِي صَفِّهِ ، لأَنَّ ذَلِكَ [3] هو المَكَان بعَيْنِه .

وَيَنْبَغِي لِلحَامِلِ عَلَى العَدُو أَنْ لاَ يَسْتَغْرِقَ جُهْدَهُ فِي جَرْيِ فَرَسِهِ ، وأَنْ لاَ يَتْبَعَ خَصْمَهُ إِلَى أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ مِمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَدُو ، فَيَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَدُو الثُّلُثَان مِنْهَا ، فَإِنَّ فِي الزِيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ تَغرِيراً[4] « وَمَا المُغِرُّ بِمَحْمُودٍ ، وَلَوْ سَلِمَا»[5] وَلاَ يَأْمَنُ عِنْدَ انهزَامِ عَدُوهِ أَمَامَه أَنْ يَكُون ذَلِكَ لِمَكِيدَة مِنْ خُرُوجِ كَمِين وَنَحْوِهِ ، أَللهُمَّ إِلاَّ أَنْ يَظْهَرَ فَشَلُ العَدُو وَخِذْلانُه ، فَيَجبُ اتِّبَاعُهُ ، لَكِنَّهُ لاَ يُسْرِعُ فِي الدُّخُولِ فِي عَسْكَرِ العَدُو ، وَإِنْ ظَهَرَ فَشَلُهُ وَتَأَخَّرَتْ خَيْلُهُ ، حَتَّى يَتَلاَحق من عَسْكَرِهِ أَهْل الشَّجَاعَة وَالصَّبْر ، وَتَتزاحَفُ فُرْسَان الحَرْب .

وَإِن استَطْرَدَ العَدُوُّ فَأَرهجُوا[6] فَلاَ تَقَعُ الحَمْلَةُ عَلَيْهِم حَتَّى يَسْكُنَ الرَّهْجُ، وَيَتَبَيَّن أَمْرُهُمْ حَذراً مِنَ الكَمِين .

وَإِذَا وَلَّى العَدُوُّ وَتَحَقَّقَتْ هَزِيمَتُهُ ، فَلاَ يَتْبَعُهُ كُلُّ العَسْكَرِ ، بَل يَكُونُ بَعْضُ العَسْكَرِ خَلفَهُ ، وَبَعْضُهُمْ لِلحِفْظِ ، فَإِنَّ اتِّبَاعَهُمْ بِالجَمِيعِ مَذْمُومٌ ، وَإِنْ ثَبَتَ العَدُوُّ بَعْدَ انهزَامِهِ، تَقَدَّمَ صَاحِبُ اللِّوَاءِ قَلِيلاً ، وَتَحْمِلُ الخَيْلُ الَّتي قَدِ انتُخِبَتْ لِذَلِكَ ، وَ أُعِدَّتْ لَهُ .

---

١ – في الأصل: مكان .

٢ – لا مشاحة: لاضير في ذلك، زيادة في الأصل .

٣ – زيادة عن الأصل .

٤ – التّغرير : التعريض للهلكة . القاموس .

٥ – شطر بيت من الشعر .

٦ – ارهجوا: اغبروا، الرّهج: الغبار .

وَيَنْبَغِيْ فِي هَـذِهِ الحَالـةِ أَنْ يَشُـدَّ العَسْكَرُ فِي وُجُوهِهِـمْ مِـنْ كُـلِ نَاحِيَـةٍ ، وَيَتَحرَّكَ صَاحِبُ الجَيْش مَعَ البنْدِ[1] الأَعْظَم ، وَتَحْمِيهِ الخَيْلُ كُلُّهَا ، وَتُحْـدِقُ بـهِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رَوْعَةً وَإِرْهَاباً لِلعَدُو ، لاَ سِيَّمَا إِذَا ذَاقُوا حَدَّ الحَدِيدِ .

وَمَتى تَأَخَّرَ العَدُوُّ حينَئِذٍ فَهُوَ ابْتِداءُ الظَّفَر - إِنْ شَاءَ الله تَعَالى - وَإِذَا بـارز مبَارِزٌ[2] مِنْ العَسْكَرَيْنِ فَلْيَكُنْ مَوْقِفهُ عَلَى الثُّلُثِ مِمَّـا بَيْـنَ أَصْحَابـهِ وَبَيْـنَ العَـدُوّ ، وَإِن اسْتَطْرَدَ فَإِلى الثُّلُثَيْنِ ، وَلاَ يُجَاوز ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَـنْ قَـال : لاَ يُجَـاوزُ الثُّلُـثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابهِ بِكُل حَال.

---

١ - البَند: كلمة فارسية تعني العلم والراية، وجمعها بنود .

٢ - في الأصل بارزٌ .

الفصلُ الثّاني
فِيمَا إذَا زَحفَ العَسْكَرُ عَلَى العَدُوِّ و قَبْلَ زَحْفِ العَسْكَر

قَال أَهْلُ التّجْربَـةِ في الحُرُوبِ : " إذَا حَمَلَ العَـدُوُّ عَلَى العَسْكَرِ قَبْلَ حَمْلَتِهِ ، أَو اسْتِحْكَامِ ترتيبِهِ وتَعْبِئَتِه ، فَـالطّرِيقُ في ذَلِـكَ أَنْ يَجْثُو[1] أَهْلُ العَسْكَرِ عَلَى الرُّكَبِ ، ويُشرعُوا الأَسِنَّةَ[2] في نُحُورِهِمْ وَيَتَستَّرُوا بـالدَّرَق[3] وَالطّـوَارق[4] ، وَيَكوْنُوا صَفّاً وَاحِداً مُتَعَاضِدَيْنِ إِلَى أَنْ يَنْدَفِعَ العَدُوُّ أَو يَتَهَيَّأَ الرُّكُوبُ وَاللّقَاء " .

قَال أَهْلُ التّجْرِبَةِ لِلحَرْبِ : " وَهِيَ سَاعَةُ شِدَّةٍ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْتَـدْ مِثْلَهَـا ، وَإِنْ كَانتْ حَمْلَةُ العَدُو عَلَى العَسْكَرِ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ تَعْبِئَـةِ العَسَـاكِرِ ، فَـالطّرِيقُ في ذَلِكَ أَنْ يَتَلَقَّاهُمْ ورجَّالةُ[5] العَسْكَرِ ، وَيُشرعُوا الأَسِـنَّةَ في نُحُورِهِـمْ ، وَيَـلزَمُوهم مَوَاقِفَهُمْ ، وَيَعْضُدُهُمْ رُمَاةُ العَسْكَرِ بالـرَّمْي في وُجُوهِهِمْ ، فَإن لَمْ تَقِفِ الرَّجَّالَـةُ في ذَلِكَ ، أَجَابَته الخَيْلُ حِينَئذٍ " .

وَمِنْ أَنْفَعِ مَا يُعْتَمدُ في هَذِهِ الحَالةِ ، الصَّبْرُ ، فَإنّهُ لاَ يَثْبُتُ لِذَلِكَ إلاّ أَهْـلُ القُوَّةِ وَالبَسَالةِ ، وَمَنْ لَهُ عَادَةٌ باللّقَاء.

وَالحَـذَرُ أَنْ يَتَضَعْضَـعَ العَسْكَرُ عِنْـدَ أَوَّل حَمْلَـةِ القَـوْم في أَوَّل وَهْلَـةٍ ، فَتَنْحَرِفُ الجُبَنَاءُ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، فَيَكُون ذَلِكَ سَبَباً لِلكَسْرَةِ ، فَإِن اتّفَقَ أَنْ يَقَعَ لَهُمْ ذَلِكَ ، فَالطّرِيْقُ أَنْ يُؤْمَرَ بضَبْطِهِمْ أَوْ يَجْعَلَ مَعَهُـمْ مِـن رِجَـالِ الحَرْبِ مَـنْ يَثْبُتُ

---

١ – يجثو : يجلسوا على رُكبهم .

٢ – الأسنة : ج سنان وهو الرمح .

٣ – الدرق : الترس من جلد بلا خشب، ومفردها دَرَقة .

٤ – الطوارق : وهي التي يتستون بها مـن رمـي العـدو، كمـا يستعملها اليـوم رجـال الشـرطة عنـد مقاومـة حوادث الشغب والتظاهرات حتى تتلقى هذه الطوارق ضربات السهام والحجارة .

٥ – رجَّالة : الراجلين من العسكر دون خيول .

مَعُهُمْ ، لِيُثْبِتُوا بِثُبُوتِهِمْ وَيَقْوُوا مَا خَارَ[1] مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فَإِنْ قُدِرَ أَنْ يُوَلِّي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العَسْكَرِ ، عِنْدَ خَوْفِهِ الحَرْبَ ، أَوْ عِنْدَ أَلَمِ الجِرَاحِ فَلاَ يَعْتَرِضْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العَسْكَرِ ، بِالوُقُوفِ فِي طَرِيقِهِ أَوْ رَدِهِ إِلَى المَوْقِفِ مِنَ العَسْكَرِ ، وَلَكِن يُوثَقُ بِهِ وَيُؤْخَذ بِالمُدَارَاةِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى حَد الصُّفُوفِ .

وَإِنْ كَثُرَ العَدُوُّ عَلَى العَسْكَرِ ، وَعَجَزُوا عَنْ دَفْعِ صَوْلَتِهِ[2] ، رَجِعُوا إِلَى عَسْكَرِهِمْ عَلَى حَمِيَّتِهِمْ[3] ، حَتَى يَلُمُّوا أَطْرَافَهُمْ ، وَيُعْرِضُوا[4] خُيُولَهُمْ وَرِجَالَهُمْ ، وَيَتَقَوَّوْا بِالسلاَحِ ، وَيَبْعَثُوا بِطَلَبِ المَدَدِ وَالتَّعْجِيل بِهِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُمْ أَطْرَافُهُمْ، وَوَافَاهُمْ مَدَدُهُمْ ، اسْتَأْنَفُوا الحَرْبَ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الحَال .

وَإِنْ زَحَفَ العَدُوُّ إِلَى العَسْكَرِ إِلَى خَنَادِقِهِمْ ، اسْتَعَدُّوا لَهُمْ بِأَتَم حَالَةٍ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ حَمْلَةً وَاحِدَةً نَاظِرِينَ مَوَاطِىءَ أَقْدَامِ العَدُو ، دُونَ وُجُوهِهِمْ فَإِنْ ثَبَتَ العَدُوُّ لِمُلاَقَاتِهِمْ حِيْنَئِذٍ فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ النُّزُولُ إِلَيْهِمْ بِالسُّيُوفِ وَالدَّبَابِيسِ[5] المُحَرَّفَةِ ، وَالأَطْبَارِ[6] ، وَمَتَى أَخَذَ العَسْكَرُ مِنْ عَرْصَةِ[7] الحَرْبِ قَدْرَ رُمْحٍ مِنَ العَدُو وَتَوَالَى ذَلِكَ فَقَدْ عَدَّهُ أَهْلُ التَّجْرِبَةِ مِنْ مَبَادِىءِ الظَّفَرِ .

وَعَلَى أَهْلِ العَسْكَرِ أَنْ يَلزَمُوا مَوَاقِفَهُمْ مَعْ إِحْكَامِ الصُّفُوفِ حَيْثُ قَصَدَهُم العَدُوُّ ، وَلاَ يَتْرُكُوا إِشْرَاعَ الأَسِنَّةِ فِي صُدُورِهِمْ وَالرَّمِي عَلَيْهِمْ مِنْ كُل

---

١ - خار : ضعف .

٢ - صولته : هجمته .

٣ - حميتهم : شجاعتهم واندفاعهم .

٤ - يعرضوا خيولهم ورجالهم : أي يستعرضون الخيل والرجال لإعادة ترتيب أرض على ضوء المستجدات الجديدة .

٥ - الدبابيس : ج دبوس، وهي آلة حرب قديمة ومحرفة : مائلة ومُثلّمة .

٦ - الأطبار : ج طبر، وهي آلة حربية كالفأس ونحوه، وهي معربة تبر، والكلمة آرامية الأصل بمعنى كَسَرَ .

٧ - العَرصَةُ : بقعة من الأرض، وهي في الأصل كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

نَاحِيَةٍ ، وَإِنْ طَاوَلَ العَدُوُّ وَصَابَرَ ، فَلاَ يَأْخُذْ أَهْلَ العَسْكَرِ ظَفَرٌ[1] وَلاَ قَلَقٌ ، فَإِنَّ الأَلَمَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الفَرِيْقَيْنِ ، وَقَدْ نَبَّهَ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ﴾[2]

وَإِنْ دَخَلَتْ مَيْمَنَةُ العَدُو إِلَى بَقِيَّةِ العَسْكَرِ فَلَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ العَسْكَرِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ العَسْكَرِ ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ وَاثِقاً بِأَنَّهُ يُدْرِكُ قِرْنَهُ[3] قَبْلَ رُجُوعِهِ إِلَى مَوْقِفِهِ ، لأَنَّ ضَبْطَهُ مَكَانَهُ وَدَفْعَ عَدُوهِ أَوْلَى مِنَ الإِنصِرَافِ ، لأَنَّ الْمُنْفَصِلَ عَنْ مَكَانِهِ ، لاَ يَدْرِي كَيْفَ يَكُونُ حَاله ، إِلاَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ العَدُوَّ الدَّاخِلَ عَلَيْهِ لَيْسَ بِنَاجٍ فَيَحْسُنَ طَلَبُهُ حِينَئِذٍ .

---

١ – الظفر : المهين بإهانة وهزيمة ، أساس البلاغة " ظفر "

٢ – سورة النساء آية : ١٠٤ .

٣ – القِرنُ: كفؤك في الشجاعة، بمعنى المنادد والمساوي لك .

الفصلُ الثَّالِثُ
فِيمَا يَجبُ مِنَ الاحْتِرَازِ فِي حَالِ لِقَاءِ العَدُوِّ

قَال أَهْلُ التَّجْرِبَةِ وَالدُّرْبَةِ بالحُرُوبِ : إذَا طَرَقَ مِنْ ظَهْـرِهِ خَيْـلٌ مِـنَ خَيْـل العَدُوِّ مِنَ المَصَافِّ ، أَوْ خَرجَ عَلَيْهم كَمِينٌ حِيْنَئِذٍ ، فَيَجبُ عَلَى صَاحِبِ الجَيْشِ أَنْ يُفْرِدَ خَيلاً لِذَلِكَ ، لِدَفْعِهِ عِنَ العَسْكَرِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُـن انتَخَـبَ مِـنَ المَيْسَـرَةِ فُرْسَـاناً يَدْفَعُهُمْ فِي نُحُورِهِمْ وَيَصُدُّهُمْ عَنْ ذَلِكَ .

قَالُوا : يَجبُ عَلَى الخَارِجينَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَرْجعُوا إلاّ بإِذْن صَاحِبِ الجَيْشِ ، وَأَنْ لاَ يُجَاوِزُوا المَوْضِعَ الذَّي حَدَّهُ لَهُمْ لأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَجّهُهُمْ فِيْهِ ، وَهوَ فِي تِلْـكَ الحَالةِ كَالطَّبِيْبِ لِلمَرِيضِ ، وَإِنْ جَنَّ عَلَيْهِمْ اللَيْلُ وَلَـمْ يَنْصَـرِفِ[1] القِتَـال ، فَيَنْبَغـي لِفُرْسَانِ العَسْكَرِ وَرَجَّالتِهِ أَنْ لاَ يَزُولوُا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ حَتّى يَنْصَرِفَ عَـدُوُّهُــم ، ثُـمَّ يَنْصَرِفُوا بَعْدَ ذَلِـكَ بِصُفُوفِهِـمْ عَلَى تَعْبِئَتِهِـمْ ، الأَوَّلُ ، فَـالأَوَّلُ ، وَفِي هَـذِهِ الحَالَـةِ يَجِبُ الحَذَرُ مِنْ هُجُومِ العَدُوِّ ، وَدُخُول جَوَاسِيْسِهِ .

فَإِذَا دَخلَ النَّاسُ إلَـى مَوَاضِعِهِـمْ إنصَـرَفَ أَرْبَـابُ الخَيْـلِ إلَـى مَرَاكِزِهِـمْ ، وَسَدُّوْا أبوابَ[2] خَنَادِقِهِمْ ، وَدَارَ العَسَسُ وَالقُوَّادُ مَعَ رُؤَسَـاء الأَجْنَـادِ بِـالحَرَسِ ، حَتّى يُصْبحُوا ، وَإِنْ صُفَّتِ الصُّفُوفُ ، وَهَجَمَ العَدُوُّ وَلَـمْ يَكُـن بُـدٌّ مِـنَ المَبِيْـتِ ، فَلْيَنْعَطِفْ صَفُّ المَيْسَرَةِ عَلَى صَدْرِ القَلبِ ، وَيَعْطِفْ طَرَفُ المَيْمَنَةِ ، حَتّى يَتَّصِلَ إِلَى المَيْسَرَةِ ، فَيَسْتَديرُ العَسْـكَرُ، وَتَكُـونُ الأَثْقَـال حِيْنَئـذٍ فِـي الوَسَـطِ قَـدْ أَحَـاطَ بِهَـا الفُرْسَان ، فَإِذَا كَان الغَلَسُ[3] الأكْبَر عَادُوْا إِلَى مَرَاكِزِهِمْ .

١ - لعلها و لم ينصرم القتال حسب السياق .

٢ - في الأصل أرباب .

٣ - الغَلَسُ : ظلمة الليل، وغلس الماء: ورده .

وَيَنْبَغي أَنْ يَدُسَّ إِلَى العَدُو مَنْ يَأْتِي بَخَبَرِهِمْ في اللَّيل ، وَمَا حَدَثَ لَهُمْ فِي حَرْبِ ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَمَا أَبْدَعُوهُ في حَرْبِهِمْ لَيْلَهُمْ ، لَيَعملُوا في نَقْضِهِ بحَسَبِ مَا يَقْتَضِيْهِ الحَال .

وَوَقْتُ ذَهَاب الجَوَاسِيسِ إِلَى العَدُو في هَذِهِ الحَالَةِ عِنْدَ اشْتِغَالِهِمْ في الرُّجُوعِ إِلَى مَوَاقِفِهِم .

وَيَنْبَغي أَنْ يَكُونَ في جَوَانب العَسْكَرِ مِنْ رِجَال اليَقَظَةِ مَنْ يَنْظُر في وُجُوهِ النَّاس وَيَتَأَمَّلُهُمْ ، فَمَنْ رَآهُ مُرِيْباً ، أَوْ تَخَيَّلَ فيهِ مَخِيْلَةً[1] قَبَضَ عَلَيْهِ وَاسْتَعْلَمَ أَمْرَهُ ، فَإِنَّ المُرِيبَ يَظْهَرُ حَالَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ النَّبَاهَةِ وَالفَرَاسَةِ .

وَإِذَا أَنْكَرَ حَال شَخْصٍ ، وَأَقْدَمَ عَلَى قَبْضِهِ ، فَلْيَحْذَرْ مِنْهُ حِينَئِذٍ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ ، أَنَّهُ يُقْتَلُ فَيُبَادِرُ إِلَى قَتْلِ الذَّي قَبَضَ عَلَيْهِ ، لِيَنْجُوَ بنفسِهِ ، أَوْ يَأْخُذَ بِثَأْرِ نَفْسِهِ قَبْلَ قَتْلِهِ .وَكَذَلِكَ يَجِبُ حِفْظُ المُسْتَأْمِنِينَ وَالأُسَرَاءِ ، وَإِيْثَاقُهُمْ[2] بَعْدَ التَوْفِيَةِ[3] بمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ الالتِزَام .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَال الحَربِ لاَ تَجْري عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ ، بَل تَخْتَلِفُ أَحْوَالُهَا وَتَتَغَيَّرُ ، رُبَّما دَبَّرَ صَاحِبُ الجَيْشِ أَوْ بَعْض قوّادِه أمراً ، فَأَتَى الحَال بخِلاَفِهِ فَيَعْمَل حِيْنئِذٍ بمَا يَقْتَضِيهِ رَأْيُهُ ، وَيُؤَدّي إِلَيْهِ اجتهَادُه .

---

١ - مخيلة : أخال الشيء: اشتبه، والمخيلة: الاشتباه به .

٢ - إيثاقهم : أخذ المواثيق والعهود عليهم وربط الأسرى .

٣ - التوفية : الوفاء منهم .

وَقَـدْ حُكي أنَّ أُفروطَةً[١] مِنْ مَرَاكِبِ الفِرَنْج قَصَدْت مَدِينَة سَـكْتَةً[٢] مِـنْ بلاَدِ المَغْربِ ، فَخرَجَتِ المُقَاتلَةُ إِلَيْهَا وَجَرَى بَيْنَهُمْ مَصَافٌّ عَظِيْمٌ ، كَـانتِ النُّصْـرَةُ فِيْهِ آخِراً لِلمُسْلِمينَ[٣]، فَرَفَعتِ النَّصَارَى قلاَعَ مَرَاكِبِهِمْ ، وَأَقْلَعَتْ وَتَأَخَّرَ مَرْكَـبٌ كَبِيرٌ لِعُسْرِ حَرَكَتِهِ ، فَاجْتَمَعَ رُمَاةُ المُسْلِمينَ عَلَيْهِ فَستَّرُوا[٤] عَلَيْهِ بالدَّرَق وَالطَّوَارق، فَصَاحَ شَيْخٌ مِنْ مَشَايِخ المُسْلِمينَ عَلَى الرُّمَاةِ : عَلَيْكُمْ بِحَبْلِ النَّصَارَى فَارْمُوا عَلَيْـهِ، فَرَمَوْا عَلَيْهِ فَاشْتَبَكَ النُّشَّابُ فيهِ ، فَتَعَذَّرَ جَرَيَانهُ فِي البَكَرِ[٥] لاشْـتِبَاكِ السـهَامِ فِيْـهِ ، فَأَدْرَكَهُ المُسْلمون فَأَخذُوهُ .

---

١ – أُفروطة : لم نعثر لها على معنى ، ولعلها من أنواع المراكب والسفن الحربيـة أنظر تكملة المعـاجم العربيـة لدوزي ج١ ص ١٥٨ وأن الكلمة اسبانية بمعنى أسطول .

٢ – سَكتة : لم نعثر لها على ذكر في معجم البلدان، ولعلها : سبتة : بلدة مقابلة لساحل الأندلـس ، ومرسـاها من أحسن المراسي " مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٦٨٨ " .

٣ – (- - -) فرفعت للمسلمين مكررة ، حذفت لاختلال المعنى .

٤ – ستروا : غطوا من كثرة الرمي .

٥ – البَكر : ج بَكرة، وهي التي تربط بها الحبال لرفع الأثقال .

البابُ الثّامنُ عَشَر
فِيمَا يَجبُ فِعْلُهُ عِنْدَ انهزَامِ العَدُوّ
وَفيهِ فصْلان

الفَصْلُ الأوَّلُ
بمَا يَتعلّقُ بتمامِ أمْرِ الحَرْبِ عِنْدَ انهِزَامِ العَدُوِّ

قَال المُدبرُونَ لأمْرِ الحَرْبِ : إذَا تُحُقِّقَتْ هَزيْمَةُ العَـدُو وَتَوْلِيَتُـهُ[1]، فَيَجـبُ حينَئِذٍ اتّباعُهُمْ وَرُكُوب أقْفِيَتِهمْ ، وَالأَخْذ في أمْرِهِمْ بالجِدّ وَالاجْتِهَـادِ ، قَبْـلَ التِئَـام صُفُوفِهِمْ ، وَالتِحَاق مُتفرق خَيْلِهِمْ ، مَعَ الحَذَرِ مِنَ الكَمِيْـنِ ، وَالتَّيَقّـظ لَـهُ ، فَإنَّـهُ رُبَّمَا كَانتِ الهَزِيمَةُ مِنَ العَدُوّ خدعَةً وَمَكِيدَةً ، كَمَا تَقَدَّمَ .

وَالهَزِيمَة الصَّحِيحَةُ ، لاَ تَكَادُ تَخْفَـى عَلَـى مُتَيَقّـظٍ ، وَرُبَّمَـا خَفِيَـتْ عَلَيْـهِ لِنفَادِ القَدَرِ ، وَإذَا اسْتَحْكَمَتِ الهَزِيمَةُ ، فَينْبَغي أنْ يَخْتَصَّ المَيْمَنَـةَ وَالمَيْسَـرَةَ بطَلَـبِ العَدُوّ ، وَيَكُونَ صَاحِبُ الجَيْشِ في القَلبِ شَـاهِرَ الألوِيَـةِ[2]، وَأعْلاَمُـهُ تَسِيرُ عَلَـى رُسْلِهِ قَليلاً قَليلاً ، فَإذَا انتهَى إلَى المَوْضِعِ الذي يَسْتَحِق الوُقُوف فيَتوَقَّـفَ مَـنْ مَعَـهُ من القَلبِ ، وَتَبْقَى المَيْمَنةُ وَالمَيْسَرَةُ في الطّلَبِ لِلعَدُوّ ، بحَيْثُ أنهُـمْ لَـمْ يَغيبُـوا عَـنْ بَصَرِ صَاحِب الجَيْشِ .

وَإن استرسِلَتِ الخَيْلُ في طَلَبِهِمْ ، فَيَنْبَغي أنْ تَحْمِلَ الرَّجّالةُ عَلَى العَـدُو ، لِيَشْغَلوُا رَجَّالة العَدُو عَن التَعرُّضِ لِلخَيلِ ، إن رَأَى صَاحِبُ الجَيْش ذَلِكَ.

---

١ - توليته: هروبه وهزيمته، أي ولّوا الأدبار .

٢ - الألوية: ج لواء، وهي المطارد دون الأعلام والبنود .

وَإِنْ خِيفَتْ كَثْرَةُ العَدُوِّ بَعْدَ انهزَامِهِ ، أَمَرَ صَاحِبُ القَلْبِ أَهْلَ المَيمَنَةِ وَالمَيْسَرَةِ أَنْ يَزْحَفُوا إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوَلُّوا ظُهُورَهُمْ بَلْ يَكُونُ رُجُوعُهُمْ إِنحِرَافاً وَازْوِرَاراً ، وَصُدُورُهُمْ في وَجْهِ العَدُو ، كَمَا تَقَدَّمَ .

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ المُنْهَزِمينَ مِنَ العَدُو لاَ يَنْبغي أَنْ يَسْتَقْبِلَهم أَحَدٌ مِنَ العَسْكَرِ مِنْ وُجُوهِهِمْ ، وَأَنْ لاَ يُرَدُّوا عنْ طَرِيقِهِمْ ، وَأَنْ لاَ يُصَدُّوا عَنِ المَاءِ إِذَا طَلَبُوه .

وَأَنَّ المُنْهَزِم إِذَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ الهَلاكُ حَمَلَ بِكَليتِهِ ، وَقَاتَلَ القِتَالَ الشَّدِيدَ طَلَباً لِسَلاَمَةِ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغي أَنْ يُفْرِجَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ يُسْتَدَار بهم لِيُؤْخَذُوا مِنَ الجَوانبِ.

وَبالجُمْلَة : فَالوُقُوف في طَرِيقِ المُنْهَزِمِ غَيْر مُوَافِقٍ .

الفَصْلُ الثَّاني
فِيمَا يَتعَلَّقُ بأَمْرِ الغَنِيمَةِ وَمِمَّا يَجِبُ تَقَدُّمُهُ عَلَى ذَلِكَ

أَنَّهُ إذَا وَقعَتِ الهزيمَةُ عَلَى العَدُو ، أَنْ لاَ يَتَشَاغَلَ أَهلُ العَسْكَرِ عَنْ أَمْرِ القِتَال بالغَنِيمَةِ وَالنَّهْبِ ، فَإِنَّ الهَزيمَة إنْ كَانتْ حَقِيقَةً ، فَالغَنِيْمَةُ لاَ تَفُوتُ ، وَإِنْ كانتْ خَدِيعَةً مِنَ العَدُو ، فَرُبَّمَا جَرَّتْ إِلَى فَسَادٍ يَلحَقُهُ العَسْكَرُ عَقِبَ ذَلِكَ .

وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ لِلصَّحَابَةِ رِضْوَان الله عَليهِمْ أَجْمَعِين ، فَعَاتَبَهُمُ الله عَلَى ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، أَمَرَ بَعْضَ الرُّمَاةِ بحِفْظِ مَكان عَيَّنَهُ لَهُمْ ، فَلَمَّا وَقَعَت الهَزيمة عَلَى المُشْرِكِينَ تَسَارَعَ أُولَئِكَ الرُّمَاةُ الَّذِينَ أَمرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بحِفْظِ ذَلِكَ المَكَان ، إِلَى الغَنِيْمَةِ ، فَعَرَضَ لِلمُسْلِمِينَ بسَبَبِ ذَلِكَ مَشَقَّةٌ كَبِيرَةٌ ، وأَنزلَ الله تَعَالى فِي ذَلِكَ : ﴿ **مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيَا ، وَمِنْكُم من يريدُ الآخِرة** ﴾[1] .

وَقِسْمَةُ الغَنِيْمَةِ مَذكُورٌ فِي كتبِ الفِقْهِ ، وَالَّذِي يَتَعَلَّقُ بهَذا المَوضِعِ مِنْهَا أَنْ مَذْهَبَ الشَّافِعِيّ رضي الله عنه : أَنَّهُ يُقْسَمُ لِلرَّاجل سَهْمٌ ، وَلِلفَارسِ ثَلاَثَةُ أَسْهُمٍ ، فَيَكُونُ الفَرَسُ فِي ذَلِكَ بسَهْمَيْنِ ، وَمَذْهَبُ أَبِي حَنْيفَة رضي الله عنه: أَنَّ لِلرَّاجلِ سَهْماً[2]، وَللفَارسِ سَهْمَين[3]، فتَكُونُ الفرَسُ بسَهْمٍ وَاحِدٍ ، وَلاَحَاجَةَ إِلَى اسْتِيعَابِ أَحْكَامِ ذَلِكَ هُنَا .

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٥٢ .

٢ - في الأصل : سهم، والصواب ماأثبتناه .

٣ - في الأصل : سهمان، والصواب ماأثبتناه .

البابُ التّاسعُ عشر
فِي بيَان مُمَارَسَةِ فَتْحِ الحُصُونِ وكَيْفِيَّةِ التّوَصُّلِ إلى ذَلِكَ
وَفِيْهِ ثَلاثَةُ فُصُول

الفصل الأوّل
فِي ذِكْرِ أَنْوَاعِ الحُصُون وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلٌّ مِنهَا فِي الفتحِ مِنَ العِلاج

وَاعْلَمْ أَنَّ الحُصُون فِي اللغَةِ تُطْلَقُ عَلَى كُل مَا يتحصّنُ بهِ المتَحصن ، مِنَ القِلاَعِ وَالمدن المُسَوَّرَةِ وَالجبَال ، وَالخَنَادِق ، وَالمَغَائِرِ ، وَالمَطَامير[1] المَحْفُورَة ، وَغِيَاض[2] الشَّجَرِ ، وآجَام[3] القَصَبِ ، وَالبِحَارِ وَالرمَالِ ، وَغيرِ ذَلِكَ ، وَلِكُلٍ مِنْهَا حُكْمٌ يَخُصُّهُ فِي المُحاصَرَةِ وَالفَتْحِ .

وَقَدْ يَجْتَمِعُ فِي الحِصْنِ الوَاحِدِ عِدَّةٌ مِنَ الأَصْنَافِ المشْهُورَةِ ، مِثْلَ أَنْ تكُونَ قَلعَةٌ عَلَى جَبَل فِي دَاخِلِ مَدِينَةٍ مُسَّورة ، وَعَلَى ذَلِكَ خَنَادِقُ دَائِرَةٌ ، وفِي الحِصْنِ مَطَامِير مَحْفُورَةٌ لِلاخْتِفَاء ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ، فَيحْتَاج كُلُّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَى عِلاَجٍ يَخُصُّهُ فِي العَملِ وَالتّدْبير بحَسَبِ مَا يَقْتَضِيْهِ الحَال ، فَمِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَى المُطَاوَلَةِ وَالمصَابَرَةِ ، وَبناء الحُصُونِ عَلَيْهِ ، وَإِقَامَةِ المدَّة الطَّوِيْلَةِ كَالمُدُن الحَصِيْنَةِ ، وَالقِلاَعِ المَشْحُونَةِ ، بالأَزْوَادِ[4] ، وَآلاَتِ الحَرْبُ وَمِنْهَا مَا يُكْتَفى فيهِ بِأَدْنى الحِيْلَةِ وَالأَيَّام القَلِيلَةِ ، وَبَيْنَ هَذَيْنِ القَدْرَيْن ضُروبٌ مُخْتَلِفَةُ الأَحْوَال ، يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى آلاَتٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَتَدْبِيرٍ مُنَاسِبٍ فِي الحِصَارِ وَالمحَارَبَة .

---

١ - المطامير : ج مطمورة، وهي الحفرة التي يُطمر فيها الطعام أي يخبأ .

٢ - غياض : ج غيضة، مجتمع الماء والشجر .

٣ - آجام : ج أجمة، وهي مجتمع القصب .

٤ - الأزواد : ج زاد، وهو الطعام الذي يتخذ للسفر، وهنا يعني التموين الاحتياطي .

الفَصل الثاني
في بيانِ الطَّرِيقِ المُسَهِّل لِفتحِ الحُصُون

قَال أَهْـلُ التَّجْرِبَـةِ في ذَلِـكَ : مِـنْ أَنْفَـعِ الأَعْمَـالِ في فَتـح الحُصُـون عَلـى اخْتِلاَفِهَا أَنْ يَأْتِيهَا صَاحِبُ الجَيْش عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَإِنْ وَافَقَ أَن يَكُـونَ ذَلِكَ وَالأَبْوَابُ مَفتُوحَةٌ فَهُوَ الغايَـة في النَّجَـاحِ ، وَقَدْ وَقَـعَ ذَلِـكَ لِلمَلِـك الظَّـاهِر بِيْبَرْس البُنْدقْداري ـ رَحِمَهُ الله تَعَالى ـ في فَتْحِ مَدِينَة أَنْطَاكِيَّة[1] مِـن عَمَـل حَلَـب ، فَكَان فَتْحُها مِنْ أَيْسَر الفُتُوحِ عَلى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الحصَانَة .

وَإِنْ لَـمْ يَتَهَيَّـأْ ذَلِـك ، فَـإِنْ أَمْكَنَـتِ الحِيْلَـةُ في اسْتِسـلاَم مَـنْ فِي الحِصْـنِ وَدُخُولِهم فِي الطَّاعَةِ أَو اسْتِمَالةِ مَنْ أَمْكَنَ مِنْهُمْ لِيَكُونوا عَوْنَـاً عَلَـى البَـاقِينَ ، قَبْـلَ المَناهَضَةِ ، كَان أَوْلَى ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُوْصِلُ الخَبر إِلَيْهِمْ ، كَتَبَ الكُتُبَ بِمَا فِيْـهِ إِثَارَةَ الفِتْنَة بَيْنَهُمْ مِثْـل أَنْ تَظْهرَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الحِصْنِ مَعَهُ ، وَيَجْعَل ذَلِكَ فِي سَهْمٍ وَيَرْمِي بِهِ إِلَى الحِصْنِ ، وَنَحْو ذَلِكَ .

وَعَلَيْهِ أَنْ يُظْهِرَ لأَهْـلِ الحِصْنِ العَدْلَ وَالوَفاءَ وَدَوَامَ الإِحْسَان ، وَمُرَاعاةَ النَّازِلينَ إِلَيْهِ ، وَالاعتِنَاء بِهِمْ ، فَإِنَّـهُ إِن[2] اشْـتَهر ذَلِـكَ عَنْـهُ ، وَتَحقَّـقَ مِنْـهُ ، كَـان أَسْرَعَ لإِنقِيَادِهِمْ لَهُ ، وَأَدْعَى لِدُخُولِهِمْ فِي طَاعَتِهِ ، وَإِنْ طَلَبُوا الأَمَـان بَذَلَـهُ لَهُـمْ ، وَإِنْ خرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مُسْتَأْمِنٌ[3] أَوْلاَه مِنَ البر مَا يَسْتَطِيعُهُ ، مَعَ الحَذَرِ مِنْهُ ، مِن غَيرِ إِشْعارٍ لَهُ بِذَلِكَ .

---

١ - مدينة قديمة تقع شمال سورية اليوم، انظر أخبارها في معجم البلدان ج١ ص٣١٦ ـ ٣٢٠.

٢ - الزيادة لازمة .

٣ - في الأصل: مستأمناً، والمستأمن هو الذي جاء إلى ديار الإسلام طالباً الأمان، حيث حذر منهم المؤلف خوفاً من أن يكونوا من المدسوسين .

وَإنْ وَصَلَ إلَيْهِ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الجَرَائِم ، وَعَدَهُ كُل خَيْر ، وَإن اسْتَطَاع اسْتجلاَبَ أخِصَّاء[1] صَاحِب الحِصْنِ لِيَرْجعُوا عَنْهُ أوْ يَكْفُوهُ مَؤونَتَهُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أرْفَق أمُور الفَتْح وَأهَمّهَا وَإنْ لم[2] تَتَأتَّ طَاعَتهم وَانقِيَادهم ، فَإن أمْكنت حيْلَة يَتَحَيَّل بهَا عَلَى خُرُوج أهْلِ الحِصْنِ لِلقِتَال ، مِثْل أنْ يُطْمِعَهُم فِي الظّفَر بِهِ ، أوْ يُوَلِّي عَنْهُم ، أوْ يُظْهِرَ أنَّهُ رَاحِلٌ عَنْهُم ، لِيَخْرُجُوا فِي تَبَع العَسْكَر ، فَإذَا خَرَجُوا رَاوَغَهُمْ ، وَدَخَل الحِصْنَ بَغْتَةً ، كان أعْوَنَ عَلَى المَقْصُودِ .

---

١ - أخصَّاء : خاصته .

٢ - الزيادة لازمة .

الفَصْلُ الثّالث
فِي كَيْفِيَّةِ الحِصَارِ

قَال أَهْلُ الدُّرْبَةِ بالحِصَار : أَوَّلُ مَا يُبْدَأ مِنْ عَمَلِ الحِصَـار أَنْ يَحْصُـرَ أَهْلَـهُ مِنْ أَوَّل نُزُولِهِ عَلَيْهِم حَصْراً ، لاَ يَقْـدِرُونَ مَعَـهُ عَلَـى أَنْ يَخْـرُجَ مِنْهُـمْ أَحَـدٌ ، وَلاَ يَدْخُلَ إِلَيْهِم أحد[1]، وَلاَ يَسْمَعُونَ لَهُ كَلاَماً ، وَلاَ يَنْظُـرُونَ لَـهُ إِشَـارَةً ، وَلاَ تَبْلُـغُ إِلَيْهِمْ رَمْيَةُ سَهْمٍ[2] ، فَإِنَّـهُ رُبَّمَـا بَلَّغَهُـمْ أَحَـدٌ أَخْبَـارَ العَسْكَرِ مُشَـافَهَةً إِنْ كَانُـوا يَسْـمَعُونَ كَلاَمَـهُ ، أَوْ يُشـيرُ إِلَيْهِـم إِشَـارةً فِي ذَلِـكَ ، يَفْهَمُونَهَـا أَوْ يكتـبُ كتابـاً وَيَجْعَلهُ فِي سَهْمٍ ، وَيَرْمِي بـه إِلَيْهِـمْ ، فَيَـأْخُذُونَ حِذْرَهُـم وَعَلَيْـهِ أَنْ يَحْـترز مِـن رُسُلِهِمْ ، وَلاَ يَدَعُ أَحَداً مِنْ عَسْكَرِهِ يَدْنُـو مِنْهُـمْ إِلاَّ العُلَمـاء بتَصَـاريفِ الكَـلاَمِ ، وَمَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ ، مِمَّن يُوثَقُ بِهِ وَيَحذرُ أَنْ يظفرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بلَفظَةٍ فَمَـا فَوْقَهَـا ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ فَتَحَتْ بَاباً مُغْلَقاً مِنَ الشر .

وَيجبُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ إليهـم مِمَّـن يُوثَـق بنَصِيحَتِـهِ ، وَدِيَانَتِـهِ ، وَصِحَّـةِ تَدْبيره ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْوَال الحِصْنِ وَالمَوَاضِعِ الصَّعْبَـةِ ، وَالسَّهْلَةِ ، وَالمُمْتَنِعَةِ ، وَالممكنَة فِي العَمل ، وَمَوَاضِعِ المخارجِ[3]، وَالمغَائر ، وَالجُسُور وَالقنَاطِرِ ، الَّتِي يُعْبَرُ مِنْهَا إِلَى مَـا يختَـارُ مِـنْ أَمَـاكِنِ الحِصْنِ وَمَوَاضِـعِ النُّقُـوب[4]، وَالتَّعْلِيـق وَنَصـبِ السَّلاَلِم ، وَالكَلاَلِيب ، و كَذَلِكَ نَصْبِ المَجَانيقِ وَالحجَارَةِ المُنَاسبَة لهَا ، وَمَوَاضِـعِ

---

١ – ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل .

٢ – رمية السهم ٥٠٠ ذراع

٣ – في المخطوط المخارص، والصواب ماأثبتناه .

٤ – النقوب : ج نقب، وهو الثغرات في الحصون .

رَمى النشَاب وَالمقَاليع وَالنفط[1]، وكَيْفيَّةِ اسْتِعْمَال ذَلِكَ ، وَالعَمل بهِ بَعْدَ أَنْ يَضَعَ مَنْ يَنْصِبُهُ لِقِتَالِ أهل الحِصْنِ في مَكَان لاَ سَبيلَ لِلعَدُو عَلَيْهِ ، وَيَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ الأَنْسَبَ فالأَنْسَب .

وَعَلَيْهِ أَنْ يُعِدَّ مِنْ أَصْنَافِ المقَاتلةِ ، وَالصُنَّـاعِ ،كُلَّ مَا يَحْتَاج إِلَيْهِ مِن الحَديْد وَالخَشَب ونَحوها ، وَصَانعُ كُل آلَةٍ تَتَعلَّقُ بالحَرْب ، وَيأخذ الصُنَّاع بعمل الآلاَتِ وَالسلاَحِ ، وَلاَ يُهْمِلُ ذَلِكَ ، وَلاَ يُؤَخِّرُهُ ، وَيظهر عَمَل ذَلِكَ لأَهْلِ الحِصنِ ، وَلاَ يُخْفيهِ ، فَإِنَّ في ذَلِكَ إِرْهَاباً لَهُمْ ، وَتَخْويفاً وَإِصفَافاً لقُلُوبهم ، وَيُعجل بنَصْبِ المَجانيق وَالرَّمْي بهَا ، فَإِنَّ لَهَا عَلَى أَهْلِ الحُصُون رَوْعَةً ، وَمَهْمَا أَمْكَنَهُ انتِهَازُ الفُرْصَة انتهزَهَا ، وَبَادَرَ إِلَيْهَا وَلاَ يُؤَخِّرُ ذَلِكَ لمراجَعَةِ أَهْلِ الحِصْنِ فَإِنَّ في التَّأخير رَاحَةً لَهُمْ ، وَأخْذاً للأهبَة وَإِدَارَةَ الرأْي بيْنَهُمْ ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مَقَاصِدِ العَدُوّ وَمَا فيهِ مَصْلَحَتُهُ ، وَلِكُل شَيء وَقْتٌ مَتَى تعدَّاهُ أَفْسَدَهُ بمِقْدَارِ التَّعدي .

وَإِذَا وَقَع الحِصَارُ فَلاَ يَرْفَعُ عَنْهُمْ رَميَ المجَانيق ، وَلاَ يفتر عَنْها سَاعَة وَاحِدَة مِنْ لَيْل أَوْنَهَار . فَإِنَّ كَفَّ القِتَال عَنْهم مِمَّا يُبْردُ رَوْعَتهم ويُقَوي قُلُوبهم .

وَإِذَا وَقَعَ القِتَال بالسلاحِ فَيَنْبَغي أَنْ يقاتلوا بالأَيْسَرِ مِنْهُ فَالأَيسَر ، ويُؤَخِّر العَظيم المُهول[2] من الآلاَتِ إِلَى آخر مَا يُقَاتلوُنَ بهِ ، ليظهرَ لَهُمْ كُلّ قَليلٍ مَا هُوَ أَقْوى مِنَ الآخَر ، إِلاَّ أَنْ تَدْعُو الضَّرُورَة إِلَى الابْتِدَاء بالأَقْوَى فَيَبدأ به .

وَإِنْ مَال أَهْلِ الحِصْن إِلَى المنَاجَزَة[3] في القِتَال عَاكَسَهُمْ في مُرَادِهِم ، وَأَخَذَهُمْ بالمطَاوَلَة[4] لأَنَّهُمْ لَمْ يَميْلوُا إِلَى المنَاجَزَة إِلاَّ وَقَدْ أَخذَهُمُ الضَّجَر ، وَإِنْ

---

١ - النفط : هو استخدام الحرب الكميائية قديماً بالنار المحرقة التي ترمى على شكل كرات نارية إلى الحصون .. انظر تفصيلات ذلك في كتاب الحياة العسكرية عند العرب للدكتور احسان الهندي.

٢ - المهول : الهائل والمخيف ، والمفزع .

٣ - المناجزة : القتال الفوري والاشتباك، أي عكس رغبة العدو .

٤ - المطاولة : تطويل أمد الحرب .

مَالوا إِلَى المُطَاوَلَة ، أَخذَهُم بالمُناجَزَة عَلَى أن المُطَاوَلَةَ في الحَرْبِ هي رَأْسُ المَكِيْدَةِ ، وَهوَ الذْي يَقْتَضِيْهِ الحَزْمُ ، وَبالجملَة فَمُنَى الحربِ عَلَى مُخَالفَةِ غَرَضِ العَدُو .

وَمِن مَحَاسِنِ المحاصَرَةِ أَنْ يَطُوفَ صَاحِبُ الجَيْش ، أَوْ مَنْ يَسْتَنْهِضُهُ مِنْ عَسْكَرِهِ فِي كُل يَوْمِ أَوْ يَوْمَيْنْ بالحِصْنِ ، وَيُظهرَ لأَهْلِ الحصن الاجتَهادِ فِي أَمْرِ[1] فَتْحَهَ ، وَالعمَلَ فِي أَخْذِهِ فإنَّ فِي ذَلِكَ إِرْهَاباً لَهُمْ .

وَمِمَا يَنْبَغي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ أَنَّ المحَاصِرَ لِلعَدُو ، هُوَ مَحْصُورٌ فِي المَعْنَى ، لأَنَّـهُ لاَ يَأْمنُ خُرُوجهم عَلَيْهِ ، وَمُنَاجَزَتهم لَـهُ ، مَتَى أَمْكَنَتْهُم الفُرْصَةِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، لأنهُم يَرُومُون الظَّفرَ كمَا يَرُومُهُ المحَاصِرُ لَهُمْ ، فَيَنْبَغي أَنْ يَحْتَرزَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ العَسْكَرِ مَا أَمْكَنَهُ ، وَيَتَّخذَ الخنَادِقَ إِن احْتَاجَ إِلَيْهَا وَأَمْكَنَهُ عَمَلُها ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ الحَزْمِ وَالاستظهَار ، وَأن يَجْعَلَ عَلَى قدر رَمْيَةِ سهم مِن بَاب الحِصْنِ ، فُرسَاناً مُرابِطَةً لَهُ ، مُنتَظِرينَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُ ، لِيَكُونُوا بمَنْزِلَةِ الطَّلائع لِلعَسْكَر ، فَإذا رَأَوْا أَحَداً خَرَجَ مِنَ الحِصْنِ ، بَادَرُوا بالإعْلاَم بهِ ، لِيُلاَقيهِ العَسَاكِرُ أَوْ مَنْ يُقَاوِمُهُ مِنْهُمْ .

وَإذَا ظَفَرَ المحَاصِرُ لِلحِصْنِ بهِ ، وَاسْتَولَى عَلَيْهِ ، فَقَد اختَلفت مَقَاصد المُلُوك فِي ذَلِكَ: فَمِنهُمْ مَنْ يَرَى بهَدْم[2] الحِصْنِ وَتَخْريبه ، حَتَى لاَ يَكُونَ مَلجَأً لِمَنْ يَتَحَصَّنُ بهِ ، وَلِذَلِكَ هَدَمَ مُلُوكُ التُّرْك مُدُنَ سَواحِلِ الشَّام ، مِنْ صُور[3] وَعَكَّا[4] وَعَسْقَلان[5] وَغَيْرهَا ، مِنَ المُدْن العِظَام خَشْيَةَ أَنْ يَمْلكها الفرنج ، فَتتحصَّن فيهَا ، وَهَذِهِ كانت طَرِيقُ مُلُوكِ التُّرك وَالتَّتر مِن هولاكو وَغَازَان فمن

---

١ - ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل .

٢ - ورد في المخطوط بهدمه والصواب ماأثبتناه .

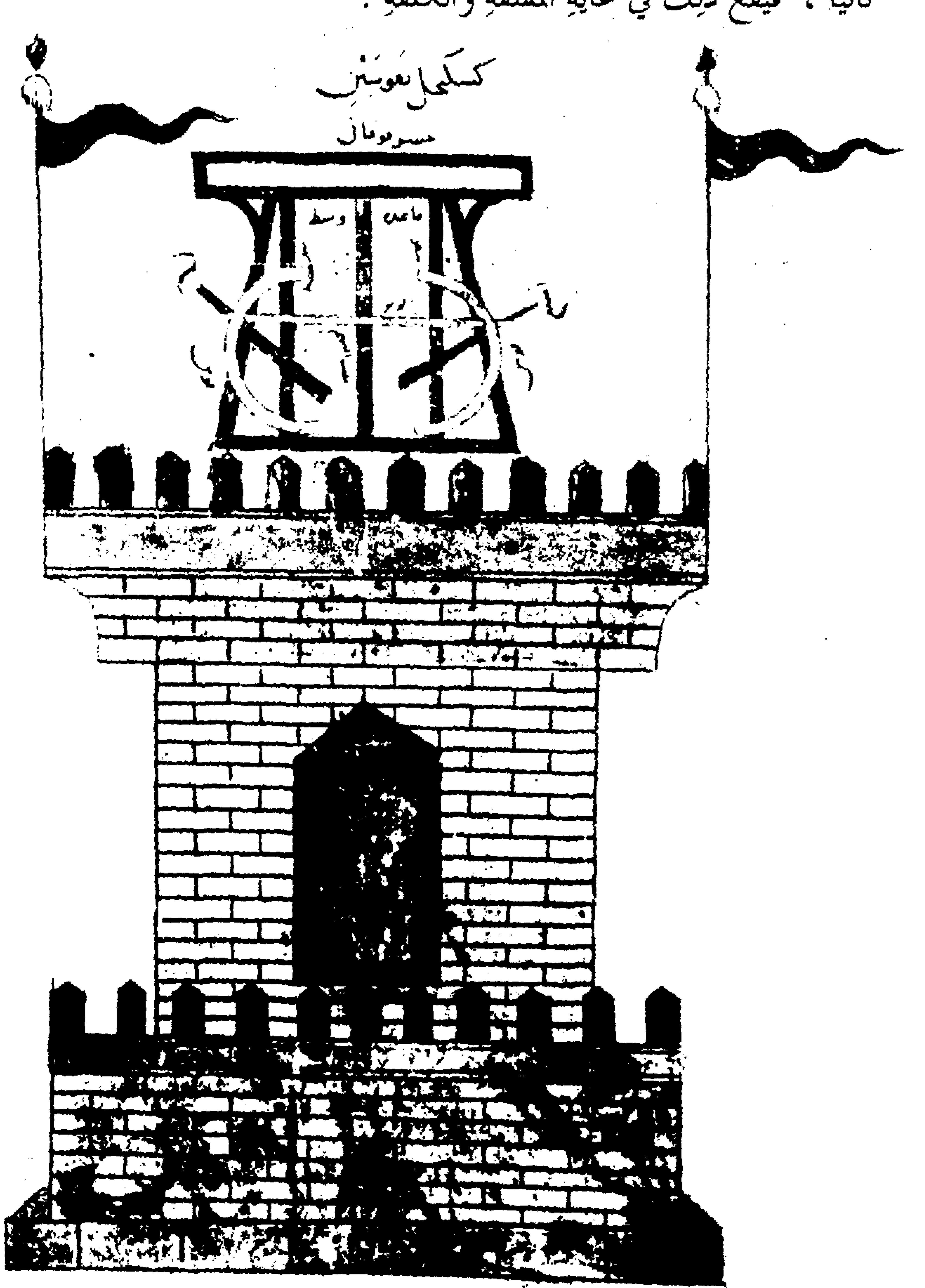
٣ - صور : مدينة تقع على الساحل اللبناني اليوم، انظر أخبارها في معجم البلدان، ترجمة رقم ٧٦٦٢.

٤ - عكا : مدينة في فلسطين على شاطيء المتوسط، انظر أخبارها في معجم البلدان، ترجمة رقم ٨٤٩٨ .

٥ - عسقلان : مدينة في فلسطين على شاطيء المتوسط، انظر أخبارها في معجم البلدان، ترجمة رقم ٨٣٩٦ .

بَعْدَهُم ، فَقَد خرَّبُوا كَثيراً مِنَ المُدْنِ والحُصُون مِنهَا مَا أُعِيدَت عمَارَتُهُ ، وَمنَهـا مَـا بَقي عَلَى ذَلِكَ .

وَمِنَ المُلُـوك مَـنْ لاَ يَـرَى تَخْرِيـبَ الحُصُون لأَنَّ المقْصُـودَ عمَـارَةَ الأَرْض لاخرابها ، وَقَـدْ يمتَلِكُ الملكُ مَـا خرَّبَهُ مِـنَ الحُصُـون ، فيحتَـاجُ إِلَـى عمَارَتِـهِ ثانياً ، فَيقَع ذَلِكَ في غَايَةِ المَشَقَّةِ وَالكُلفَةِ .



البابُ العِشْرُونَ
فِي بَيَان كَيْفيَّةِ المدَافَعَةِ عَنْ الحُصُون وَحِفْظِهَا
وَفِيه فصْلان

الفصل الأوَّلُ
فيمَا يجبُ عَلَى صَاحِبِ الحِصْنِ مِنَ الاستعْدَادِ لِحَرْبِ العَدوِّ قَبْل طُروقَ الحِصْنِ

قال أَهْلُ التّجْرِبَة وَالبَحْث عَنْ هذا الشأْن : أَوْلُ مَا يَحْتَـاجُ إِلَيْـهِ صَـاحِبُ الحِصْنِ فِي حَال أَمْنِهِ قَبْلَ أَنْ يفجَأهُ العَدُوُّ ، أَنْ يَكُونَ قَـدْ حَصَّنَ حِصْنَهُ ، وَأحْكَمَ مَوَاضِعِ المُقَاتِلَةِ فيهِ ، وَأن يَكُون مَشْحُوناً بالرِّجَـال ، وبكُـلِّ آلـةٍ وَعُـدَّةٍ تُعين عَلَى طُول الحصَارِ ، وَتَنْكَأُ[1] في العَدو عِندَ المُنَاهَضَة ، فَإِنَّ في ظهُور الاسْتِعدَادِ بذَلِكَ ، مَا يَعلم بـه العَـدُوُّ النَّـازل عَلَى الحِصْـنِ ، أَنَّ صَاحِبَه مُتَيَقِّـظٌ لِمَنْ وَرَدَ عَلَيْـهِ ، مُسْتَعِدٌ لَهُ ، فيكَون سَبَباً لإحْجَامِهِ وَرُجُوعِهِ عَنْهُ . وَمِـن شَـأن الحَـازِمِ أَنْ لاَ يَـزَال مُتَوقِّعاً لِلعَدُوِّ في كُلِّ وَقْتٍ ، فَإِنْ قَصَدَهُ العَدُوُّ وَجَدَهُ مُسْتَعِدا ً.

وَعَلَيْـهِ أَنْ لاَ يُقصِّر في شَيءٍ مِن أَمُور مُدَافَعَة العَدُوِّ في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ قَبْلَ الحِصَارِ ، وَلاَ في شَيءٍ من عَمَلِهِ وَتَدبيره ، إلاَّ أن يَكونَ عَلَيْهِ في ذَلِكَ وَهْـنٌ أَوْ خللٌ ، فَإِنَّ من أَضَاعَ شيئاً في وَقْتِهِ أَو أخَّرَهُ عَنْهُ ، فَلَيْسَ المَلُومُ سِوَاهُ.

وَمِمَّا يُزِيلُ طَمَع الطَّـالِب ، مَـا يَـراه مِـنْ دَوَامِ الاحْتِرَاز. وَمِـن أَجَـلِّ مَـا يُسْتَعَان بِهِ عَلَى الحِصَارِ ، وُجُودُ الماء وَالمآكل ، وَمَا يَنْتفِعُ بِهِ الـمحاصِرُ مِمَـا لاَبُـدَّ مِنـهُ ، فَإِنَّ وُجُود ذَلِكَ ، مما يَحْتَمِل المطَاوَلَة التي قَد يَضْجَرُ العَدُوُّ مِنهَـا ، فيكـون سَبَباً لانصِرَافِه .

---

١ - تنكأ : تجرح وفي الأصل تنكى .

الفصل الثاني
فِيمَا يَجبُ عَلَى صَاحِبِ الحِصْنِ فِعله حَالة الحِصَار

قَدْ قَالوا : إنهُ أَوّلُ مَا يَبْدَأ بِهِ المَحْصُورُ ، هُوَ حَضُّ[1] أَصْحَابِهِ عَلَى الثَّبَاتِ وَإِعْلاَمهم بجَميعِ عَوَاقِبِ الصَّبْر ، وَتَحذيرهم العَدُوَّ ، وَمَا يَلقَوْنَ مِنْهُ ، إِنْ ظَفِر بهِمْ ، وَالوَعد بكُل خَيْر عِنْدَ نُصْرَتِهِمْ ، وَانْصِرَافِ العَدُو عَنْهُمْ ، مَعَ سَلاَمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِمَّا تَسْكُن إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ ، وَيفسح آمَالِهِمْ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مُنْتَهَى سِلاَح عَدُوهِ ، ومدى[2] نكَايَتِهِ ليكون عَمَله عَلَى قَدر ذَلِكَ ، لأَنَّ مَنْ عَلِمَ غَايَة مَا عِنْدَ خَصْمِه بَنى[3] أَمرَهُ عَلَى يقين مَا علم .

وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِن الآلاَتِ مَا فيهِ إِفْسَادٌ لِعَمل الخَصْمِ ، وَدَفعٌ عَنْ الحِصْنِ ، وَإِبْطالٌ لآلاَتِ العَدُو ، وَأَنْ لاَ يَسْتعمل مِنَ السلاَحِ ، وَلا يَرمي إِلاَّ بمَا يَثِق بِنكَايَتِه ، لأَنَّ السلاَحَ إِذَا خَرَجَ عَنْ صَاحِبهِ ، ولَم يَقع نكَايَة بهِ في عَدُوهِ ، فَقَد عَدِمَهُ الرَّامي بِهِ ، مِن غَيرِ نَفْعٍ مَع شِدة الاحتِياج إِلَيْهِ ، وَرُبَّمَا ظَفِرَ بِهِ العَدُوُّ ، فَصيّره عُدَّةً لَهُ ، عَلَى مَنْ رَمى[4] بهِ أَوّلاً ، وَعَلَيْهِ أَنْ لا يناهض عَدُوّه ، وَلاَ يناجزه لِلقِتَال ، إِلاَ عِنْدَ الضَّرورَة ، وَالحَاجَةِ إِلَى الدَّفعِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلاَ يُقَاتِل مَا وَجَد إِلَى الحيْلَةِ وَالخَدِيعَة ، سَبيلاً. وَعَلَيْهِ بالمطَاولةَ والمدَافعَةِ ، وَإِن دَامَ الحِصَارُ ،

---

١ - في المخطوط حظ، والصواب ماأثبتناه .

٢ - في المخطوط ومدا، والصواب ماأثبتناه .

٣ - في المخطوط بنا، والصواب ماأثبتناه .

٤ - في المخطوط رما، والصواب ماأثبتناه .

وَيغتنمَ اليوَمَ وَالسَّاعَة ، وَاللَّحظَة لِتتَهَيَّأ لَه الحِيْلَة ، وَينْتَظِرَ حَوَادِث الزَّمَان وَمَا يقـع مِن الفَرَج ، وَقَد أخبرَ الصَّادِق المصْدوقُ ﷺ : إن النَّصر مَعَ الصَّبْر[1] .

وبالجُمْلَة فإنَهُ يَجبُ عَلَيه أنْ يَمْلِـكَ قُلُـوب الرَّعيـةِ بـالعَدل وَالإحِسَـان ، فَإنَهُ لَيْسَ غايَة مُراد الرعيَّــة إلاَ ذَلِـكَ ، وَمَـن مـارس العــدْل وَالإحْسَـان كَـانت رَعيتُـهُ مِنْ أنْصَح الجُند لَهُ ، لِطُمأنينَةِ قُلُوبهـمْ إليْـهِ ، وَرُبَّمَـا ضَبَطُـوا مكَـانَهمْ ، إذَا غَابَ عَنْهُمْ جُنْدُ المَلِكِ ، إلَى حين حُضُور مَنْ يَثِق بِهِ الملكُ مِنَ المَنْدُوبينَ لِذَلِك.

وا لله أعْلَمُ وَبه التَّوفِيـق ، وَعَلَيْـه التُكـلان وَلاَحَـوْلَ وَلا قُـوَّة ، إلا بـا للهِ العَلي العَظيم.

وَصَلَّى ا لله عَلَى سَيدِنَا مُحمَّد وَآلِه وَصَحْبِهِ وَسَلَّم

مِن كتابة الفقير إلى ا لله تعالى أبي الفضل بن عبد الوهاب السـنباطي غفـر ا لله له ولوالديه ولجميع المسلمين .

---

١ - ورد الحديث في كنز الأعمال " النصر مع الصبر والفرج مـع الكرب ،وأن مـع العسـر يسـرا " ج ٣ رقـم ٦٥٠٦ ، ٦٥١٩ .

الفهارس الفنية

فهرس الأماكن

أسماء الكتب الواردة في الكتاب

فهرس المصطلحات العسكرية

فهرس الألفاظ

- ح -

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

المصادر والمراجع

- إنباء الغمر في إنباء العمر لابن حجر العسقلاني ط مصورة عن ط حيدر أباد الدكن بدون تاريخ.
- اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، للمقريزي تحقيق د. جمال الدين الشيال. ط ١٩٦٧ القاهرة.
- الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ط القاهرة.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري ط على هامش الاصابة.
- الاصابة في تمييز الصحابة ط مصورة في دار صادر
- الأعلام خير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين.
- أسرار الحكماء تحقيق سميح ابراهيم صالح ط١ دار البشائر-دمشق ١٩٩٥م.
- الأنيق في المنجنيق ،الزردكاش ،تحقيق د. إحسان الهندي ،ط معهد التراث بحلب
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ط دار المعارف بالقاهرة.
- تاريخ سني ملوك الأرض ، حمزة الأصفهاني ط بيروت بدون تاريخ.
- التاج المنسوب للجاحظ ، تحقيق أحمد زكي ط دار الكتب المصرية ١٩١٤م وط دار الفكر-بيروت ١٩٥٥م
- تكملة المعاجم العربية ، دوزي ، ط بغداد .
- تذكرة النبيه في سيرة المنصور وبنيه ط الهيئة المصرية للكتاب .
- تاج العروس للزبيدي ط محققة في الكويت ٢٥ مجلداً
- ثمار القلوب للثعالبي ، تحقيق ابراهيم صالح ط١ دار البشائر ١٩٩٥م
- جامع التواريخ رشيد الدين الهمذاني ط عيسى البابي الحلبي ١٩٦٠م.
- حُسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة ، للامام السيوطي ط تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط القاهرة ١٩٧١

- ديوان الأعشى تحقيق محمد حسين ط مصورة عن ط القاهرة ١٩٥١م.
- ديوان المتنبي ، شرح العكبري تحقيق السقا ورفاقه ، ط مصورة في بيروت
- الذيل التام على دول الاسلام ، للسخاوي تحقيق حسن مروة ، ط دار العروبة بالكويت ١٩٩٣م .
- الروضة الفيحاء في تواريخ النساء للعمري ، ط القاهرة .
- سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السَّقا ورفاقه ط مصورة في دار الخير دمشق.
- صحيح مسلم ، تحقيق د. مصطفى البنا ط دار العلوم.
- صحيح البخاري تحقيق فؤاد عبدالباقي ط مصورة بدون تاريخ.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي ، ط دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م
- طبقات ابن سعد ط مصورة في دار صادر بيروت .
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق علي الجارم وزملاؤه ط هيئة لجنة التأليف والنشر.
- عصر سلاطين المماليك محمود سليم رزق ط القاهرة ١٩٦١م
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ، ط مصورة عن ط دار الكتب المصرية.
- الفهرست لابن النديم ، ط تحقيق رضا تجدد ط طهران ١٩٧٠م.
- كشف الظنون في أسامي الفنون ، وبذيله هدية العارفين ، ط مصورة في مكتبة المتنبي-بغداد-قاسم الرجب بدون تاريخ ، وطبعة أخرى في دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠م
- الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ، تحقيق د. احسان عباس ط دار صادر
- كنز العمال للعلامة الهندي ، ط مؤسسة الرسالة بيروت .

- مصادر التراث العسكري عند العرب ، كوركيس عواد ط١ المجمع العلمي العراقي ١٩٨١ ومابعدها.
- مجلة الفكر العسكري ، الادارة السياسية في الجيش العربي السوري السنة ٥ العدد ٢ عام ١٩٧٧
- المغرب في حُلى المغرب ، لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق د. شوقي ضيف ط دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم ١٠
- معجم البلدان ياقوت الحموي ، ط دار صادر.
- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ط دار الكتب العلمية.
- المعارف لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق د. ثروت عكاشة سلسلة ذخائر العرب ط دار المعارف ١٩٦١م.
- مروج الذهب للمسعودي ، تحقيق شارل بلاّ ط الجامعة اللبنانية ٧ مجلدات.
- المغازي للواقدي ، تحقيق مارسدن ط مصورة في بيروت.
- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس تحقيق ادريس محمد علي ، محمد خالد اسطنبولي ط دار البشائر الاسلامية بيروت ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع. تحقيق محمد علي البجاوي ط مصورة عن ط القاهرة.
- مختصر في سياسة الحروب المنسوب للهرثمي الشعراني تحقيق عارف عبد الغني خط.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغرى بردى ط مصورة في بيروت عن ط دار الكتب المصرية.
- نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين ، تأليف عارف عبد الغني ط١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٠م
- وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق د. احسان عباس ط دار صادر بيروت.

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم



● مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
● هاتف ولاقط : ٤٦٢١٢٢٣ ـــ ص . ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١ الرياض
● شارع حمد الجاسر ـ حي الورود (السليمانية) المملكة العربية السعودية ـ برقياً «العرب»

الرقم ٢/١٨١ التاريخ ١٤١٧/٩/١٤ المرفقات

الأخ الكريم الأستاذ عارف أحمد عبد الغني وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد - فقد اطلعت على مؤلفيكم القيمين :

١ - «تاريخ أمراء مكة المكرمة» ٢ - «تاريخ أمراء المدينة المنورة».

وسررت مما بذلتموه من جهد متميز ودراسة عميقة في سبيل خدمة هاتين المدينتين الكريمتين .

وقد كتبت تعليقاً على الكتابين المذكورين سينشر في إحدى الصحف التي تصدر في الرياض ، وقد رأيت اطلاع الأستاذ الكريم إن كان ثمة مايضيفه أو يعلق به ، أو ينشر في إحدى الصحف السورية من قبيل تقوية أواصر التواصل الأخوي .

سائلاً الله جل وعلا لكم دوام الخير والتوفيق وموجها الشكر للابن أنس بن يعقوب الكتبي الذي هو صلة الوصل بيننا ، إذ أرشدني إلى عنوانكم .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه،

اخوكم

[توقيع]

حمد الجاسر

هذا الكتاب

(تفريج الكروب في تدبير الحروب) من تأليف أستاذ الحرب محمد محمد الرشيدي من العصر المملوكي، يؤرخ جانباً مهماً من التاريخ الحربي والعسكري للعرب والمسلمين. حيث ضم في دفتيه أبواباً حول الأمن العسكري في حال السلم من اتخاذ الأسوار والخنادق والحصون ونصب المرايا لمعرفة حركات العدو، واستطلاع أخباره، والعيون والجواسيس، وصفات هؤلاء العيون، وإكرامهم، وما يجب أن يتخلقوا به من أخلاق، وصفات الرسل (السفراء)، والخِدَع المغنية عن الحرب، وكيفية هذه الخِدَع، وطرفاً منها، والاستشارة في أمر الحروب وآداب هذه الاستشارة، وصفات مُقدّم العسكر والجنود والفرسان، وماذا على صاحب الجيش معرفته من مرؤوسيه، وسياسته تجاههم، ومتى يجب ملاقاة العدو، في حال العدو قوياً، أو ضعيفاً، وأحكام الطلائع (رجال الاستطلاع) وخيولهم، والتحرز عند المسير والوقوف والزحف، وشروط ذلك، وترتيب وتعبئة العساكر في كل تعبئة، وحفظ الأموال والمؤن والخزائن، وبيات العدو والصديق، واختيار مواضع المصاف للقتال وكيفية التعامل مع العدو القليل والكثير، والمدافعة عن الحصون وحفظها...

أضع هذا الكتاب بين يدي القارئ العربي، وأخص منهم جنود وضباط القوات المسلحة العربية، ليطلعوا على جانب مضيء ومشرق من تاريخ الفن العسكري عند العرب والمسلمين.